هاشم محمد سعيد دفتردار

أطياف

دار الفكر

صدر لأول مرة عام ١٣٧٥ هـ

طبع مجدداً في دار الفكر
بيروت
غرة رجب ١٤٠٢ هـ ، ٢٤ نيسان ١٩٨٢



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

لصاحب اليوم الوطني وذكراه المثالية الخالدة ...

الذكرى المثالية الخالدة

١ـ هي نافذة مقدسة في محراب السماء تطالعك منها مشارق الخلود

٢ـ هي قمة امجاد الانسانية وبطولة بطولاتها وسماء سماواتها

٣ـ هي اضواء حقيقة الايمان وهدى آياته في الدعوة الى الله .

والذكرى الخالدة مجدها الله في محكم كتابه واكرم به من تمجيد وأعظم .هو تكريم من رب العالمين لعبيده البررة دعاة الإيمان الصحيح .

واليك باقة عبقة متألقة بالطيب من ذكرهم ، والطيب من ذكرهم كثير .وان ذكرهم متعة ورفعة وخلود .

١ـ واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا "٤١" إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ..." ١٩ ـ ٤٢ .

٢ـ "واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا" .

٣ـ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا "٥٦" ورفعناه مكانا عليا ١٩ـ٥٧ .

٣ـ "واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب "٤١" أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب" ٣٨ ـ ٤٢ .

آيات وحي الله تفيض بذكر هؤلاء القمم العمالقة الأبطال الذين قدموا أنفسهم وأموالهم لله رب العالمين ودعوا دعوة الايمان العلمي اليقيني به وهدموا الالحاد والملحدين، وشدوا أواصر الكلمة الى الكلمة اجتماعيا وحضاريا وانسانيا .واستحقوا بذلك ذكرهم باسم الهداة الخالدين .

هذه امجادهم الانسانية العالية ولولا أنها امجاد انسانية عالية لما رفع الله اسماءهم في محكم آياته .

.. انظر انظر هذا خاتم رسل الله سيدنا محمد الذي أخرج الله على يديه خير أمة أخرجت للناس يقول في حقه "ورفعنا لك ذكرك"

وهذا سيدنا ابراهيم الخليل طلب من رب العالمين أن يجعل ذكره خالداً على مدى تداول الاجيال.

"واجعل لي لسان صدق في الآخرين" ٢٦ - ٨٤

هذه الامجاد العليا الصارخة هي التي حدتني أن أرفع مؤلفي هذا أطياف الى صاحب الذكرى المثالية الخالدة الملك المناضل سهران عبدالعزيز آل سعود.

أرفعها وكلي اعتراف بفضل ظلال الأمن والمعرفة والحضارة التي استظل بها أنا والمواطنون كافة. أثابه الله بأفضل ما أثاب زعيماً عن أمته رحمة واسعة.

المؤلف
هاشم دفتردار المدني

تَقْدِيم

بقلم الدكتور الشيخ محمد رشيد قباني المدرس بالجامعة اللبنانية

الحمدلله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد: فإن مؤلف أطياف هو مؤلف بلابل تغرد، وهذا هو العنوان الذي كان اختاره لمؤلفه أطياف استاذنا الشيخ هاشم محمد سعيد دفتر دار المدني. وهو عنوان موفق يتناول بوعي وواقع أعلى جوانب المعرفة، وباسلوب عربي ساحر؛ وفيه تتمثل شخصية مؤلفه، وتلمس روحه العربية المؤمنة الصادقة... والحق أن كتاب «أطياف» فيه سحر جمال التوقيع، الذي يرقق العبارة الأدبية؛ وفيه عجب سر التكوين الذي يهدي الى حقائق العلم، وفيه سمو روح فطرة الايمان. ومن أجل ذلك كان هذا العنوان إلْمَاح الى روح الأدب، والى حقيقة العلم، والى مثل الإيمان.

وكلماتُ أطياف هي كلماتٌ سبَق أن أذاع مُؤَلِّفها جَانباً مِنْها على العَالَمَيْن العربي والاسلامي، حينَ كان يُحاضرُ ويُدَرِّسُ وَيُذِيعُ في لبنان، وحينَ ثابَ إلى بلادِهِ لم ينفكَّ أيضاً عن النشر والإذاعة والتأليفِ. فهي إذَنْ قديمة جديدة، ومبنيَّة على يقين الْواقع، لأنَّ أَصولَهَا مستمدةٌ مِنَ القرآنِ ٱلمَجيدِ والسنة النبوية المطهرة، ومن تاريخ الثقافة الإسلامية. الى جانب إطلاعه الواسع على المعارف الحديثة والآداب، وما جَدَّ ويجد مِمَّا يُدَرَّس في الجامعات، أو يذاع في الصحف الراقية، أو مجلات المعرفة.

واستاذنا الشيخ هاشم دفتردار المدني هو أديب وعالم فاضل، ومعروف في الاوساط العلمية. وهو من أبناء المدينة المنورة، مدينة رسول الله ﷺ، وقد قضى زهرة شبابه في الجامعة الازهرية، ووافى لبنان منذ تأسيس كليتها الشرعية الإسلامية، وعين لأول مرة ناظراً لها، وهو

يحب العلم للعلم ويريد به وجه الله تعالى ، وله في الدين والأدب ، واللغة العربية والنحو ، والتاريخ والاجتماع ، وسائر الغلوم الإسلامية كالفقه والتفسير والحديث ، كتابات كثيرة جداً ، مذاعة في الصحف والمجلات ، وفي محاضراته للطلاب وسواهم ، وفي مؤلفاته التي طبعت ؛ والتي لا تزال مخطوطة مفرقة في مكتبته الكبيرة في بيروت .

وهو لم يطلب لمؤلفاته عطاء ، ولم يؤلفها لجمع مال ، وإنما للنفع العام ، وكشف حقائق الإيمانٰ والإسلام ، بكل البراهين العلمية اليقينية ..

ولكن كثيراً من الوجهاء المتمولين الذين يحملون لحقائق الإيمان التضحية والبذل ، ويريدون له الانتشار بمثل هذه الأساليب الحديثة ، المنبثقة من صميم العلم والفن والأدب ، يُقدمون المعونات الوفيرة لطبع أمثال هذه المؤلفات وترجمتها ، وتوزيعها على أهل اللغات ، وذلك من فضل الله عليهم ، وعلى المؤلفين ، وعلى الناس أجمعين ، وفضلُ اللهِ واسعٌ وكبير ...

واستاذُنا الجليل اذَا أخذتَ تَـدْرُس كلماتِهِ تُحِسُ كأنه لم يفارق وطنَه أبداً .. وهذه آية في خدمة الوطن ، قلما تجدها في مغترب طال اغترابه .. وهو على العموم لم يقصر نشاطه على بلد بعينه ، بل شمل كل بلاد العرب والإسلام ، بل كل بلاد الله .

ولقد كان الاجتماع الذي أقامه في الكلية الشرعية في بيروت ، يوم وفاة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود غفر الله له ، كما كانت الكلمة التأبينية التي ألقاها ذلك اليوم ، آية في صدق الإخلاص ، البعيد عن الدعاية والاستغلال ، وكان عنوانها «**نسر الجزيرة**» . أضف الى ذلك مقالاته ومحاضراته المتتابعة العديدة ، التي كانت تنشر في مجلة «المنهل والحج» والتي سميت فيما بعد «**التضامن الاسلامي**» ؛ وفي مجلة «**رابطة العالم الاسلامي**» التي تصدر في مكة المكرمة ، وفي مجلة « **قافلة الزيت** » .

وله مقالات وكلمات نشرت في صحف لبنان ومجلاتها ، **كصحيفة** « بيروت » « والبصير » ومجلة « الهلال » التي كان يصدرها توفيق الحكيم رحمه الله في بيروت .

وما رأيت كاتباً جمع بين العلم والأدب والفن ، مع التواضع والبعد عن الغرور والدعوى ، ما رأيته في سيرة استاذنا الشيخ هاشم دفتر دار .. وهذا كله يعرفه عنه من كتب الله له أن يصحبه من قريب .

بل كان بعيداً جداً عن الرغبة في الألقاب الجوفاء ، فقد ألف الأستاذان الجليلان الشيخ هاشم دفتردار والشيخ محمد علي الزعبي يوم كانا مدرسين في الكلية وكانا يواصلان الدعوة الى الإسلام قد ألفا أحد عشر كتاباً . وطلب منهما بعض أصدقائهما في الجامعة اليسوعية أن يقدما

بعض مؤلفاتهما القيمة لنيل الدكتوراه الفخرية . فما رغب في ذلك استاذنا الشيخ هاشم دفتر دار لبعدِهِ عن أسباب الدعاية لنفسه واقتصر الأمر على الدكتور الشيخ محمد علي الزعبي فأخذها وحده .

وهذا مثل واحد من أمثلة كثيرة يعرفها عنه من كتب الله له أن ينعم « بصحبته » مِن قريب .

ولقد كان كبار الرجال السعوديين وبعض المستشرقين وسواهم ، يزورونه في منزله في بيروت ، ويقدرون علمَهُ وأدبَهُ ، حتى أنه كان يقوم بتدريس اللغة العربية لبعض المستشرقين ، ويشرف على تحضير رسائل الدكتوراه لبعض الدارسين والدارسات في الجامعات .

هذا ولاستاذنا الجليل الشيخ هاشم دفتر دار مؤلفات عديدة ، منها المطبوع ومنها المخطوط ، فمن مؤلفاته المطبوعة :

١ ــ أطياف وهي غرَّدت وتغرد .. وهذا المؤلف هو الذي بين يديك .

٢ ــ اصلاح الإسلام الاقتصادي .

٣ ــ نوابغ الكلم .

٤ ــ معجزات قلب القرآن .

٥ ــ تأويل سورة الفاتحة .

٦ ــ رواية الى غرناطة .

٧ ــ رواية الحرب والسلم .

٨ ــ ذكريات طيبة .

٩ ــ هواتف .

١٠ ــ أما كتاب بلابل تغرد فهو تحت الطبع ..

ومن مؤلفاته المخطوطة **رسائل الشعراء** ؛ والعلوم الدينية للطلاب بعنوان « **زهرات الايمان** » ؛ وسوى ذلك . هذا ولا يمكن التعرف الى ما تحملُ مؤلفاتُه القيمة الوفيرة من مبتكر حقائق العلم والفكر ، وفنونِ الأدب ومثل الإسلام العليا ، بمجرد إمساك الكتاب والنظر فيه من هنا وهنا .

إنَّ مَثَلَ من يَفْعلُ ذلك ، كَمثَلِ مَنْ ينظُر الى البحر من خلال أمواجه المتطايرة على شاطئه ، ثم يريد أن يتحدث عن أعماقه وما تحمله من كنوز .. ان من يفعل ذلك يكون حديثه متطايراً كتطاير أمواج الشاطىء الهائج بِزَبَدٍ وزبد ؛ ومن الاغراق في الجهل ، أن يتحدث ناقد عن أديب ، أو عن عالم ، دون أن يكون عرف قدر ما يحمل من آدب أو علم ، فربما يثني عليه ويعتبره عالماً وهو جاهل ، وقد يكون الأمر بالعكس .. ومهما يكن من أمر ، فلا بد من النظر

والدراسة قبلَ التحدث عن مؤلفاته . واستاذنا أبو هشام له مؤلفات مترجمة عن الانجليزيه والفرنسية ، ومثله فيها كمثل استاذه في الأدب مصطفى المنفلوطي ، وكان دائماً حين يذكره يقول عنه استاذي الأول في تحصيل الأدب ، واتساق الأسلوب واتقانة ، الى جانب الجاحظ ، فقد كان لا يترجم المؤلف ترجمة حرفية ، بل يأخذ في تعريبه بأسلوبه الشيق الممتاز .

أجل ، فعل هذا في كتاب « **تستطيع أن لا تمرض** » للطبيب اللبناني خالد عطوي نصيف ، وفي « **سيرة النبي عليه الصلاة والسلام** » لمؤلفها « جان بروا » الفرنسي ، فقد ترجمها ترجمة حرفية الاستاذ محمد البنداق ، وعربها استاذنا بأسلوبه الشيق النضر ، ولقد أسماها المؤلف « **محمد نابليون السماء** » ؛

واستاذنا الشيخ هاشم أحب أن يجعل إسمها « **محمد هبة السماء** » .

ومن أطلع على السيرة المذكورة ، يلمس خصائص أسلوب استاذنا الشيخ هاشم الجيد الجذاب في كل ما يكتب ، الأسلوب الذي إقتبسه الكثيرون مِمَّنْ لهم عمق في الأدبِ العربي ، وذوقٌ سَليم حساس في الكتابة . من تلامذته وقرائه .

وإنك تحس لأسلوبه في كلماته ومؤلفاته ومحاضراته لمحات ساحرة ، وكنت أصحبهُ في بعض محاضراته وكان أكثر ما يلقيها على طلبة الصفوف الثانوية « البكالوريا » في كلية المقاصد الإسلامية بطلب من صديقه الاستاذ عبد الله المشنوق ، وفي المدارس الرسمية بطلب من رئيس الوزارة المحامي عبد الله اليافي ، وكان يقوم بتدريس أولادهُ في قَصره أمام السبق في حرج بيروت .

وكان أبو عمر الداعوق رئيس جماعة عباد الرحمن في بيروت يحبه ويدعوه دائماً لإلقاء المحاضرات في ناديهم الكائن في محلةِ البسطة الفوقَا في مدينة بيروت . وكانَ له حديثُ الأحد في جامع عَيْنِ المريسة في بيروت يجتمع فيه فريق من طلاب الجامعة الاميركية — وهو قريب منها — فيلقي عليهم حديثاً عن الإسلام وعن تعاليمه ، وكان يجيب عن مشكلاتهم وشبهاتهم ، وله سوى ذلك كثير .

ولقد كان فضيلة استاذنا الجليل الشيخ هاشم دفتر دار صديقاً وفياً لوالدي الشيخ راغب القباني رحمه الله ، وغفر الله له ؛ والذي أعرفه من صحبته لوالدي ، وصلته به الصلة العميقة ، حيث كان يرافقه في أسفاره ، وكان طالباً معه في الازهر الشريف في القاهرة ، وهو الذي أقام الصلة بين فضيلة الشيخ هاشم والسيد محمد رشيد رضا صاحب « **المنار** » ، ان أستاذنا الجليل الشيخ هاشم دفتر دار مستمسك بالكتاب والسنة في كل أقواله وأعماله ، وتصرفاته ، ولقد قام بالتدريس في الكلية الشرعية الإسلامية في بيروت وأزهر لبنان ما يقارب الأربعين عاماً ،

وتلامذته الذين تخرجوا على يديه يعدون بالمئات ، وكان يحثهم دوماً على التمسك بالكتاب والسنة .

وقد كان استاذنا الشيخ هاشم بعيداً كل البعد عن طلب الجاه ومفاخرة الأقران ، لأنه كان صادق الإيمان ، ومن أجل ذلك ما سمعته يوماً يدعي العلم وهو متواضع جداً ، وقريب من القلوب ، وشهرته تزداد يوماً فيوماً ، لأنها ثمرة سهر ونصب ، وجهود مضنية ، وصبر واحتمال ، وهو على كل حال بعيد كل البعد عن الادعاء والزهو ، وهو نظيف الفؤاد ، ولا يعرف الحقد على أحد ، بل كنا نراه يحترم الحاقدين عليه ، سواء علمهم أو لم يعلمهم ، ويثني عليهم ، ويحتمل شرورهم وصغارهم ، ويقول عنهم إن لهم عليه أياد ، فلولاهم لداخله غرور الشيطان ... وهو لا يعرف الرياء ، وربما يحسبه من يسمعه يتكلم أو يتعامل مع الناس أنه يرائي ، لأنه لم يعاشره ولم يخالطه ، اسألوا عن استاذنا الشيخ هاشم دفتر دار من خالطه عن قرب وعرفه وعرف عفافه وكرمه ووفاءه وحبه لمعارفه الحب الصادق الوفي ، وبالحري للصالحين الصادقين ، أنه يضحي . وكم رأيته في مجلس علم ومنافشة صامتاً ، وهو عالم بما يخوضون فيه من علم ومناقشة ، لأنه يمقت الظهور الفارغ والادعاء بالعلم بحق وبغير حق .

وأخيراً لا آخرا فإن لبنان يحفظ لأستاذنا الجليل فضيلة الشيخ هاشم دفتر دار عمل خير قام به في بيروت وسائر مناطقه ، فقد كان فيه علماً من أعلام الدّين والتقوى ، وقدم بجهاده العلمي والاجتماعي صورة ناصعة عن الاسلام وعظمته ، بأخلاقه ومعاملاته قبل أقواله ، فله منا تحية الوفاء والاجلال وأحسن ما وصف به من الشعر ما قاله عنه العلامة الأديب ابن خالته الشيخ عمر بري ،

أبو هشامٍ كـأَنَّ اللهَ صـوَّرهُ	مِنْ شكرِ الْخير أو مِنْ نُخبـةِ البشرِ
لـه سجـايـا يكـاد الـدهر يعشقهـا	والحسنُ يرمقهـا بـالقلـبِ والبَصرِ
فما أقولُ وقولي فيـه مختصرٌ	والنورُ نورٌ بِرَغْمِ الشمس والقمر

وإني حين أتحدثُ عن سجَايا استاذنا الشيخ هاشم محمد سعيد دفتر دار المدني في كَلمتي عن مؤلَفه أطياف تغردُ فإني في الواقع تحدثتُ عن كل فصوله . لأن ما يجري به قلمه هو ما يجول في نفسه . وكل ما يجول في نفسه كسب للدعوة الإسلامية لدى المفكرين الملحدين الأوربيين

وسواهم . هذه حقيقة يعرفها من أطلع على مؤلفاته بعمق ، أطال الله عمره ، وحفظ عليه صحته وعافيته ، حتى يتابع رسالته في خدمة الإسلام وأهله ، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء والله ولي التوفيق .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

بيروت في ١٧ صفر الخير ١٤٠١ من هجرة المصطفى ﷺ
و ١٤ كانون الأول سنة ١٩٨١ .

محمد رشيد راغب قباني

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة تقدير وبيان

« وناهيك بالأطياف معسولة الرُّؤى »

بقلم الشيخ عمر القيمري

الحمدلله الذي أمدّنا بالألطاف الخفيّة ، وأنار قلوبنا بالآيات القرآنية والأحاديث النبويّة ، وجعل لنا من العلماء الصالحين مصابيح هدايةٍ وإرشاد تتحفنا بالأفكار الجليّة والبراهين القطعية الدّالة على وجود الله صاحب القدرة والجبروت ، سبحانه من إله مبدع سبحت الأفكار في بحر علمه ، وتجلّت الأطياف في بدائع قدرته ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين من بعثه الله رحمة للعالمين ، عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فقط طلع علينا هذا السفْر النفيس [أطياف] يتجلّى في طبعته الثانية واحتلّ مكانه الرفيع في المكتبات العلمية ؛ مائدة علم يجد فيها من يُسَرّحُ الطرف ما يشتهي من معانٍ سامية وأفكار نيّرة وعِظَات بالغة . كيف لا وهو من وضع عالم جليل من علماء المدينة المنورة — على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم وواعظ أنار الله قلبه بنور الإيمان ففاز برضوان الله في دنياه قبل آخرته ، فلهذا الأخ الكريم والمربّي الجليل نتوجه إلى الله بأحرّ الدعاء يمدّ في عمره ليزيد في إنتاجه فهو أكرم مسؤول والحمدلله رب العالمين .

تعجّ بيَ الأفكارُ تَهْدِفُ للخير فتدفع عنّي الشرّ من حيث لا أدري
وأنعَمُ [بالأطياف] كالطير حوّمت فأبصر نور الحق يلمع في سِرّي

وتلك وأيم الحقّ نَفَحـــــاتُ واعظٍ ... جليلـةٌ في الأهــداف عــاليـة القَــدْر

أُسَرِّح فيهـــا الطرف حتى كـــأنني ... أُراقب بـــدرا ؛ استنير من البَـــدْر

أقولُ لنفسي هـــل سُحْرت بطـــائفٍ ... وما بي سوى الإبداع شيءٌ من السِّحْر

وتلك مفـــاهيمٌ ترافِقُ قـــارئـــاً ... رَنَى روضة زهراء طيّبـــــــة النَّشْر

وذلك إحساسي بكـــــــلّ مُـؤَلَّفٍ ... يطـالِعُنـا من [هـاشمٍ] ثـاقب الـدُّر

فـ [يس[1]] قلبُ [النُّور] ألهَبَ خاطري ... وقـوّى يَقيني ؛ أشعـــل النُّورَ في صدري

ونـاهيك [بـالأطياف] مَعْسُولة الرُّؤى ... نَـــدِيّـــة تجلوَ الفكر في الصبح والفجر

وإني لأدعو الله جـــــلّ جلالـــــه ... وأسألــــه الإقبـــــال في السرّ والجهر

ليرعى لنـــا بحر المعـــارف [هـــاشمـاً] ... ومـــع قَـــدْرِهِ نرجو الزيـــادة في العُمْر

عمر القيمري

---

(١) إشارة إلى كتاب (يسّ قلب القرآن) ذلك السفر النفيس .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم المؤلف

آلهي أحمدُكَ على ما أَوْليتَ مِنْ نِعم لاَ تُحْصى . وأصليّ وأُسلم على أكبرِ نِعَمِك محمدٍ المرسلِ رحمةً للعالمين. والمنقذِ للناس من عبادةِ مخلوقاتِكَ الى عبادتِك أنتَ وحدك ...

لا اله إلاَّ أنتَ الرحمنُ الرحيمُ والهادي عبادَكَ بدلائلِ آياتِك الى صِراطِكَ المستقيم . وبعد فقد كانَ لدَيَّ في منزلي بجدة المهندس الكبير الاستاذ سليم بن ابراهيم كريدية يوم الجمعة ١٠ محرم عام ١٤٠٢ هـ الموافق ٦ تشرين الثاني « نوفمبر» ١٩٨١ م وكان جرىَ الحديثُ حولَ مؤلفاتي التي نفدتْ من الأسواق . ولم يبقَ مِنْ نُسَخٍ يمكنُ أن تُقدم لمَـنْ يطلبُها .

وكان مِن جملةِ مؤلفاتي التي نَفَـدتْ كتابُ أطّياف مِنْ إعجازِ القرآن والاجتماع والأدب ... « وكان سيادتُه معجباً بما جاءَ فيه من كلمات عَديدةٍ وبالحري مَا جاء فيه حَول اعجاز القرآن المجيد » .. وعن القديم والحديثِ وعَن مُعَجزةِ العصمةِ والحياة عربة وكان هذا الكتاب أَلقَـيَ مُحَاضراتٍ في بعضِ الأندية والكلياتِ في لُبنان ونُشرَ في الصحفِ وبعضُه أُلقيَ في الإذاعةِ وكان ذلك في عام ١٣٦٥ هـ الى عام ١٣٧٥ هـ أي الى العامِ الذي جمعه صاحبُ مطبعةِ الانصافِ السيد أسعد أبو شالة وطبعه لأول مرة .

وكان جمعه وطبعُه في كتاب عملاً كريماً مباركاً . والآن وقد فَكر سيادةُ المهندس سليم كريدية أَنْ يُعيدَ طبعه للقراءِ فلهُ مني جميلُ الشكرِ . ومن القراءِ الذّينَ يلذ لهم أسلوبي في

الكتابةِ وطريقةِ تفكيري على علاَّتِها . لأن التقصير والعجز سِمةٌ مِن سِماتِ الانسانِ الضعيفِ ، ولا قوةَ ولا كمالَ ولا توفيقَ لأحدٍ في عَمَلٍ مَا إلاَّ بالله العلي القدير .

والكتابَ سِمةُ الخلودُ فإنَّ الأممَ تنفذُ وقد يَنْتهي بعضُ أدوارِهَا . ولكنَّ الكتابَ الذي يحملُ طابعَ دوْرٍ مِن أدوار حياتِها يَظلُّ خالداً حاملاً طابعَ ذلك الدور هاتفاً على رأسِ صومعةٍ باسِمِ مَن ألَّفهُ أو باسم مَنْ خَطَّه وكانَ ذلك قديماً . أو بِمَنْ طبعَه وأخرجه للناس . وهذا العمل الماجد النافع للناس حديثاً ... وكم هم الاثرياء المؤمنين الذين يقومون بمثل هذا العمل الماجد .

ومهما يكنُ فالكتابُ هو طريقُ الخلود وإخراجُه للناس خلودٌ حتماً . لأنه يحملُ اسمَ مُؤلِّفِه ومخْرِجِه للناس وسيظلُّ الصَّاحبُ الوفي غيرَ الملول وصدَق أميرُ الشعراء أحمد شوقي في قوله :

أَنَـا مَـنْ بـدّلَ بـالْكُتُبِ الصِّحابَـا	لمْ أجـدْ لِـي وافيـاً إلاَّ الكتـابَـا
صاحبُ إن عِبتَـــه أو لم تَعِبْ	لَيْسَ بـالواجـدِ للصَّاحبِ عَـابَـا
كلمـا أخلَقْتُـه جَـدَّدَنـي	وكَسَانِـي مِـنْ حُلَـى الفضلِ ثِيـابَـا
صُحْبَـةٌ لـمْ أشْكُ منهـا رِيبـةً	وَوَدَادٌ لـم يُكلِّفنـي عِتـابَـا
رُبَّ ليـلٍ لَـمْ تُقصِّرْ فيـه عَـنْ	سَمَرٍ طَـالَ على الصمتِ وطَـابـا
كَـانَ مِـن هَـمٍّ نَهَـاري رَاحَتـي	ونـدَامَـايَ ونَقْلِـيَ والشَّرابَـا
إنْ يحدِّثـي يتحـدثْ أو يَجِـدْ	مَلَلاً يطوي الأحَـادِيث اقْتِضَابَـا

والآن أقدم للقراءِ مؤلفي هذا في طبعتِه الثانية التي عُنِيَ بطبعها الاستاذ الأديب سليم كريدية يا رعاه الله .

وقد تعمَّدتُ أن أُبْقيَ القسمَ السَّابقَ على مَا هُوَ عليه . دونَ زيادةٍ أو نقصانٍ ليظلَّ علامةً على تطورِ التفكير وتَسَلْسلِه في نَسقٍ وَاحدٍ مِنَ الهدَى والخير .

وثَنَّيْتُ بالقِسم اللاَّحِق لأنَّ الحقَّ والنورَ والصدقَ يظلُّ أبداً هو الحقَ والنورَ والصدقَ .

وَلمَّا كان هذا القسمُ اللاحقُ هوَ مِنْ مَعين القسْمِ السَّابق نَاسبَ وضعُهَا في مؤَلَّفٍ واحدٍ ... ! ! ومَنْ كانَ لديهِ المؤلَّف المشتمل على القسم السابق يُمكنُه أن يلمسَ هذه الحقيقةَ

بالخمس . وعلى كلٍّ حالٍ فالقارىءُ المفكرُ الواعي لاَ يُهِمُّه في قليلٍ أوكثيرٍ . ما كُتب منذُ ألْفِ قَرْنٍ أوكتب حديثاً . فالعبرةُ لدَيْهِ بالفائدةِ التي يحملُها الكتابُ لغةً وأسلوباً وعِلماً وفنًّا وحكمةً وتوجيهاً صحيحاً قَيِّماً ...

هذا هو المعتبرُ لدَى المطالع العَالِم المفكر الذي لا تَـخْدعُه العناوينُ والألقاب المزيفةُ أجل هذا هو المطلوبُ حتَّى مِن أحدثِ ما يُؤلف في هذا العصر أو في ما يؤلف بعدَ هذا العصرِ بألف قرن ...

فالجديدُ في التأليفِ هو النَّفعُ والحكمةُ والعلمُ والأدبُ والفنَّ والأسلوبُ وما عداه كلامٌ في كلامٍ .. نَسْمعُه مِنْ أضعفِ الناسِ ولو بعدَ ألف قرن آتية .

أُجل العبرةُ المعتبرةُ هِيَ في الاحسانِ والإجَادةِ والبراعةِ والتَّوفيقِ والاَّ طَرحَ الكتابَ الناظرُ فِيـهِ وَرَاءَهُ ظِهْرِيًّا .

والاعراضُ عَنِ الكتابِ نتيجةٌ حتميةٌ إذَا فَـقَد القيمَ العلميةَ والأدبيةَ المتفوقةَ ولو أمتدحه الفُ عالم وعالم ..

لذلك أنا أقدمُه لِلْمطالعين وكلِّي ثِقةٌ بأنْـصَافِهم وحُـكْمِـهم وأخذِهم وَرَدّهم وأعني بالمطالعين العلماءَ الأمناءَ الذين يُحبونَ القرآن واللغة العربيةَ والحكمةَ والأدبَ والاسْلوبَ العالي الممتاز .

أمَّا الَّذينَ يَـنْـتَسِبونَ الى الإسلام ثَقافةَ وتجارةً وكذباً وهم يَـهْدمونه بأرائهم الْـفَاسِدَةَ المُـحَـطِّمة والحادِهم الهايفِ فهؤلاء أنا بريءٌ منهم وهمْ براءُ مني .

وإني باسم الله وبفضله وأحسانه سأظل أجاهد بالقلم في كشف حقيقة وحيه للعميان الكبار .

أَجلّ بسم الله الذي بيده اتمام المطالب ، والبركة في الزمن بسم اللهِ الذي يَمنَـحُ عبدَه القوةَ والصحةَ والتوفيق . سأظل أجاهد بالقلم .

بسمِ اللهِ المُـنْعِم المتفضلِ على عِبادِه بمزيدِ العَطايا ، ووافِرِ الآلاء سأظل أجاهد بالقلم .
والحمدُ للهِ على ما أَعطى وسدَّد ووفَّق وحفظَ ورزقَ وباركَ .

والحمد لله على سلامَتِنا مِنْ أذَى الأعداءِ الظالمين المفترين على ما يتكَـرم الله به على مَنْ شاء من عبادِه .. إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور .

والحمد لله على نعمةِ الايمان التي لا تَعْدِلُها نِعْمة ، في الأرضِ ، ولا في السماوات .

والصلاة والسلامُ على المبعوث رحمةً للعالمين الرؤوف بالعباد الرحيم لهم الدَّاعي الأول والناهض بهم الى حظائرَ الإيمانِ بالله الخالق العظيم وحْدَهُ ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الصَّادقِ الأمين ، المقوِّم عِوجَ القُسَاةِ العُتَاةِ المُخْطِئين الملحدين ، الداعي لهمْ بالإصلاحِ والغفران من رب العالمين .

وعلى الآل والاصحابِ أجمعين»

وكان تحرير هذه المقدمة ١ ربيع الأول

عام ١٤٠٢ هـ

الموافق ٢٧ كانون الأول ديسمبر

المؤلف

مُقَدّمَة الطَّبعَة الأولى

اطياف

هي مجموعة من الكلم ، اعلنت في الاذاعة والنوادي والصحف . لمناسبات شتى ، رأت دار الانصاف من المصلحة العامة ، ان تجمع في سفر . وتنشر في المكاتب ، ليكون تناولها قريباً ، وسهلاً ، للنشء الذين ينشدون الإصلاح والهدى والخير والخلق الكريم .

أطياف

هي باقه من توجيهات السماء ، كانت معانيها تشرق في نفسي حتى تملأها . وكنت اتعهدها بالرعاية والحفظ ، تعهد الراعي الصالح لرعيته ، وكل ما اهدف اليه من وراء اذاعتها ان يغمر هذا الانسان فيض من نور السماء اذ محال أن يزيح عن ميوله ، طغيان ظلمات المادة إلا به .
أجل هي اضواء من أنجم لها مطالعها في نفسي ، أمدها اشعاع غامر من آيات القرآن المجيد ، ليكون اشراقها مأخوذاً من ينبوع اصلاح اوائل هذه الأمة ، التي لا يصلح آخرها الا بما صلح به أولها .

أطياف

هي أمنيات حسان لتحقيق مثل الانسانية العليا ، التي أوحاها الخالق العظيم ، للسمو بالانسانية الى الكمال الداخل في حدود الامكان العملي ، جاءت الي بها أمانة المعرفة التي عهدتني مجتهداً لأذاعتها اجتهاداً لا هوادة فيه ، اجتهاداً أيسر ما يكلفني السهد والضنى والنصب .

هذه هي « اطياف » التي ترفعها دار الانصاف اليوم ، الى الشبان المؤمنين الذين نصبوا منارة القرآن فوق كل شرف ، وتألبوا حولها فيالق فيالق ، يناضلون وينافسون ويبحثون ويدعون ، لينقذوا التائهين من السقوط في مهالك أسداف المادة .

وما أسفت لاعراض جماعة ليسوا مني ، ولست منهم ، بعد أن توثقت المودات ، وتوحدت الاماني ، وتشابهت الأعمال بيني وبين الذين أحب .

أما اقبال الجميع فأمر لم يكتبه الله لأحد . بل لم يكتبه حتى لخاتم الكتب السماوية « القرآن المجيد » معجزة المعجزات الصارخة المتحدية الملموسة ، ما دام في الأرض علم وعلماء .

همسة في اذن

حين القيت كلمتي « معجزة العصمة الدفاعية في القرآن ، في قاعة خلية الملك سعود ثم أذعتها على الناس من محطة الاذاعة اللبنانية ، الكلمة التي نشرتها « مجلة الحج » التي تصدرها ادارة الحج العامة في المملكة العربية السعودية .

كتب ناقد يقول : « أراك اكثرت من اعلان كلمتك .. واخالك تريد أن يستظهرها الناس .. » .

ولو علم ناقدي أن الذين يقرأون ويسمعون ما يذاع في اللغة العربية ، ليسوا هم العرب وحدهم ، ولا المسلمين وحدهم ، بل من ورائهم المستشرقون والاخصائيون لدراسة الثقافة العربية في الجامعات ، وفي الصحف العالمية الكبرى ، وفي الدوائر السياسية الدولية . لو علم ذلك لما استكثر على محاضرة تليت على نفر أن تذاع فتنشر في مجلة حفظاً لها من الضياع .

وكم هم الكاتبون الذين يحاضرون فيذيعون فينشرون في الصحف ، واخيراً يجمعون ما نشروا في مؤلف خاص .

وهذا الذي كان مني ، فعلى أدراجهم مشيت ، ومهما يكن من شيء ، فاني أعتقد أنها ستقرأ في كل مرة لأول مرة ، لأن المطالعين الذين يعودون الى ما فرغوا مما طالعوا ثانياً وثالثاً ، هم قلة ، وبالحري في عصر يمر بالناس خطفاً ووثباً ، كأنه خفق البرق ، عصر وسمي بعصر السرعة .

غرة ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ

بقلم
هاشم دفتر دار المدني

«الجديد الجديد ...؟!!»

كلمة يكثر ترديدها بأكبار وأعجاب بعض السطحيين . وهم يعتقدون ان الناس ، لا يؤمنون بهم أنهم مجددون الا اذا أكثروا ترديدها وغالوا . فتراهم يستحسنون كل جديد ، وإن كان اخراج فريق من أمتهم ، من وطنهم «فلسطين» ، واعطاءه لقوم آخرين ، ويستقبحون كل قديم ، وإن كان نزول القرآن المجيد .

وهذا الاعتقاد الفاسد ، هو الذي جعلهم يطلقون على مثل القرآن التقدمية العليا قديمة ، ويتنادون بالتنكر لها والانصراف عنها .

مساكين ما كل جديد بحسن ، ولا كل قديم بسيء .

كم قـــديم كرقعـــة النجم حر لم يقلـــل لـــه الجديـــدان شأنـــا

وجـــديـــد عليـــه يختلف الـــدهر ويفني الزمـــان قرنـــاً فقرنـــاً

فـــاحتفظ بـــالـــذخيرتين جميعـــاً عـــادة الفطن بـــالـــذخـــائر يعني

ويل لهم ، إن الامة التي تعرض عن آيات الله ، بحجة أنها قديمة هي الأمة التي حكمت على نفسها بالاعدام .

وأصدق مثل ينطبق عليهم ما يقصونه عن باقل[1] ، أنه تنكر مرة للشمس قائلا :

الى متى نظل اسرى لهذا الكوكب الذي أكل الدهر عليه وشرب ، الى متى ؟! الى متى ؟! وأخذ يندد به ويجافيه ويناكر الذين يستجدونه ، وأجتهد أن لا يبصر أو يمس شعاعة منه ، ومن جراء ذلك اعتصم بالمغاور والغابات السوداء ، وكان اذا التقى بالناس وسخروا منه ، وغالوا في السخرية ، يصرخ غاضبا : «يا مهاويس قديم قديم» .

وفي النهاية هلك باقل محطم الاعصاب ، جامد الاطراف منزوف الدماء ، كأنه تمثال متداع في ظلمات مقبرة مهجورة .

يا هؤلاء : أما تكون نهاية الأمة التي تعرض عن الاخذ بآيات الله بحجة انها قديمة ، كنهاية باقل ، تصوروها أعرضت عن قوله تعالى : «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .

أي لم تبال أن تتفرق الى دول وأحزاب ونحل وبدع . أيْ لم تجاهدْ لتكوّن قوة واحدة .

وتصوروها اعرضت عن قوله تعالى : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...» .

---

١ — باقل رمز الغباوة والسطحية والفهم المعكوس في الأدب العربي .

أي ما اهتمت أن تجند الجنود بأَحْدث العدد الطائرة لتذود عنها الأعداء ساعة المباغتة .

وتصورها أعرضت عن قوله تعالى : «... وأنزلنا الحديدَ فيه بأس شديد ومنافع للناس ... » .

أي كم تفكر أن تتخذ من مدرعات الحديـد واقيـة لها ومضخات تسقي بها زرعها وضرعها من بأسه جنة واقية في الهواء ، او درعاً حاجزة في الماء ، لتصون حياتها من إبادة المعتدين ، كما لم تفكر أن تنتفع به حتى في صنع مكنة تخيط بها ثوبها ، أو مضخة تسقي بها زرعها وضرعها .

وتصوروها اعرضت عن قوله تعالى : «إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .. » .

أي لم تبال أن تخون أمانة السماء التي أوحاها الله لإسعادها وجمع كلمتها بل الحدثْ وكأن عاقبة أمرها خسرى .

وتصوروها أعرضت عن قوله : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » أي ما أكترثت أن تفتح الجامعات وتشيد المعاهد والمصانع والمستشفيات .. » .

وتصوروها أعرضت عن قوله تعالى : « ... وأمرهم شورى بينهم .. »

أي لم تبال أن تؤسس مجالس للشورى وإجتماعات علنية وسرية من أجل رد مؤامرات الاعداء . وأمان مستقبلها .

والخلاصة : تصوروها أعرضت عن كل الايات التي انزلها الله للسمو بالانسانية الى معناها ، ولا اقرار الكرامة والعزة والعدالة والمساواة بينها ، ولفرض التواصي بالرحمة ، وتنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، على ارافع المثل ، واسمى المبادىء أما يكون مصير الامة الحتم بعد كل هذا الاعراض ، الذلة والهوان ، ثم الفرقة والشقاق ، ثم الانقراض والزوال النهائي .

يا ملحدون ليس ما تفهمونه هو الجديد لا لا . بل الجديد في الواقع هو الذي يعطي الحياة والحرارة والتقدم بصورة دائمة ، فالشمس جديدة ، وان مر على وجودها ملايين القرون ، لانها في كل يوم تعطينا الحرارة والنور ، وآيات القرآن المجيد واحاديث رسول الله ﷺ الموثوقة جديدة ، لانها ابداً تقدم للناس حيوات السمو بالعمران والصناعات والعلوم والمعارف وكل مقومات الحضارة التقدمية الراقية .

وأخيراً أجد من الواجب . أن يفهم هؤلاء الملاحدة السطحيون أن اليوم الذي يمكن أن يأتي ، وتكون فيه آيات القرآن المجيد قديمة — أي غير صالحة للسمو بالحياة والاحياء — هو بلا

ريب اليوم الاخير للحياة والاحياء . لأن قوى الحياة الذاخرة المتجددة في آيات الله عز وجل ، لا تنفذ وان نفدت العوالم جميعاً ، ومن فيهن جميعاً .

ويل لهم ، أما يفهم هؤلاء السطحيون الاغبياء ، ان معنى عدم صلاحية آيات الله لاسعاد الحياة الانسانية ، وتقدمها واجتماعها وقوتها وعزتها وكرامتها ، نذير أكيد بأن الانسان يكون قد فسدت حواسه وعواطفه وانحلت مدركاته وتصوراته ، وتفككت عرى إرادته ، وطغت عليه اهتياجات غرائزه ، حتى بات كأنه القارب المثلوم في يد التيار العاصف المجنون الذي يحلو له أن يركب زورقاً شراعياً في بحر لُجيٍ عاصف . أو الطفل الذي يلعبُ الكرة على شفا جرف هار ...

ونهايةُ القول : إن المسلمين المثقفين يفهمون معنى التجديد أعمق مما يفهمه الملاحدة وأصدقُ وأدق . لأَنَّـهمْ هم الذين حقّق الله بهم واقع قوله تعالى : « يسأله مَـنْ في السماوات والأرضِ كل يومٍ هو في شأن » ٥٥ — ٥ .

وما دام علمُ اللهِ الأَزلي لا يتناهي ، ففي يوم وفي كل عالم يظهرُ منه للمخلوقات العاقلة ما لم يكنْ ظهر لهم من قبل أنعمْ نظرَك في معجزاتِ قوله تعالى : « إقرأ وربُّك الأكرمْ (٣) الذي علَّم بالقلم (٤) علم الانسانَ ما لم يَـعْـلَـمْ » ٩٦ — ٥ .

فهل تظن بعدَ صريح إعجاز الآيات ، أَنَّ تطوراتِ التجديد تقفُ في عالم من العوالم عند حَدٍّ ، فما بالك بعالم الانسان الذي هو عالم مُـجَـدِّدٌ مجدد بفطرته ... ومن ذلك تجدُ أئمة الإسلام الأعلام أبداً مُـجَـددّينَ ، وفي رأس كل قَـرْنٍ يرسل اللهُ في هذا العالم الإسلامي من يجدد لها أمورَ دِينها الحمد لله على نعمةِ تجديد الإسلام وكفانا اللهُ شرَّ تجديد الالحاد .

مُعجزَة العصمَة الدّفاعيَّة

محاضرة القيت على طلبة الصف المنتهي في جمعية المقاصد الخيرية

العصمة لغة الحفظ والمنع والوقاية ، والمقصود هنا الحفظ الدفاعي المؤكد من الله عز وجل ، لسيدنا محمد ﷺ .

وينبغي أن نذكر قبل المضي في البحث ان هناك عصمة أخرى معروفة ، هي العصمة المثالية : وهي كمال في الخلق ، والخلق ، ينزه الله صاحبها عن كل ما يشين ، مهما يكن طفيفا

وهذه العصمة المثالية تشمل الرسل والانبياء كافة ، في كل ادوار حياتهم .

واما العصمة الدفاعية التي هي موضوعنا ، فانها حفظ من الله عز وجل يضفيه على المعصوم حتى يكون في مأمن من بطش المعارضين المتألبين ، حفظ لن يستطيعوا معه ان يصرفوا المعصوم عن تبليغ الدعوة ، أو يحولوا ما بينه وبينها ، وان كثروا ، وإن توفرت لديهم كل وسائل البطش .

هذه هي العصمة الدفاعية التي أعلنها الله في القرآن المجيد طمأنينة لقلب سيدنا محمد ﷺ وتثبيتاً .

ولا ريب ان المقصود من اعلانها في القرآن مراراً مع وفرة الاعداء المتآمرين على اغتياله ﷺ سرا ، والمتجمهرين لقتله علانية ، هو التحدي الصارخ الذي ليس وراءه تحدي وقد نقلوا عن أحد الكتبة الفرنسيين قوله : « ان اعجوبة القرآن ، هو تحديه الثائر ضد المشركين الفتاك في إعلان ، عصمة حياة محمد ، على الرغم من عنف سخطهم وتألبهم للفتك به خفية وجهرة » .

والآن يجدر بي ان اقدم بعض آيات التحدي ، التي أعلن الله فيها ان رسوله محمداً معصوم ، رغم مؤامرات الكافرين السلبية[1] والايجابية المتتابعة ، واعلن أن قيام الإسلام وانتصاره أمر مفروغ منه ازلا .

(١) : نجد في الآية الآتية أن الخالق العظيم يأمر رسوله ﷺ — أن يجهر بالدعوة بقوة وحزم — بعد أن كانت سراً — وأن لا يبالي بمعارضة المشركين المستهزئين : « فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين » .

١ — كفرض الحصار عليه وعلى اتباعه ثلاث سنوات في الشعب .

ولما كانت الدعوة الإسلامية تشتمل على كل المثل التقدمية العليا ، فاعلانها في أي مجتمع يلقى مقاومة عنيفة من الرجعيين المتأخرين ، فما بالك بمجتمع جريء مقدام موجهة كل عزائمه الى الذود عن تقاليده الوثنية الهدامة ، كالمجتمع العربي في العصر الجاهلي .

من أجل ذلك طمأن الله قلب رسوله الكريم بأنه في كفاية من العصمة ، وأن المشركين المستهزئين لن يستطيعوا أن ينالوا منه أي منال يمنع تحقيق دعوة الإسلام ولأجل بيان أن هذه العصمة من ارادة الله التي لن تتخلف ابداً عبر عنها بلفظ الماضي الدال على حصول الشيء بكل ابرام وتأكد : «إنا كفيناك المستهزئين» ولهذا السمو البياني نظائره في القرآن المجيد ، ولننظر قوله تعالى في تأكيد مجيء يوم القيامة .. «اتى أمر الله» اما تفهم ان المقصود انه يأتي اتيانا مبرماً غير قابل للنقض ابداً ..

(٢) : ونجد هذه العصمة صريحة كل الصراحة في قوله تعالى :

«يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، ان الله لا يهدي القوم الكافرين» .

وقد ذكر الحضيري في الخصائص أن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ اذا خرج بعث معه أبو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الآية فقال له «يا عم إن الله عصمني من الجن والانس فلا حاجة لي بمن تبعثه معي ولأجل إجازة الحراسة لأولي الأمر سمح رسول الله لسعد ابن أبي وقاص أن يحرسه ليلة في المدينة المنورة .

(٣) : ونجد في الآية الآتية اجمالا لمؤامرة من المؤامرات الماكرة الفاشلة التي كان يعقدها الكافرون ويتداولون فيها الرأي وكيف كان يقترح بعضهم اثناته أي حبسه وبعضهم قتله ، وبعضهم ابعاده عن الوطن : «وإذ يمكر بك الذين كفروا ، ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ، ويمكر الله . والله خير الماكرين» .

(٤) : ونجد الآية الآتية ، انذرت قريش واشياعها بالفشل في مقاومتهم دعوة الاسلام وافهمتهم ان كل ما ينفقونه من أموال من أجل ذلك ستعود عليهم بالحسرة والغلبة .

«ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون» .

أجل هذا وعد الله لرسوله ، وهو يقاسي الامرّين من حروب الكافرين ومؤامراتهم . ووعد الله حق ، وما تخلف ولن يتخلف ابداً .

وكما اكد الله ان عصمة رسوله ﷺ من شر مكايد الكافرين محتومة منه ، أكد ايضاً ان انتصاره عليهم ، وانتشار دينه محتوم . بل واكد في انذار مرعب ان زعماء الكافرين المعاندين

سيحيق بهم الهلاك ، ويؤول أمرهم الى خسران ولكي يستيقظ اولئك الزعماء المعتدون الى هول الوعيد الذي وجهه الله اليهم عرض عليهم نهايتهم في مثل واضح من عبر التاريخ الذي يقص هلاك أمثالهم من الكافرين المعاندين لرسل الله من قبل .

ومن أجل ذلك حين أنفذ الله وعيده فيهم في غزوة بدر الكبرى وقد قتلوا جميعاً وقذفوا في القليب ، وقف رسول الله ﷺ على شفة القليب وناداهم باسمائهم واسماء آبائهم واحداً واحداً .. »

ثم قال لهم .. « إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا . فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا .. »

« واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ، اذ جاءها المرسلون ، إذا ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا اليكم مرسلون . قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون » .. وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء ، وما كنا منزلين . إن كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون » .

(٥) : واذا تتبعنا نهاية المنافقين الذين كان اليهود يسخرونهم لتنفيذ مؤامراتهم ضد رسول الله — ﷺ — وضد أمتهم . لصغر احلامهم ، وتفاهة نفوسهم نجدها وفق ما قص الله عنهم في القرآن المجيد ، ولنتل كشاهد هذه الآيات الكريمة التي جاءت في سورة الاحزاب : « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض ، والمرجفون في المدينة ، لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ، ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

وهكذا نجد الكافرين الذين رفضوا ، ان يفهموا المثل التقدمية العليا التي أوحاها الله على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ ونصبوا أنفسهم لها اعداء ، وعرفوا أكثر من سواهم بشدة اذاهم ، وتآمرهم ومقاتلتهم — اصنافاً ثلاثة :

١ — قريش ومن انحاز اليهم من مشركي العرب .

٢ — المنافقين في المدينة .

٣ — اليهود الذين كانوا يقطنون المدينة وخيبر .

ولا ريب ان المنافقين كانوا يظهرون الإسلام ، ويضمرون الكفر . الا نجدهم — حين اذاع بن قمئة ، في غزوة أحد ، أنه قتل رسول الله ﷺ سارعوا في تصديقه ، واظهروا كفرهم ، ولولا أنهم سارعوا في تصديقه ، ورددوا كلمة القتل ، التي يهدفون من ورائها الى الانقلاب على الإسلام ، لما ذكر الله في الآية القتل المستحيل على رسول الله ، بمقتضى العصمة ، مقابل الموت . أجل ذكره الله ليدل على ما في نفوسهم ، وليعلم المؤمنون : —

١ — ان المنافقين صدقوا ما اذاعه ابن قمئة ، وصمموا الانقلاب على الإسلام .
٢ — إنهم على استعداد لإظهار ما أخفوا من الكفر كلما تأتت له الظروف .
٣ — ان رسول الله هو صاحب رسالة ، مؤديها ومنتقل الى ربه ، شأن الرسل من قبل ، وأن الابقاء على الرسالة يقوم على اكتاف المؤمنين الصادقين ، وتضحياتهم في سبيلها .
٤ — أن الشكر الحقيقي هو هذا ، وأن جزاءه كبير لأنه من الله عز وجل .

« وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه ، فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين »[1] .

وكم من اعجاز بياني في التعبير بأن التي تفيد الشك في مساواة القتل بالموت بالنسبة لحياة رسول الله المعصوم ، رغم طمأنينة المنافقين اليه ، وترديدهم له . ولو لم يكن القتل في حقه ﷺ مستحيلا لجاء التعبير باذا التي تفيد اليقين في المساواة بدلا من إن ...

وغاية ما يمكن أن نستطرد اليه هنا كنهاية للبحث ، أن نذكر جملة من آيات القرآن المجيد ، التي فيها بيان ما يؤول اليه أمر اولئك الكافرين ، من فشل وخسران وشتات وهلاك ، وبيان انتصار الاسلام ، وانه — لا بد — آخذ طريقه الحي بين الاحياء ، وأن القرآن المجيد محفوظ من التغيير والتبديل إلى يوم القيامة .

« وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم » .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » .

« وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ، ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير »[2] .

« كتب الله لاغلبن انا ورسلي إن الله قوي عزيز »

« قل للذين كفروا ستغلبون »

« فأصابهم سيئات ما عملوا ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون »[3] : « يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون »[4] .

(١) آل عمران ١٤٤ .
(٢) فاطر ٢٦ .
(٣) النحل ٣٤ .
(٤) الصف ٨ ومن شاء التوسعة فلينظر هود ١٢٠ النمل ٣٦ يوسف ١١٠ الانعام ١٠ و ١١ و ٣٤ الحج ٤٢ الى ٢٤ الزخرف ٢٣ الى ٢٥ ابراهيم .

وعرض كل النصوص الواردة في القرآن المجيد حول العصمة ليس سهلا ، لأنها كثيرة جداً ، تستفرغ سفراً كاملا . ولكن الذي أرى من الواجب استعراضه وعرضه ، هو ذكر جانب من المؤامرات والمكايد والحروب ، التي ابطل الله مفعولها ، وردها عليهم ، خزيا وعاراً ودليلاً على وهن تفكيرهم ، وجرأتهم على الله ورسوله ، وعلى الحق والنور والهدى ، بغير تبصر في عواقب الامور ، وستجد شواهد ما اسلفنا من النصوص في الفصل الآتي .

شواهد العصمة الدفاعية

كل الامر ان الزعماء والقادة المعاصرين لرسول الله ﷺ ، لم يكلفوا أنفسهم النظر في المثل التقدمية العليا ، التي أوحاها الله عليه من أجل إسعاد الحياة الانسانية كافة . ويا ليتهم اكتفوا بذلك ، ولم يقعدوا لها في كل سبيل ، ويدبروا المؤامرات ويشنوا الغارات لاستعجال القضاء على حياة رسول الله ﷺ .

والعجيب أنه لم يخطر لهم على بال ، ان ما جاءهم به من عند الله عز وجل فيه فوق ما يشتهون لأنفسهم وأمتهم ، من شوكة وسلطان وامجاد وطيبات .

أنى يخطر ، وهم كلما وافاهم علم شيء منه ، تخيلوه يمس مراكزهم ولو من بعيد ، فيسارعون في رفضه واستهجانه والتشهير به ، بين القبائل ، طيشاً وتسرعاً .

وكل الحجج التي كانوا يبررون بها استعجالهم في مقاومتهم الهوجاء الطافحة بالأثرة والغرور والكبرياء والشرف الوضيع . هي أن رسول الله ﷺ ، لا يملك أموالا طائلة تجعله كبيراً في أنفسهم الصغيرة ، وانه إنسان مثلهم ، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . وفوق ذلك يعلن أنهم أموات ، بما يحملون من تقاليد آبائهم واوضاعهم الشاذة .

يا ويل زعماء الجاهلية الوثنيين ، كم من مؤامرات دبروها ، وكم من غارات شنوها على فشل واخفاق . وكانوا كلما أخفقوا في مؤامرة ، أو فشلوا في غارة ، سارعوا في انفاذ سواها فهم ابداً متربصون برسول الله ﷺ الدوائر ، على الرغم من النداء بعصمته الدفاعية ، في القرآن . ذلك لأنهم اعتقدوا ان النداء بعصمته في القرآن مجازفة ما بعدها مجازفة ، وان لجاجهم في التربص به لا بد أنه مفض بهم الى القضاء عليه .

وجاء في ذلك قول الله عز وجل : «ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون» .

ولما كانت عصمة رسول الله ﷺ ، لا ريب فيها ، أمره سبحانه وتعالى — استخفافاً بهم — ان يحثهم على التربص به ، ما وسعهم الامر ، ولكن مع انذارهم بتربصه هو بهم ، تربصاً لا عاصم لهم من قوارعه القاصمة .

«قل تربصوا فاني معكم من المتربصين» .

وكم من فارق بين تربص رسول الله ﷺ ، وتربص اولئك الجاهلين : —

١ — تربصه ﷺ ، — وإذا كان انذاراً من الله — إلا أنه مفعم بالاشفاق عليهم . والرغبة الملحة في انقاذهم ، مما هم فيه من هوان الفرقة ، وذلة عبادة المخلوقات .

٢ — وتربصهم حاقد جبار يطفح بشرور أنفسهم الحقيرة ، ونزوات غرائزهم غير المكبوتة بالايمان ، وبأعمالهم السادرة الرعناء :

وقد سلكوا في تربصهم مسلكين متباينين ظاهراً وخفياً . يهدفان إلى غاية واحدة . هي القضاء على حياة صاحب الرسالة ﷺ واطفاء شعلة وحي الله التي أضاء نورها في قلوب المؤمنين .

المسلك الخفي

هذا المسلك يشمل جميع المؤامرات التي كان اعداء رسول الله يبرمونها وينفذونها ، ويحبطها الله ، ويعصم رسوله ودينه من شر الوقوع في حبائلها ، ويخذلهم شر خذلان .

وفيما يلي نجمل طائفة من المؤامرات :

١ — مؤامرة أبي جهل

لم يكن عمرو بن هشام واحداً بين الزعماء الذين استعجلوا الكفر بمثل الاسلام العليا ، واشتركوا رعونة منهم ، في تدبير المؤامرات ضد صاحب الرسالة ، وإنما كان واحدا في احقاده الجهنمية السافلة ، التي كشفته في احدى مؤامراته الفاشلة ، مجرماً مغتالا يحمل حجراً ضخماً ترفع عن حمله حتى من كان دونه من الزعماء ، معتزماً أن يرضخ به رأس رسول الله ، أين ؟ يا سلام ! ! في المسجد الحرام حول البيت ، وهو مستغرق في سجوده لربه عز وجل ، يا للقسو إنه لم يتعظ ، وقد رده الله على عقبيه خاسراً مرعوباً .

٢ — مؤامرة عقبة بن أبي معيط

ولم يكن عقبة هذا بأقل حقداً وكراهية لحياة رسول الله ﷺ من أبي جهل .

ها هوذا اللعين هجم على رسول الله وكاد يخنقه وهو يصلي في الحجر ، ولكن الله ارسل الصديق في هذا الوقت ، فحين شاهده على حاله تلك ، هجم عليه ، وشده من منكبه ،

ودفعه عن رسول الله ، ﷺ ، دفعة شديدة ، وهو يتلو قوله تعالى : « اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » .

٣ — تآمر زعماء قريش

كان تآمر زعماء قريش هذا ، قبل فرض الحصار على رسول الله وقومه . وكانوا يهدفون إلى أخذ رسول الله ﷺ ، من أبي طالب بالمحاسنة :

كاغرائهم بتقديم دية مضاعفة مقابل تسليمه للقتل ، أو ابداله بشاب غرانق من شبانهم ، يتبناه أبو طالب .

أما بعد فرض الحصار فكان الامر بالعكس . ولكن الله عصم نبيه في الحالين .

فما كاد الحصار يبلغ بأبي طالب وقومه من اليأس نهايته حتى سلط الله الخلف بين زعماء قريش ، تسليطاً انتهى بفكه ، وذلك بعدما ابلغ رسول الله ﷺ ، عمه ابا طالب طمأنينة لقلبه بأن الارضة التهمت صك الحصار الظالم ، ولم تدع غير اسم الله عز وجل إيذاناً بانتهاء الظلم والظالمين .

٤ — مؤامرة ليلة الهجرة

كان وقع نبأ اسلام أهل المدينة شديداً على زعماء قريش ، وقد تخوفوا على أنفسهم عواقب ذلك ، لوفرة ما اسفلوا من مؤامرات وأذى وبطش في حق رسول الله ﷺ ، وفي حق أصحابه .

وقد ضاعف خوفهم هجرة الذين اسلموا منهم إلى المدينة ، مما جعلهم يعقدون مؤتمراً حاشداً للنظر في خطورة هذه الهجرة ، مؤتمراً ، اتفقت كلمتهم فيه على اختيار اربعين شابا لكي يفتكوا برسول الله ﷺ مجتمعين ، وبذلك يتفرق دمه بين القبائل ويصعب الاخذ بثأره .

وقاد هؤلاء الشبان ، رئيس الوثنية الهدام أبو جهل . الذي أخذ يتندر برسول الله واقواله ، ليغطي وجه الجريمة البشع ، الجريمة المنكرة التي يحاول اقترافها اذ يقول لهم :

« إن محمداً يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم إذا بعثتم من بعد موتكم ، جعلت لكم جنات كجنات الاردن ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم نار تحرقون بها » ثم ينفجر في ضحك عريض مصنوع وينفجرون وهو يهز لهم رأسه سخرية واستخفافاً بما يقول .

واخيراً لم تكن هذه المؤامرة بأسوأ عاقبة من سابقاتها خذلاناً واخفقاً .

وصفوة القول إن الله عصم رسوله ﷺ . ولم ينتفعوا باهتدائهم الى الغار ، لأن العصمة هي العصمة ، ولو كان محل اختفائه نفس ابصارهم واسماعهم .

ها هو رسول الله يسير في العراء والى جانبه الصديق ، وما بينه وبين سراقة بن مالك المدلجي المغامر الجريء ، سوى غمزة شوط لجواده . ومع ذلك لا يباليْ به رسول الله ﷺ ولا يبالي ، بل لا ينقطع عن تلاوته ، ولا يلتفت اليه . على كثرة ما التفت الصديق ، خوفاً على رسول الله (ص) .

واخيراً ما وسع سراقة الفتاك النهم ، الا ان يبادله الامان ، ويستكتب بذلك صكا .

٥ ــ مؤامرة دعثور

جمع دعثور الغطفاني بني ثعلبة ومحارب من غطفان ، ليغير بهم على المدينة . ولكن رسول الله بادر اليه وصده .

إذ لم تكد رجاله ترى رسول الله ﷺ ، وصحبه المجاهدين الابطال ، حتى لجأوا الى قمم الجبال ورأى رسول الله ان يعسكر حول ماء هناك وتفرق عنه اصحابه يستريحون من عناء المسير ، وقصد رسول الله الى شجرة ، ونشر عليها ثيابه يجففها من مطر اصابها ، وكان دعثور يرصده من بعيد ، فحاول أن ينتهز فرصة انفراده ، فانسل اليه شاهراً سيفه مهدداً « من يمنعك مني يا محمد ، فقال رسول الله ﷺ « الله » ..

ارتجفت يد دعثور وسقط منها السيف ، فتناوله رسول الله ، وناداه بدوره « دعثور من يمنعك مني » قال لا أحد فتجاوز عنه ..

وهكذا عصم الله رسوله من الاغتيال ، وأسلم دعثور وقومه ، واصبحوا من جنود الاسلام .

٦ ــ مؤامرة اليهود

لما فتح الله خيبر لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وتم له الامر ، قدَّم اليهود لرسول الله شاة مشوية كانوا قد دسوا فيها السم ، بواسطة زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم .

وكان مع رسول الله بشر بن البراء بن معرور ، فتناول منها رسول الله لقمة ، ولكنه لفظها ، ولم يسغها ، وهو يقول : « ان هذه الشاة تخبرني انها مسمومة ، وطلب احضار زينب التي طهتها فاعترفت . فقال لها : « ما حملك على ذلك . فقالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك .

فقلت : «إن كان نبياً فسيخبر ، وإن كان ملكاً استرحنا منه ، فعفا عنها ، وقد قتل السم بشراً ، لأنه كان قد ابتلع لقمته .

فأنت ترى أن الله عصم رسوله من السم ، كما عصمه من مؤامرة قذف الحجر عليه من أعلا الحصن .

٧ — مؤامرة عامر بن الطفيل

جاء عامر بن الطفيل على رأس وفد من بني عامر ، مظهراً أنه يريد الاسلام ، ومبطنا الغدر .

وكان قد استصحب معه أربد الفاتك المشهور .

وأخذ عامر يشغل رسول الله ﷺ بالحديث ، ليخلي لاربد فرصة اغتياله . ولكن الله عصم رسوله ، فلم يستطع اربد ان يتحرك من مكانه .

وحين انصرف عامر من مجلس رسول الله ﷺ دعا عليه «اللهم اهد بني عامر ، واشغل عني عامر بن الطفيل كيف شئت ، وانى شئت» ؟

فأهلكه الله ، وكانت عاقبة أمره خسراً .

وأما المسلك الظاهري فانه يتناول كل الغارات التي شنها زعماء الجاهلية ، للقضاء على صاحب الرسالة والرسالة معا . الغارات التي أبطل الله مفعولها ، وهي مبسوطة في كتب السير .

وهكذا يظل الإسلام في رعايةٍ من طائفة من المسلمين تكون صادقة الإيمان عالمةً بحقائق معجزاته مقدرةً منافعه للإنسانية وهي الطائفة . التي تبقى دولتها خالدة باقيةً الى يوم القيامة أجل أجل أشار رسول الله صلى لله وسلم عليها إذ قال : «لا تزال طائفة من أمتي متمسكة بالحق لا يضرهم من ضل حتى يأتي أمرُ الله، اللهم أيدها بالنصر كلَّ مَن يبذلُ في سبيل نصرةِ دينك بالنفس والنفيس ...

مُعجِزَاتُ السَّبعِ المثَانِي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾
ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ
ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

(١) هذه محاضرة قيمة القيت على خريجي الكلية الشرعية في بيروت تشرح بعض ما أودع الله من أعجاز في أم الكتاب .

محاضرة تفسير الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

جاء خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ . والناس مجمعون . وإن اختلفت نحلهم — على عبادة الآلهة المتخذة من الارواح المعتقدة أنها حالة في أشياء الكائنات : من إنسان وحيوان ونبات وجماد . ومجمعون على الخوف من هاتيك الاشياء المعبودة لهم . مما جعلهم يحذرون البحث في كنهها . وكشف اسرارها . وكانوا إذا صلوا صلوا لها — كل حسب طقوسه — وإذا طلبوا الحول والمعونة والسعادة لجؤا اليها . وإذا افتتحوا شؤونهم ذات البال . افتتحوها بأسمائها .

وكانوا يتخيلون أن لآلهتهم تلك قُدراً جبارة لا تحد ، تحفظهم من غائلة ، ما بخشون . تلك هي آلهة البشر المعبودة قبل البعثة المحمدية .

لذلك كان أول شيء نهض له سيدنا محمد « ص » . هو تحرير البشر من عبادة الآلهة الباطلة . وجعلهم يفطنون انها مخلوقة ، وأن المخلوق غير الخالق قطعاً . ويفطنون ايضاً ان ذكر أي اسم من اسمائها لا فائدة له . ولا رجاء منه . لأن ذكره كفر صراح . وإنما الذي يجب أن يذكر اسمه ابداً . وفيه كل الفائدة . وكل الرجاء ، هو إسم الخالق العظيم ، هو إسم الله وحده « بسم الله » .

ولما كانت عبادة الامم القديمة الوثنية . الإفتنان في تعذيب النفس وحرمانها من الطيبات ، قرباناً لتلك الآلهة وتملقاً لها ، ولما كان تصورهم لها . أنها جبارة محطمة ، وانها مائقة سريعة الغضب ، جاء الوحي الالهي باسمين من أسمائه تعالى ، مشتقين من الرحمن . تأكيداً لشمول رحمة الله ، وايذاناً بالطمأنينة : « بسم الله الرحمن الرحيم » : ورحمتي وسعت كل شيء » .

ولكل هذه المقاصد السامية ، جعل الله البسملة آية في فاتحة الكتاب . سواء كانت آية من كل سورة بالذات . او آية خاصة انزلها الله للفصل بين السور .

وقد تساءل كاتب الغالب في التأكيد اللفظي . ان يكون عين اللفظ « الرحمن الرحمن » فلماذا عدل عنه . الى الرحمن الرحيم ، والجواب :

اننا نجد في الرحمن الرحيم ، أربع اشياء .

١ — نجد افتناناً في الاسلوب .

٢ — وخفة على اللسان .

٣ — مع بيان ان المنعم بجلائل النعم ودقائقها هو الله وحده .
٤ — ومع اختلاف معنى الوزنين . وإن اشتركا في أصل اثبات الرحمة[١] .

فوائد

الأفتتاح بالبسملة كما تجده مطلوباً في أوائل سور القرآن . تجده مطلوباً في افتتاح كل أمر جليل ، كما قال رسول الله «ص» : «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر او اقطع أي كل أمر هام . كالقراءة والأكل والشرب .

هذه السورة هي أم الكتاب . أي أصل الكتاب ولولا انها أصل الكتاب لما جعلها عدلا للقرآن المجيد : ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم .

وهذا حق فان كل ما جاء في القرآن العظيم من أوجه الاصلاح منطو في الاهداف الرئيسية التي أنزلت لأجلها هذه السورة الكريمة .

ولكي نستوعب ذلك ، فما علينا إلا ان ننعم انظارنا طويلا ، في اهداف كل آية بالذات ، وما تنطوي عليه من أوجه الاصلاح ، الذي يقصد به معالجة ادواء الانحطاط ، الوضيع المتغلغل في حياة الجماعات والافراد ، في اواخر أيام الفرس والروم . ذلك الانحطاط الذي كان نذيراً صارخاً بقرب هلاك البشرية ، وارتداد بقاياها إلى ظلمات المغاور والكهوف لولا أن تداركها الله بالقرآن المجيد على يد خاتم الانبياء ، سيدنا محمد «ص» .

أجل ان فاتحة الكتاب ، شأنها جليل جداً ، والذي يدلنا على ذلك . انها أول سورة كاملة نزلت . فقد روي عن سيدنا علي (رض) انه قال : «إن اول سورة كاملة نزلت من القرآن المجيد «هي أم الكتاب» وسميت الفاتحة لأنها السورة الأولى في القرآن المجيد» .

وفيما يلي نذكر ما يسره الله تعالى من بيان أهداف كل آية على حدة حسب تسلسلها .

الحمد لله

جاء خاتم الانبياء والرسل . وافراد البشر وجماعاتهم كانوا إذا المت بهم نعمة أو ازيحت عنهم نقمة . لجأوا بالحمد والشكر إلى اربابهم ، التي اتخذوها من شتى عوالم الوجود واجهدوا أنفسهم بالعبادة والضراعة لها . لتحفظ عليهم النعم وتدفع عنهم النقم في زعمهم .

---

(١) ومن اراد التوسعة فليراجع ما كتبه الامامان الشيخ محمد عبده ، والسيد رشيد رضا حول اعجاز أم الكتاب .

وكم كان لانحطاطهم في الحمد والشكر ، الى اربابهم الوضيعة ، من تأثير سيء في انحطاط وعي الروح والفكر والخلق .

أجل كان لاختلاف أربابهم ، التي يلجأون اليها عابدين حامدين ، اسوأ التأثير في نفسياتهم . وتضارب اتجاهاتهم .

ذلك الانحطاط هو الذي كان عليه حال الجماعات والافراد ، في ارفع مظاهر العبادة ، أي في حمد المخلوقين لخالقهم ، على نعمه التي لا تحصى .. ولأجل إصلاح هذا الفساد الديني . نهضت الآية بهم الى المثل الأعلى ، نهضت بهم الى حمد خالقهم الحق الى حمد الله وحده .

رب العالمين

لما كانت كل جماعة تعتقد أن ربها هو الخالق الحق المستحق العبادة والحمد. ذكر الله هنا صفات الخالق الحق ليعلم الذين يعبدون ويحمدون اربابا باطلة أي اربابا مخلوقة ، أمثالهم لا تضر ولا تنفع .

ونحن اذا تدبرنا معنى رب المقصود منه الخالق العظيم . ومعنى العالمين المقصود منها جميع المخلوقات المادية والروحية أمكننا أن نستخرج جملة صفات الله المودعة في جملة (رب العالمين) .

واضح ان معنى رب اذا اطلقت على الخالق العظيم دل على الربوبية العامة الخالقة لكل عوالم المادة والروح ، وفق السنن والنواميس ، التي خصصتها ارادته وأبرزتها قدرته مع شمولها جميعاً بالرعاية والحفظ وإمدادها بسر البقاء .

والواقع اننا نجد في جملة رب العالمين جملة صفات الله الخالق الحق نجد أنه (١) لا أول له وأنه لا آخر له (٢) وأنه لا شبيه له (٣) وانه واحد (٤) وانه لا سلطان فوق سلطانه (٥) وان العوالم كلها مشمولة بربوبيته (٦) وانه وحده الخالق والعوالم كلها مخلوقة (٧) وان كل الارباب المعبودة من دونه باطلة (٨) وانه قادر ومريد وعالم وسميع وبصير وبالاجمال نجد أن جملة (رب العالمين) تحيل كل صفات النقص ...

١ ــ رب العالمين لا أول له ، اذ لو كان له أول لكان مخلوقاً ، أي مربوباً مثل كل افراد العالمين ، ولو كان مثلها لما صح أن يكون ربها ، لأن المربوب لا يكون رب العالمين هذا محال .

٢ ــ (رب العالمين) لا شبيه له في ذاته وفي صفاته وفي افعاله ، أما أفراد العالمين المادية والروحية فكلها متشابهة في خضوعها : لسلطان النواميس في ذواتها وصفاتها وافعالها ، فلو كان

رب العالمين يشبهها في خضوعها لسلطان النواميس ، لكان محدوداً في ذاته وصفاته وافعاله ، ولو كان محدوداً في شيء من ذلك لكان مربوباً . أي خاضعاً لمن وضع الحدود وفرضها على كل المربوبين من الارواح والمواد . والمربوب غير الرب قطعاً .

إذ لوكان المربوب رباً ، لصح ما يعبده أهل الاديان الوثنية والاشراكية أي الذين يعبدون الروح الحالة فيما يعبدون بحجة ان الروح هي الخالق العظيم ، وهي حجة باطلة جاءت من اساطير الاولين ، القائلة : ان الروح روحان روح مخلوقة ، وروح خالقة ، وهو أشبه بقول الذين قالوا هناك مادة مخلوقة ومادة خالقة وهكذا تفعل الاوهام والتقاليد ..

٣ — رب العالمين : واحد لأن لفظة رب تدل على الوحدانية ، ولأن لفظة العالمين تدل على التعدد . فيكون مدلول الجملة هكذا ، العوالم المتعددة ربها واحد ، وهذا حق فان الارباب المتعددة ، كلها متخذة من أفراد العالمين المادية أو الروحية ، لاعتبارات خاصة ، وفلسفات فارغة ، لا تقدم ولا تؤخر ، في حساب واقع المعرفة ، وهي وإن تجاوزت الآلاف ، فانها لا تبطل الحقيقة الواحدة ، حقيقة رب العالمين اذ محال أن يبطل المخلوق خالقه . وهو في قبضة يده . وتحت قهره وسلطانه ، وبه يبقى ويزول : وما شأنها مع رب العالمين ؟ وهي وليدة الاوهام والخيالات . فلنأخذ مثلا « النير فانا » أو الروح الحالة في سماء اليابان أو الروح الكلي أو الروح الجزئي ، أو سوى ذلك من الاساطير المعتقدة ، لدى البشر أنها حقائق . فاننا نجد عابديها قد اتخذوها من « عالم الروح » .

ولنأخذ « ادريس » و « لاوتسو » و « برهما » و « بوذا » و « الباب » و « وأغا خان » وسواهم ، فاننا نجد عابديهم قد اتخذوهم من عالم الانسان . ولنأخذ « العجل » أبيس و « الفيل الابيض » و « الابقار » .

فاننا نجد عابديها قد اتخذوها من « عالم الحيوان . ولنأخذ « ذات انواط » والشجر الواقي من الصواعق» المعبودة في الهند والاشجار المعبودة في افريقيا ، فاننا نجد عابديها قد اتخذوها من عالم النبات ، ولنأخذ « الشمس » و « الشعري » و « الزهرة » وسواها فاننا نجد عابديها قد اتخذوها من عالم الكواكب ، ولنأخذ « اللات والعزى » و « عشتروت » و « هبل » فاننا نجد عابديها قد اتخذوها من عالم الاحجار .

والخلاصة لوكان ثم رب آخر ، لما صح أن يكون الله الخالق العظيم واحداً أحداً ، بل لما صح أن يكون رب العالمين جميعاً . ولاختلط أمر العبادة بين الخالق والمخلوق وهذا الاختلاط هو عين الكفر ، وهو اعتقاد الوثنيين الذين جعلوا لكل عالم ربا خاصاً به ، فاعتقدوا ان للنجوم ربا ، وللغابات رباً ، وللحرب رباً ، وللخمر رباً ، وللسحاب رباً ، وهلم جرا ...

٤ — رب العالمين : لا سلطان فوق سلطانه . ولا ريب ان سلطان رب العالمين فوق سلطان النواميس وعوالمها الخاصة والعامة . كناموس الجاذبية . وناموس التفاعل الطبيعي وناموس الكلية والجزئية . وناموس التوالد ، وناموس الظهور والخفاء ، والحلول والانتقال ، الكائن في عالم الروح . وسوى ذلك من النواميس المرتبطة بها عوالم المادة . وعوالم الروح ، التي خلقها الله ويسرها حسب ما يريد .

وسلطان رب العالمين لو لم يكن فوق سلطان النواميس لكان خاضعاً لأحكامها . ولو كان خاضعاً لأحكامها لانقلبت الحقائق ، وأصبح الخالق مخلوقاً ، وهذا محال قطعاً «تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً» .

٥ — رب العالمين : هو المتصف بالربوبية العامة الشاملة لكل العالمين . اذ لو لم تكن ربوبيته عامة وشاملة ، لكل العالمين . لكان بعض أفراد العالمين خارجاً في أصل خلقه . وتمثيل دوره في الوجود ، عن عهدة رب العالمين ورعايته وهيمنته . وهو يقتضي أن بعض أفراد العالمين ليست من العالمين وهذا تناقض .

٦ — رب العالمين : هو خالقها وما عداه من أفراد العالمين الروحية والمادية مخلوقة له . ذلك لأن رب العالمين يستحيل أن يكون مخلوقاً مثلها . إذ لو كان مخلوقاً مثلها لما صح أن يكون خالقها .

٧ — رب العالمين : هو الخالق العظيم ، المعبود بحق ، وما عداه من الارباب المعبودة ، التي اتخذها البشر من اشياء الكائنات هي ارباب باطلة ، وعبادتها كفر ما بعده كفر ، لأنها عبادة مربوب لمربوب مثله . لذلك أرشدنا الله الى أنه رب العالمين لكي نخصه بالعبادة ، ونترك عبادة سواه .

٨ — رب العالمين : لا ريب أن رب العالمين يجب أن يكون قادراً ، ومريداً وعالماً وسميعاً ، وبصيراً ، لأن العالمين . وما في افرادها الروحية . والمادية ، من ابداع الخلق ، وإتقان الصنع ، وعميق الاسرار وكبير العجائب ، وغرائب النواميس . توجب لخالقها العظيم عز وجل ، كل صفات الكمال ، وتنفى عنه كل صفات النقصان ، وقد سلفت الإشارة الى ذلك .

اذن فنحن إذ فهمنا من كلمتي رب العالمين ، أنه تعالى قادر ، ادركنا حالا ، أن المقصود هي القدرة الإلهية الازلية المناسبة لذاته العلية ، أي القدرة التي لا يخالطها العجز والتغيير والزوال . القدرة التي لو وجهتها إرادته سبحانه وتعالى الى ازالة العوالم كلها ، لأزالتها أسرع من لمح البصر . ولو وجهتها ارادته لاعادتها أو ايجاد سواها من العوالم ، لفعلت ذلك ..

ونحن اذا فهمنا من كلمتي رب العالمين أنه تعالى عالم . ادركنا حالا أن المقصود هو العلم الازلي الشامل ، لأن الله الذي خلق العوالم كلها ، وأحاطها بربوبيته المهيمنة روحاً روحاً ، في عوالم الروح . وذرة ذرة ، في عوالم المادة ، والذي يعلم ما كان وما يكون ، من قبل خلق العوالم ، ومن يعلم ما كان وما يكون ، من قبل خلق العوالم ، ومن بعدها ، محال أن يكون المقصود من لفظة عالم اذا اطلقت عليه عز وجل ، ذلك العلم الانساني المحدود بالبداية والنهاية ، والتذكر والنسيان ، والزيادة والنقصان ، المنبثق عن الالمام بجانب ضئيل من معرفة حقائق العوالم .

أجل محال أن يكون علم رب العالمين محدوداً أي غير شامل ، او يكون مسبوقاً بجهل أو له بداية أو نهاية ، شأن مفهوم عالم ، إذا أطلق على أحد افراد العالمين .

وكذلك نحن نستدل من كلمتي رب العالمين ، أن خالق الوجود سميع وبصير ، لأنه لو لم يكن سميعاً وبصيراً ، لما صح إطلاق رب العالمين عليه . اذ محال أن يكون رب العالمين الذي خلق ملايين الملايين من الأصوات المختلفة في كل عالم من العوالم ، قوة وضعفاً وجمالاً وقبحاً ، غير سميع . وهذا ما يقال عن صفة البصر لله تعالى .

اذ محال أن يكون رب العالمين الذي خلق كل هذه الاشكال والألوان والاوضاع والحجوم وسوى ذلك ، خلقها وهو لا يبصرها .

على أن الصمم والعمى صفتان من صفات النقص يستحيل اتصاف الله الخالق العظيم بهما .

إذن فالخالق العظيم سميع وبصير قطعاً ، وسمعه وبصره لا يشبهان سمع أي مخلوق وبصره ، ذلك لأن سمع المخلوق وبصره مقيدان بقيود آلتي السمع والبصر ، الكائنتين في ذات السميع والبصير ، سواء كان من عوالم المادة أو من عوالم الروح .

الا إنَّ سمع الله وبصره غير محدودين بحدود الزمان والمكان . وغير مقيدين بقيود الآلة . بل هما ازليان ، ومطلقان وغير مقيدين بحدود الزمان والمكان . والآلة والكيف والتمثيل والتشبيه ، وقل مثل ذلك في كل صفات الكمال ، الواجبة لرب العالمين ، وإن لم تكن كذلك مطلقة من الحدود وسلطة النواميس ، والاولية والالة وسوى ذلك فمحال اطلاقها على رب العالمين وخالق الخلق أجمعين .

والخلاصة يجب علينا أن نؤمن بكمال صفات الله ، كما آمن بها السلف الصالح مفوضين أمر مدلولاتها لله عز وجل غير مؤولين . وغير صارفين معنى انى سواه ، خشية الوقوع في الخطأ ، إذ نعلم أن معاني الفاظنا الارضية المحدودة ، بحدود نواميس المادة والروح معاً ، إذا اطلقت على

ذات الخالق العظيم وصفاته وأفعاله ، دلت على معاني تليق بجلال تفرده بالكمال المطلق ، غير المحدود بحدود أحكام النواميس العامة والخاصة .

هذا مذهب السلف الصالح ، فانهم لا يصرفون الألفاظ إلى مطلقات أخرى خشية الوقوع في الخطأ ، وبالحري في ذات الله وصفاته وأفعاله . الخطأ الذي يفضي إلى الكفر — والعياذ بالله — بل يقولون اللفظ معلوم أي مدلوله الارضي المحدود معلوم ، ولكن الكيف أي المدلول الكبير اللائق بعظمة ذات الله وصفاته وأفعاله مجهول ، لأن حقيقة ذات الله ، لا تحيط بها عقولنا المنتزعة تصوراتها من العوالم المحدودة ، وفي ذلك يقول الله تعالى : «يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما» .

٩ — (رب العالمين) الا إن كلمتي رب العالمين ، تفرضان علينا دراسة افراد العوالم المادية والروحية ، لكي نفهم الفوارق بين صفات رب العالمين ، وبين صفات افراد العالمين لكي لا نقع في الغلطة الكبرى ، التي أوقعت الأمم القديمة في اعتقاد أن الخالق العظيم ، هو روح أو مادة جاهلين أنه خالق كل شيء .

وتفيد جملتا (الحمد لله رب العالمين) معاً أن حمد العالمين كافة يجب أن يوجه إلى ربها المنعم عليها كافة . إذن فيحرم أن يوجه مربون حمدهم الى مربون أمثالهم بدعوى أنها أرباب بدلا من حمدهم ، لربهم الحقيقي جميعاً ، المتفرد بالانعام ، عليهم جميعا .

وفي هذه الحال المعكوسة في توجيه الحمد الى المخلوق ، انحطاط الى الوثنية والاشراك ، واضاعه لحق الخالق على خلقه ، وحق المخلوق على خالقه ، المتمثل في صميم العبادة ، كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين قال له : « هل تدري ما حق الله على العباد ، قال» : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، ثم سار ساعة ، ثم قال يا معاذ بن جبل قلت : لبيك رسول الله ، وسعديك ، قال هل تدري ما حق العباد على الله ، إذا فعلوا ذلك . قال قلت : الله ورسوله أعلم . قال : أن لا يعذبهم .

فوائد

قال بعض العلماء : « الله يربيك كأنه ليس له عبد سواك وأنت تخدمه كأن لك أرباباً غيره ، فما انصفت أيها الانسان » .

وقالوا : لا يجوز أن يطلق الرب على غير الخالق العظيم الا مقيداً بالإضافة مثل ربّ المال .

« ولا يعلم أحد من الخلق ، كم هي اعداد العالمين ؟ ، أجل لا يعلم ذلك الا رب العالمين وحده « وما يعلم جنود ربك الا هو »[1]

وذكروا أن العالم . ما كان اشتقاقه من العلامة — وهي الآية الدالة — إلا لأن العالمين هي آيات دالات ، وحجج ناطقات بجلال خالقها العظيم الواحد الأحد ...

وكل النصوص التي جاءت في اعداد العوالم ، هي ضعيفة وموضوعة ، كالنص الذي روي عن مقاتل (العوالم ثمانون الفاً) والنص الذي روي عن وهب بن منبه « لله ثمانية عشر ألف عالم » .

الرحمن الرحيم

قال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده « ان صفة فعلان تدل على وصف فعلي فيه معنى ، المبالغة كفعال . وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة ، كعطشان وغرثان وغضبان وأما صيغة (فعيل) فانها تدل في الاستعمال على المعاني الثابتة ، كالاخلاق والسجايا في الناس : «كعليم وحكيم وحليم وجميل « والقرآن المجيد ، لا يخرج عن الاسلوب العربي البليغ في الحكاية عن صفات الله عز وجل التي تعلو عن مماثلة صفات المخلوقين . فلفظ (الرحمن) يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل ، وهي افاضة النعم والاحسان . ولفظ الرحيم يدل على منشأ هذه الرحمة والاحسان ، وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة . وبهذا المعنى لا يستغنى بأحد الوصفين عن الآخر ، ولا يكون الثاني مؤكداً للأول ، « وقد نقل ذلك عن بعض المفسرين » فاذا سمع العربي وصف الله جل ثناؤه .

(الرحمن) وفهم منه أنه المفيض للنعم فعلا . قد لا يعتقد معه أن الرحمة من الصفات الواجبة له دائماً ، لأن الفعل قد ينقطع ، إذا لم يكن عن صفة لأزمة ثابتة ، وإن كان كثيراً . فعندما يسمع لفظ الرحيم ، يكمل اعتقاده على الوجه الذي يليق بالله ويرضاه سبحانه وتعالى ، ويعلم ان لله صفة ثابتة هي الرحمة التي عنها يكون اثرها ، وإن كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين ، ويكون ذكره بعد الرحمن ، كذكر الدليل بعد المدلول برهاناً عليه » .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ...

تفصيلات

١ ـــ لما كان القرآن الكريم أثراً من فيض رحمة الله بخلقه ، ولما كانت العوالم كلها مظهراً لبعض ما وسعته رحمة الله « ورحمتي وسعت كل شيء » أكد الله ذكرها هنا ، كما أكدها في آية البسملة المكررة في القرآن المجيد مائة وأربعة عشر مرة .

ومن هذا التكرار المؤكد يفهم دارسو القرآن المجيد انه فيض من غامر رحمة الله بالانسانية ، وأنه يكفل السعادة الابدية ، للذين يأخذون أنفسهم بمثله العليا الخالدة اخذاً اكيداً ، غير منحرفين عنها قيد شعرة .

وكيف لا يكفل السعادة لهم ، وهم قد وضعوا أنفسهم في عين رحمة الله ، من آياته البينات . أما كان من مواهب آيات الله ، كل ما تمتع به أصحاب رسول الله ﷺ : من انسانية رفيعة ومعارف متفوقة وأخلاق سامية ، وبسطة في السلطان والعزة ، ونهوض الى البر والهدى وبناء الامجاد .

٢ ـــ لما كانت عقيدة قسوة الارباب المعبودية من دون الله منتشرة بين أكثر الجماعات والافراد ، ومتغلغلة في أعماق القلوب .

جاء في أم الكتاب ، وفي كل بسملة تكرار الرحمن الرحيم ، لاقتلاع تلك العقيدة الكافرة ، والقضاء عليها خشية الانتكاس ، ولكي تثبت عقيدة ان الله هو الرحمن الرحيم في أنفس الجماعات والأفراد ، وقد فطن العلامة الكبير الشيخ محمد عبده الى هذه الحقيقة فقال رحمه الله : إن الله أعاد الرحمن الرحيم ، في السورة بعد ذكر رب العالمين إشارة الى أن تربية الله تعالى للعالمين ليست لحاجة به اليهم ، أو لجلب منفعة أو لدفع ضرة ، ، وإنما هي لعموم رحمته وشمولها لكل أفراد العالمين ، وهذا إعلان من الله لجميع الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين أن رحمة الله عامة شاملة ، وأن الايمان بها مفروض ..

وهي الصفة الحقيقية التي تليق بخالق الخلق أجمعين ، ومربيهم .

الرحمن الرحيم

كان هذا التكرار ليفهم دارسو القرآن المجيد ، مبناه على شمول الرحمة ، ومن أجل ذلك ، لم يذكر الله لتعليم القرآن المجيد لخلقه ، إلا اسم الرحمن : « الرحمن علم القرآن » .

ومن هنا نجد أن الرحمة كما هي مفروضة بين المسلمين مفروضة ايضاً عليهم تجاه الناس جميعاً . وقد جاء قول الله تعالى للأول « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء

بينهم» ومفهوم ان الشدة لا يعامل بها الا الظالمون المعتدون الذين يقاتلون ويخرجون المؤمنين من ديارهم . «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ، إن الله يحب المقسطين» فالبر والقسط عين الرحمة .

و «للثاني» جاءت هذه الاحاديث الشريفة :

قال رسول الله ﷺ «إن لله تعالى مابة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الأنس والجن والبهائم والهوام . فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها . وأخر الله تعالى تسعاً وتسعين ، رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»(١) وقال عليه الصلاة والسلام «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(٢) وقال رسول الله ﷺ «لا تنزع الرحمة الا من شقي»(٣) .

فوائد من اعجاز القرآن

١ ــ لعل بعض المطالعين للقرآن المجيد يخفى عليهم مظهر رحمة الله في الآيات التي تناولت وصف عالم العذاب ، لأول وهلة ، وعذرهم أنهم يشاهدونه عالماً مخيفاً مرعباً ، ولو علموا أنه أكبر زاجر ، للكافرين والمجرمين عن التمادي في الكفر والاجرام ، لما خفي عليهم ما في خلقه من رحمة . وقد صح الخبر «إن الله خلق جهنم من فضل رحمته سوطاً يسوق به عباده الى الجنة» .

٢ ــ لولا الآيات الزاجرة التي نزلت في الوحي ، واصفة عالم العذاب ، لما علم الناس أن في العالم الثاني ، عالمين عالم نعيم وعالم عذاب .

وحينئذ يعتقدون بنقص العالم الثاني ، وكيف لا يكون مشتملاً على النعيم والعذاب ، وفيه يقع الحكم العدل ، والقول الفصل ، وفيه يرفع الظلم ، ويجازي كل عامل وفق عمله من خير أو شر .

مالك يوم الدين

إذا اطلق لفظ مالك على الله الخالق العظيم ، دل على المالك الحقيقي ، الذي يملك التصرف المطلق ، في العوالم كافة ايجاداً واعداماً ، وإبقاء ووضعاً ، وكيفية وسنناً ونواميس والذي يملك وحده حق الجزاء على الخير والشر ، وحق العفو .

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة .

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

(٣) رواه الترمذي وأبو داود .

وهذا المعنى بالذات يشتمل عليه لفظ (ملك) إذا أطلق على الخالق العظيم ، مع إفهام أن العوالم ملك له ، وان ملكها واحد هو رب العالمين .

وقد قرأت الآية به (ملك يوم الدين)

(**اليوم**) هو الزمن سواء طال او قصر حتى جاء إطلاق «يوم القيامة» ، «واليوم الاخر» .

على الزمن الذي يكون فيه بعث الخلائق ، ولا يعلم طول ذلك الزمن إلا الله . (وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) وكذلك اطلقوا لفظة يوم على الزمن المحدود بالليل والنهار . ومنه قولهم «أيام العرب» يريدون الازمان الطويلة التي وقعت بينهم فيها الحروب .

(**الدين**) يطلق على الملة التي يدين بها جماعة من الناس ويطلق على الحساب والجزاء على الأعمال ، سواء كانت خيرة أو شريرة .

ويوم الدين : كما يطلق على مطلق زمن تقع فيه المجازاة على الأعمال ، سواء كانت في هذه الدنيا أو في العالم الثاني ، فانه يطلق على يوم القيامة .

لاختصاصه بالجزاء العادل الموزون بموازين القسط على أعمال الخلائق جميعاً .

المقصود الاجمالي

لا ريب ان القرآن المجيد . أنزل للنهوض بمجموعات نفسيات البشر . الى المثل العليا التي فرضها الله . وفق الكمال الداخل في إمكانيات الجماعات والافراد ، ولما وافى صاحب الرسالة هذا العالم ، كانت المجموعات النفسية الانسانية منحطة كل الانحطاط ، ومضطربة كل الاضطراب ، ومختلفة كل الاختلاف ، في قضية الجزاء على الاعمال ومالكها . من أجل ذلك ، خص الله أم الكتاب بهذه الآية الكريمة .

(**مالك يوم الدين**) ليفهم المؤمنون وغير المؤمنون أن قضية الجزاء في العوالم المادية والروحية مرتبطة بيد الله وحده وقد خلق الله عز وجل لها نواميسها الخاصة والعامة التى اجراها عليها ، فهي قضية محكمة كل الاحكام ، وموزونة بموازين العدل الإلهي المطلق ، الذي لا يفلت من نصيبه منه مثقال ذرة من خير أو شر في العوالم كافة . ومجازاة رب العالمين مرهونة بأوقاتها المرتبطة بها ، وفق تخصيص ارادته سبحانه وتعالى .

فهناك مجازاة الدنيا التي يقول الله فيها . «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» .

ومنه قوله تعالى :

« فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من اخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الارض ، ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »

وهناك مجازاة الاخرة التي يقول الله فيها « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ، قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا اصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين . ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم » .

وعلمنا بواقع المعرفة في قضية المجازاة ، وانها بيد مالكها رب العالمين وحده ، ازال من أنفسنا العقائد الوهمية الباطلة التي كانت مهيمنة على الافراد والجماعات ، قبل نزول القرآن .

أجل علمنا بقضية المجازاة التي اوحاها الله بدد من أنفسنا أوهام الفلسفات ، واساطير الوثنيات والاشراك ..

أجل بدد من أنفسنا عقيدة الفوضويين الاباحيين ، الذين ينكرون مطلقاً ان هناك مجازاة على الاعمال ، ويحسبون ان كل ما يأتونه او يدعونه تسيره الاتفاقات ، وبواعث الغرائز ودوافع العواطف . ومكاسب العيش ، كما يرون حدود الشرائع ، والمنطق ثياباً فضفاضة يواري الانسان فيها عبثه بالمجازاة واقتلع من أنفسنا العقائد الوثنية التي تطرح اراداتنا وعباداتنا ومراقباتنا واعمالنا ومخاوفنا في أيدي أمثالنا من أفراد العوالم المؤلهة التي كانت تفرض علينا أن ندين بأنها تملك وحدها مجازاتنا . وخلص عباداتنا وضراعاتنا وتوسلاتنا وادعيتنا من اشراك غير الخالق العظيم مع الخالق العظيم فكم من اعجاز في هذه الآية .

مالك يوم الدين

فيها جملة تفصيلات واليك هي ..

١ — ورد اطلاق يوم الدين على يوم القيامة . لاختصاصه بالجزاء على العقائد الباطلة . بالنسبة للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والانبياء والعالم الثاني ، ولاختصاصه ايضاً بجزاء الذين يفلتون من العقوبات المشروعة على ما يقترفون من مآثم ومظالم في الدنيا وقل مثل ذلك في سواها . ولكن اطلاق يوم الدين ، على يوم القيامة لا يمنع اطلاقه على مجازاة الله في الدنيا على بعض اعمال الخير والشر كبر الوالدين أو عقوقهما ، وانفاق الأموال في الاصلاح أو الافساد ، وصلة الرحم او قطيعته ، والصدق أو الكذب ، والوفاء أو الغدر ، وسوى ذلك مما يرى الناس أثره واضحاً بينهم .

٢ ــ مالك يوم الدين

معلوم ان الله كما يملك الوقت المناسب للجزاء على الخير والشر في الدنيا والآخرة ، يملك الوقت المناسب للعفو. أيضاً ولكن الله لم يذكر العفو في الآية . (مالك يوم الدين) والعفو سيراً على طريقة الاكتفاء المتبعة في القرآن المجيد لدى ظهور المقصود مثل قوله تعالى : (سرابيل تقيكم الحر) أي والبرد ومثل قوله تعالى : (ورب المشارق) أي والمغارب .

٣ ــ مالك يوم الدين

قد تساءل بعض الكاتبين في مدلول الآية : « لم لم يكن لفظ العفو هو المذكور في الآية . ولفظ الدين هو المحذوف »

والاجابة على هذا السؤال تجده موضحاً في النقاط الآتية :

أ : الجزاء هو الأصل في مقابلة الأعمال . اما العفو فهو فضل من الله يختص به من يشاء من عباده . لذلك كان المحذوف .

ب : الجزاء يخص ناحيتين : الجزاء على الحسنة بالحسنة والجزاء على السيئة بالسيئة . اما العفو فانه يخص ناحية واحدة هي العفو عن عمل السيئات ، لذلك كان المحذوف هو العفو .

ج : في تخصيص ان رب العالمين يملك الجزاء وحده مع العلم أنه لا يضل ، ولا ينسى . دفع للناس جميعاً على ايثار عمل الخير . وزجر لهم عن مقارفة عمل الشر . حتى لا يتكلوا على العفو .

فوائد مالك يوم الدين

ان الدارس لما تحمل هذه الآية الكريمة من المعاني والمقاصد السامية ، التي تضيء الطريق ، وتكشف الحقيقة ، لا يسعه الا ان يخرّ ساجداً لرب العالمين ، منزل القرآن المجيد . ها نحن أولاء نجد في اضافة الجزاء الى الزمن « يوم الدين » . وفي اعلان ان رب العالمين وحده هو الذي يملك وقت الجزاء نجد جملة فوائد قيمة .

١ ــ نجد تحرير العقلية الانسانية التي انحطت مجموعتها النفسية بخضوعها لسلطة الكهنة ، والآلهة المتخذة من افراد العوالم . المعتقدة أنها تملك الجزاء والعفو.

٢ ــ ونجد في إضافة الجزاء الى الزمن ، أن للاجزية اوقاتاً خاصة بالآخرة ، كالاجزية المعينة للمؤمنين والكافرين والاخيار والاشرار بصورة عامة ، في عالمي النعيم والعذاب . كما نجد أجزية كثيرة خاصة بالدنيا ... كما تقدم . وأجزية الدنيا مذكورة في بحوث العقوبات .

٣ — ونجد في اعلان ان رب العالمين وحده هو الذي يملك الجزاء والعفو . اقتلاعاً للمخاوف والمزعجات من النفوس الواهنة الضعيفة ، التي تصدق أن مثل هذا الامر يدخل في سلطان فرد من افراد العالمين . واطلاقاً للحرية العلمية التي كانت تخاف بطش الآلهة الموهومة في الاشياء . ان هي أقبلت على درسها وبحثها وتعمق واقع المعرفة فيها : (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) .

٤ — نجد في إعلان أن رب العالمين هو وحده الذي يملك الاجزية على أعمال العباد . بشارة تؤكد الجزاء الحسن للمحسنين الذين يحسبون أن حسناتهم تذهب سدى حين يجحدها الجاحدون ، ويقابلونها بالأذى : «وهل جزاء الاحسان الا الاحسان» وانذاراً بالجزاء السيء للمجرمين الذين يخفون جرائمهم بكل ما لديهم من ذكاء شرير . ويحسبون بذلك انهم افلتوا من العقوبة . انىّ يفلتون ، ورب العالمين هو «مالك يوم الدين» ؟!

٥ — وجاءت آية «مالك يوم الدين» بعد آية الرحمن الرحيم لنفهم ان المجازاة هي من مقاصد الرحمة الإلهية لأن الاعمال اذا تخلت عنها المجازاة والمسؤليات من الخالق العظيم . انتجت الفوضى والاضطراب والظلم الذي هو عين العذاب .

وهكذا يحل الانتقام محل العفو ، والشر محل الخير ، والفساد محل الصلاح ، والطمع محل القناعة ، والعداوة محل المحبة ، والكفر محل الايمان ، والعصيان محل الطاعة ، حتى تصبح الحياة جحيماً لا يطاق .

ولأجل أن يفهم الناس جميعاً ان المجازاة هي عين الرحمة الإلهية أردف قوله تعالى (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) والمقصود أن يفهم الناس أن المجازاة هي من صميم الرحمة الإلهية وضعها الله في صميم نواميس الكون . خذ مثلا المجازاة بالنزلة الصدرية لمن خرج من الحمام أو بعد العمل المضني المسيل للعرق . الى الجو البارد .

وخذ مثلا مجازاة الجماعة العاملة الواعية المجدة المتحدة ، بالمجد والسؤدد وراحة الضمير وسعادة العيش ، والجماعة الخاملة المتواكلة الفاسدة الخلق بالذلة والهوان والفرقة والشتات والاستعباد .

اياك نعبد واياك نستعين

مدلولات الالفاظ

(**اياك**) ضمير نصب وضمير النصب اذا قدم على الفعل افاد الحصر . والمقصود حصر العبادة والاستعانة برب العالمين .

(**العبادة**) في اللغة : هي أعمال ذات صور وكيفيات خاصة مشعرة بالخضوع التام للمعبود ، سواء كانت موجهة الى رب العالمين أو الى سواه من أفراد العالمين من روح أو مادة .

وفي الشريعة لا تصدق لفظة العبادة الا على العبادة المشروعة في صورها وكيفياتها الموجهة الى رب العالمين مباشرة من غير شريك أو واسطة ، فان وجهت الى أي فرد من أفراد العالمين باعتبار أنه رب العالمين ، كانت وثنية ، ولا يصدق عليها عبادة في الشرع ، كالذين يعبدون الشمس معتقدين ان الله روح ازلية بسيطة حالة فيها . وان وجهت العبادة الى رب العالمين ، ولكن بواسطة شريك من أفراد العالمين كانت اشراكا ، ولا يصدق عليها عبادة في الشرع . كالذين يعبدون أي فرد من أفراد العالمين سواء كان روحاً كالملائكة والجن والشياطين . أو مادة كالشجر والنجوم والأوثان والأصنام يعبدونها باعتبار أن عبادتها تقرب الى الله زلفى : «وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى» .

والخلاصة أن العبادة المقصودة هنا ، هي العبادة الشرعية المطلوبة من الخالق العظيم في صورها وكيفياتها الموجهة اليه وحده من غير شريك ، وهذه هي العبادة الشرعية المقبولة لديه سبحانه وتعالى ، وما عداها من أنواع العبادات فهي الحاد وكفر .

١ — كالعبادة المطلوبة من الله تعالى ، ولكنها موجهة الى سواه ، كالذي يصلي الصلاة المفروضة ، ولكن يوجهها الى رب متخذ من أفراد الكائنات . وكونها على صورة العبادة المفروضة لا يخرجها عن نطاق الالحاد والكفر .

٢ — ان تكون العبادة غير مطلوبة من الله عز وجل . ولكنها موجهة اليه وحده ، وهذه العبادة محرمة ، لأن الله لم يكلف بها عبادة ، ونسبتها الى الله والى رسوله كفر وافك .

٣ — ان تكون العبادة غير موجهة الى الله عز وجل ، ولا مطلوبة منه ، وهذه هي ايضاً كفر محض .

بيـان

ان العبادة هي الخضوع التام ، المقترن بالايمان الصادق ، بأن المعبود هو الله الخالق العظيم القادر على كل شيء ، الذي بيده وحده أمر الخلائق أجمعين ايجاداً واعداماً .

فاذا كان ثم خضوع بلغ الغاية ، كالذي يخضع لرئيس أو غني ظاهراً ، فهو ليس عبادة ، لأنه يفعل ذلك ظاهراً أي من غير عقيدة أنه الله أو شريك له . على أن هذا الاعتقاد لو حصل من شخص لاي شيء غير الله فهو كفر ، والخضوع الظاهري المماثل للعبادة محرم في الاسلام ، وهو غير خضوع الطاعة المفروضة على الافراد والجماعات لأولي الأمر ، فيما يأمرون به لحفظ الحياة وإقامة الملك واسدال الامن وتوفير أسباب المعيشة والمجد ، وإقامة معالم الشرع الشريف .

النهاية

قد اختلط الامر ، على بعض الكاتبين ، بين العبادة في الشرع ، وفي اللغة فقال :

« ان العبادة حتى في اللغة لا تطلق الا على العبادة الصحيحة الموجهة ، الى الله وحده من غير شريك »

وهذا القول يدل ان هذا الكاتب لم يطلع حتى على نصوص القرآن التي جاء فيها اطلاق لفظ عبادة على عبادة غير الله قال الله تعالى : « قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين » وقال تعالى ايضاً « اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر » .

واياك نستعين

الاستعانة في اللغة : هي طلب المعونة ممن ترى فيه القدرة عليها ، سواء كان المستعان به الله رب العالمين ، او سواه من افراد العالمين ، ولا دخل لصحة العقيدة أو فسادها في اللغة .

والاستعانة في الشريعة ، هي طلب المعونة من الله رب العالمين وحده .

وهي قسمان : استعانة مباشرة ، واستعانة بالواسطة .

١ ــ الاستعانة المباشرة

هي طلب المعونة من الله مباشرة للوصول الى الأمور التي لم يخلق لها اسباباً في محيط العوالم تطلب من غيره كالاستعانة بالله في طلب الهداية الى الصراط المستقيم ، أو في طلب إطالة العمر ، أو في طلب دخول عالم النعيم ، او غفران الذنوب ، او قبول العبادة ، أو قضاء الحاجات ، وهذه الاستعانة اذا وجهت الى غير الله كانت كفراً .

الاستعانة بالواسطة

هي الاستعانة بالأسباب المخلوقة في محيط العوالم ، ليصل بها المستعين الى الحاجات المطلوبة ، كالاستعانة بالنار التي جعلها الله سبباً للاحراق ولطهي الطعام . والاستعانة بالنور الذي جعله الله سبباً للاضاءة . وكالاستعانة بالجيش الذي جعله الله سبباً للقوة والمنعة . وكالسعي

الذي جعله الله سبباً لنيل الرزق . ولا ريب ان الاستعانة بالأسباب التي خلقها الله لنيل مسبباتها مشروعة في الاسلام . ما دام المستعين يؤمن كل الايمان بأن الله وحده هو الفعال الحقيقي . وبأن السبب انما كان سبباً بقدرته تعالى . ولو شاء الله لأبطله ، كما حصل لسيدنا ابراهيم فعلا ، حين القاه قومه في النار . فلم تحرقه . لأن الله سلبها فاعلية الاحراق «يا ناركوني برداً وسلاماً على ابراهيم» .

والخلاصة ان الاستعانة المقصودة ، في قوله تعالى وإياك نستعين . هي ان يعتقد المؤمن ان المستعان به في كل الأمور والاحوال هو الله وحده .

سواء كانت الاستعانة به مباشرة أو بالواسطة ، كما أن كل عبادة مشروعة موجهة الى رب العالمين وحده هي استعانة به بطلب مرضاته .

تمهيد

لما كان الايمان الصحيح برب العالمين وحده يقوم على ركنين اساسيين ، هما خلوص العبادة لله . وخلوص الاستعانة به قرنهما الله في الآية : (اياك نعبد واياك نستعين) . قرنهما لأن كل استعانة تجيء وفق عقيدة الاسلام الصحيحة هي عبادة كما أن كل عبادة ، تجيء وفق ما شرعه الله ، هي استعانة بالله عز وجل لنيل رضاه .

وهكذا نتحقق ان الذي ينحرف عن أحد هذين الركنين بأن يعبد غير الله ، أو يستعين بسواه ، فانه لا يكون مؤمنا .

مقاصد الآية

جاء رسول الانسانية الأكبر سيدنا محمد ﷺ ، والجماعات والافراد ، غارقون في ارجاس الوثنية والاشراك ، ولم يجد بينهم من يتوجه بعبادته ، أو استعانته الى رب العالمين وحده .

لذلك انزل الله هذه الآية (اياك نعبد واياك نستعين) لينهض بالانسانية جمعاء الى نور التوحيد المطلق ، الذي يفرض قصر العبادة والاستعانة على الله وحده .

وفيما يلي نجمل مقاصد اعجاز الآية :

١ — في الآية (اياك نعبد واياك نستعين) حث على دعوة الناس ، الى عبادة الله وحده ، والاستعانة به دون سواه ، وصرفهم عن عبدة غيره ، والاستعانة به . لأن المصلي المسلم ، ولو كان في بلاد ليس فيها سواه مصل لله وحده ، فانه يفرض عليه أن يقول في صلاته ، «اياك نعبد

واياك نستعين» ولا يجوز ان يقول (اياك اعبد واياك استعين) ، احتفاظاً بالنص الحاث على ايجاد الجماعة المؤمنة ، في عالم الصور ، والذوبان فيها .

أجل يفرض على المصلي ان يقول (اياك نعبد واياك نستعين) بالنون الدالة على الجمع ، كما انزل الله الآية وفي ذلك حث على توجيه الدعوة الى اخوته في الانسانية ، ليشاركوه في هذا الخير الالهي الكبير . وهذا ما كان من حال الاسوة الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان متوجهاً بكل امكانياته لتحقيق مقصود هذه الآية الكريمة ، اذ كان يدعو الناس في مكة وسواها الى مشاركته في عبادة الله وحده حتى كثر سواد العابدين . وواضح ان عمل الاسوة الأعظم ، هو الطريق المستقيم الذي يجب السير عليه ، لأنه طريق وحي الله .

٢ — في الآية ايضاً بشرى بالتوفيق المؤكد ، لكل داعية يدعو الناس الى عبادة الله وحده ، والاستعانة به دون سواه ، فان المسلمين قديماً ، لما فهموا الغاية من هذه الآية الكريمة واخلصوا في اداء واجبهم ، تجاه الله ملأ الله قلوب الناس ثقة بهم واخذاً بطريقتهم ، حتى كنت ترى الفرد يدخل البلدة متاجراً او متجولاً أو سائحاً ، فلا يلبث بعد ايام قلائل حتى يصبح جمعاً غفيراً ، بما يسلم على يده . اجل إن الآية بشرى بالتوفيق لكل داعية منذ اليوم الاول الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ وتم توفيقه بالسرعة العجيبة التي يذكرها لنا التاريخ ، فأصبحت جماعته خير امة أخرجت للناس ، بما حملت الناس من خير الدنيا والآخرة .

٣ — في الآية اعجاز غيبي . لأن هذه السورة هي أول سورة تامة نزلت من الوحي ، وحين نزلت لم يكن مع رسول الله ﷺ جماعة كبرى تعبد الله وحده ، وتستعين به ، ومع ذلك نزلت الآية بالجمع ايذاناً من الله بأن كثيراً من الناس سيشتركون معه في العبادة والاستعانة بالخالق العظيم وحده وقد كان . فما هي الا ايام قلائل حتى بدأ الناس يدخلون في الاسلام ، ويشتركون مع رسول الله ﷺ في عبادة الله وحده ، والاستعانة به دون سواه .

وما زال الناس يدخلون حتى عم شطر الكرة الارضية وسيعمها جميعاً ان شاء الله ، وهذا أمر لا بد منه ، لأن الله عز وجل بشر به الانسانية : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون » وفي هذا المقصد يقول عليه الصلاة والسلام « سيدخل هذا الدين الى ما دخل عليه الليل » .

٤ — في الآية تفضيل العبادة الجماعية على العبادة الفردية لأن النون تشير الى الجماعة « اياك نعبد واياك نستعين» . ولما كان مقام العبادة والاستعانة ، يقتضي التذلل والخضوع ، لا تعظيم النفس ، فهمنا ان المقصود هو الجماعة .

فان قلت المراد ان يشترك العابدون في الصلاة وان يكون بينهم التعاون . فصحيح لقوله عليه الصلاة والسلام (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة) .

والواقع ان الأعمال التي تقوم بها الجماعة أجدى وأنفع وهي مقرونة إبداً بالتوفيق .

٥ — لأن كرم المولى عز وجل ، يمنع ان يقبل صلاة البعض دون البعض ، بعد النداء من الجميع بصدق الايمان «اياك نعبد واياك نستعين» .

وهذه المدلولات صبابة من بحر اعجاز الآيةالكريمة ، ولعل الله عز وجل ، يوجد في الامة علماء ابراراً يبذلون من الجهود العلمية ما يكتشفون بها الكثير الكثير مما في آيات القرآن المجيد من كبير الاعجاز .

اهدنا الصراط المستقيم

معاني الالفاظ

(الهداية) تدل هذه اللفظة على معان ثلاث

١ — تدل على الدلالة المصحوبة بالتبيين والارشاد . وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى : (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) ومنه قوله تعالى : (وهديناه النجدين) أي دللناه مرشدين مبينين له طريق الخير وطريق الشر ، ومنه قوله تعالى (وانك لتهدي الى طريق مستقيم) اي انك لتدل مبينا مرشدا الطريق المستقيم .

٢ — تدل على الالهام المسير وفق السنن المفروضة ومنه قوله تعالى : (هو الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى) أي هو الذي خلق لخلقه كل قوى الالهام المركز وفق وظائف السنن المقدرة المنظمة ، وهذا العقل الالهامي يسميه علماء النفس العقل الاشعوري وهو أشبه شيء بالعقل الآلي الذي يسير الطائرة الخالية من طيار مسير . والمقصود القوى المخلوقة المقترنة بالعقل الالهامي الذي تحقق به كل ما خلقها الله لأجله ، على أحسن ما يمكن ان تحققه لو كانت مدركة لبواعث الالهام ومعارفه فيها ، من غير تخلف سواء كان ما خلقت لأجله كائنا في تكوينها الطبيعي كعملية هضم الطعام وتحويله الى دم لتعطي خلايا كل عضو ما تحتاجه لتجددها سواء كان العضو صلباً كالاظفار والشعر أو رخصاً كالجلد . أو كان صادراً عنها كخلية العسل التي هي صنعة دقيقة رائعة مركزة احاسيس الهامها في أعماق أعصاب النحل فهي تتحرك . وتغدو وتروح وتعمل حسب معارف الإلهام الفطرية التي أودعها الله في أعماق اعصابها الحساسة المتحركة تحركاً تلقائياً مقدوراً مسيراً بيد قدرة الله ، وفيه جاء قوله تعالى (فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لأية لقوم يتفكرون) .

١ — الهداية تدل على التوفيق المصحوب بالتوجيه الإلهي ، للوصول الى المطلوب مع ازالة العثرات والموانع ، التي تعترض الطريق . وهذا المعنى هو المقصود من قوله تعالى : (ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء) . ومنه قوله تعالى (انك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء) .

المقصود الاجمالي

جاء خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ . وقد كانت كل جماعة من الجماعات البشرية غير مهتدية الى الطريق المستقيم في ايمانها بالخالق العظيم . وفي عبادتها له ، واستعانتها به ، وفي اتباعها للحق .

والسبب في ذلك هو سيرها في أحد الطرق الثلاثة المعوجة

١ — طريق الوثنية أي طريق تأليه اشياء الوجود ، المادية أو الروحية أو هما معا .

٢ — طريق الاشراك أي طريق اشراك اشياء الوجود في العبادة مع الخالق العظيم .

٣ — طريق الدهرية أي طريق جحود وجود الخالق العظيم .

ومع كل هذا الاعوجاج الفظيع في الطرق المسلوكة ، فان كان جماعة تعتقد ان طريقها وحده ، هو الطريق المستقيم وان طريق سواها هو الطريق الضال المنحرف عن طريق واقع المعرفة . والواقع أن هذا الاعتقاد زائف كل الزيف إذ فيه قطيعة للرحم الانساني . وصرف للجماعات والافرد عن طلب الهداية من الخالق العظيم الى الصراط المستقيم . وبعد عن الرغبة في الوصول الى الحق ، والهدي وواقع المعرفة .

ولإصلاح هذه الحال النفسية المعوجة ، المعقدة وللنهوض بها الى ايثار المثل العليا التي أوحاها الله لإسعاد الانسانية في العالمين ، أنزل في أم الكتاب « اهدنا الصراط المستقيم » .

وفي هذا الطلب توجيه لذوي الطرق المعوجة الثلاثة الى نبذها . والعمل للوصول الى الطريق المستقيم ، كما فيه توجيه للسالكين الطريق المستقيم ، ان يستمسكوا به ، ويعضوا عليه بالنواجذ ، اذ في الاستقامة عليه نيل السعادة الابدية .

وهذا بعض ما في الآية من اعجاز المعاني المذخورة كنوزها القيمة فيها .

الصراط المستقيم

نلمس اعجاز القرآن المعنوي ، في « مثله العليا » التي تشتمل عليها آياته في صور رائعة واسعة ، على الرغم من وضعها في الفاظ انسانية محدودة .

ومظهر هذا الاعجاز المعنوي ، في آيات القرآن ، أننا نجد الآية تشتمل على جملة من المعاني ذات الاتصال العميق بألوان الحياة في كل عصر وجيل ، اشتمالا واقعياً ملموساً .

ومن ينبوع هذه المعاني المتجددة المطردة في ألفاظ آيات القرآن ، يغترف الكاتبون ما شاء الله أن يغترفوا . من بحوث مستفيضة حول اعجاز القرآن المجيد . خذ مثلا معنى لفظة « الكوثر » المذكورة في قوله تعالى : « إنا اعطيناك الكوثر » .

فانك تجد جماعة قالوا إن المراد من لفظة الكوثر :

١ ــ « هو القرآن المجيد »

٢ ــ وآخرون قالوا « إنه الاسلام » .

٢ ــ وآخرون قالوا « إنه نهر في الجنة »

٤ ــ وسواهم أكدوا : « انه النبوة » .

وواقع معنى اللفظ يدل على جملة ما قالوا ، لأن معنى الكوثر الأصيل في اللغة هو الخير الكثير . وكل ما ذكروه من المقاصد مندرج تحت الخير الكثير الذي أعطاه الله لرسوله ﷺ .

وصفوة القول ان اعجاز القرآن يتجلى ، في مقاصد الالفاظ القرآنية ، بصورة جد قوية وجد واضحة ...

وهذا الاعجاز المعنوي نفسه نجده هنا حول الآية « الصراط المستقيم » .

١ ــ هذا ابن عباس يقول عنه « إنه الدين الحق »

٢ ــ وهذا ابن مسعود يقول عنه « انه الاسلام »

٣ ــ وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول عنه « انه القرآن المجيد » .

٤ ــ وهذا مجاهد يقول عنه « انه الحق » .

٥ ــ وهذا أبو العالية يقول عنه « إنه النبي » .

والواقع أن كل هذه المقاصد صحيحة ، لأنها تلتقي في محيط المعنى الكلي المشتمل عليه « الصراط المستقيم » .

وهذا المعنى الكلي مودع في لفظتي الصراط المستقيم . قصداً ، لأنه مظهر الاعجاز المعنوي ، في كتاب الله عز وجل .

اذ نفهم بصراحة ووضوح ، ان الذي يهتدي الى الدين الحق أو الى الإسلام ، أو الى القرآن المجيد ، أو الى الحق ، أو الى اتباع النبي ، فقد اهتدى الى الصراط المستقيم .

والخلاصة أن في جملة « اهدنا الصراط المستقيم » حث للناس جميعاً سواء كانوا من أمة الاجابة ، أو من أمة الدعوة ، على أن يلجأوا الى رب العالمين ، ليطلبوا منه الدعوة الى الصراط المستقيم .

ولئن كان الطلب من أمة الدعوة ظاهر النفع فانه من أمة الاجابة أظهر ، لأن نيل سعادة السير على الصراط المستقيم ، لا يتم الا بالثبات عليه . لأن الانسان كثير التقلب ، وفي كل لحظة لا يأمن من نفسه الانحراف عن الصراط المستقيم . ومن هنا ندرك الحكمة في فرض تلاوتها والدعاء بها في الصلوات جميعاً .

ذلك لأن طلب السالكين الصراط المستقيم ، الثبات عليه والهداية اليه ، فيه حث كبير للمنحرفين عنه ، أن يسألوا الله الهداية اليه ، والالحاح في الطلب . لا بد أنه يؤدي الى الاجابة ، كما قالوا «ومدمن القرع للأبواب أن يلجأ» .

وفي طلب الهداية ايقاظ لروح البحث والدرس ، عن معرفة واقع «الصراط المستقيم» ، لأن طلب الشيء يقتضي معرفته معرفةً محررة صحيحة . والمعرفة المحررة الصحيحة ، توجب الانطلاق والحرية والمقارنة الدقيقة الصادقة ، وسوى ذلك من الوسائل التي تؤدي الى الوصول الى واقع معرفة الصراط المستقيم .

اذ ليس في الوجود من يحترم العلم ، وواقع المعرفة ، ويؤمن بالله . فوق مصالحه الخاصة ، ثم لا يطلب معرفة الصراط المستقيم ، الذي يحقق له السعادة الابدية . اللهم الا أن يكون ملحداً مأجوراً يرتدي لباس الانتساب الى الدين نفاقاً ، أو سطحياً غبياً لا يفرق بين النور والظلام والحق والباطل والسعادة والشقاء .

«صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين»

مدلولات الالفاظ

الصراط : المقصود منه هنا : طريق الايمان الصحيح .

انعمت عليهم : أي أحسنت إليهم بما أقر أعينهم بتوفيقهم الى سلوك طريق الايمان المستقيم ..

والمنعم عليهم أربعة أصناف

١ — الانبياء ٢ — الصديقون ٣ — الشهداء ٤ — الصالحون كما ذكرهم الله عز وجل : «ومن يطع الله والرسول . فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا» .

المغضوب عليهم

الغضب : السخط وهو ضد الرضا ، والمقصود بهم في الآية : الذين يعرفون طريق الحق المستقيم ، الذي سلكه رسل الله ، واتباعهم الابرار ، ولكنهم ينحرفون عنه استخفافاً به ، او ايثاراً لمصالحهم الخاصة ، أو عصبية لتقاليدهم ، وما حكم الله على هؤلاء بغضبه عليهم ، الا لأنهم يعرفون طريق الحق المستقيم ، وينحرفون عنه عامدين .

ولعل دهشة الذين يقولون : « هل في الوجود الانساني ، من يعرفون طريق الحق المستقيم ، ويعرضون عنه عامدين » . تتلاشى حين نقول لهم : « إن رسول الله ﷺ ، لما هاجر الى المدينة المنورة ، اصر اليهود على تكذيبه ، مع أنهم يعرفون صدقه ، كما يعرفون ابناءهم . يعرفونها من نبوآت انبيائهم المسطورة لديهم في العهد القديم ، بل وقد كانوا يبشرون العرب بمجيئه ، ويهددونهم به . ويعرفونها من الآيات البينات التي كانوا يشاهدونها في شخصه ، وفي اعماله واقواله واحواله ومعجزاته ، وما انزل عليه من وحي وفي هذا الامر جاءت الآيـة الكريمة : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا ، كفروا به فلعنة الله على الكافرين » ولا عجب اذا لم يؤمن اليهود ولم يكلفوا عن تأليبهم الناس عليه ، مع وجود تلك الآيات البينات فقد فعلوا مثل ذلك من قبل مع سيدنا المسيح (ع) .

(لا) هنا بمعنى غير ، وهي تفيد التأكيد المعنوي ، ومجيء (لا) بمعنى غير معهود في اللغة العربية . ومنه قولهم : « جئت بلا زاد » أي بغير زاد وقد فسروا غير بمعنى لا في قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ » اذ قالوا لا هنا بمعنى غير أي فمن اضطر لا باغياً .

الضالين

أي التائهين مفردها ضال يقال ضل الطريق أو عن الطريق ، اذا تاه عنه من غير قصد . ومنه قوله تعالى في حق رسول الله ﷺ « ووجدك ضالا فهدى » . ولا ريب ان النبي ﷺ كان تائهاً عن الطريق الذي يسلكه في انقاذ الانسانية من كثرة الطرق المعوجة التي كانت الانسانية تائهة فيها . فهداه الله الى الطريق المستقيم بما أنزل عليه من كتاب ...

أجل لما أرسل الله خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ كان أكثر أهل الأرض تائهين عن طريق الحق المستقيم ، غير عامدين . بسبب أنهم أعطوا آباءهم ومرشديهم وتقاليدهم وموروثاتهم . الثقة العمياء ، واطمأنوا الى توجيههم ، وما ركزوا في أنفسهم من عقائد ، ولم يهتموا أن يمتحنوا تلكم العقائد على ضوء واقع المعرفة ، ليدركوا أنهم تائهون عن الصراط المستقيم .

وقد كان الرومان وثنيين ، يعتقدون أن الله روح يحل في انصابهم المعبودة ، شأن الوثنيين في كل أمة . فلما تنصروا عام ٣١٣م على يد قسطنطين ، تاهوا عن الصراط المستقيم ، الذي أرسل لأجل الهداية اليه ، سيدنا المسيح والرسل من قبل .

وسبب ذلك أنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا من عقيدة أن الله روح تحل في الاشياء المعبودة ، كل التخلص . بل ظلت بقاياها كامنة في أعماق نفوسهم . وبهذا الاعتبار عبدوا سيدنا المسيح ، وتاهوا عن الصراط المستقيم ، الذي جاء سيدنا المسيح للهداية اليه . هذا حال النصارى الذين كانوا في عصر صاحب الرسالة سيدنا محمد . الا قليلا منهم ، كالاروسيين الذين لم ينحرفوا . لذلك قالوا عن أولئك أنهم تائهون .

وعلى ضوء هذا البيان الذي يمكنك أن تدرك منه أن كل منحرف عن الصراط المستقيم ، وهو لعلمه هو من المغضوب عليهم . ولو كان في الأصل مسيحياً أو مسلماً كالاسماعيلية الذين الهوا اغاخان أو سواهما . وان كل تائه عن جهل هو ضال ، ولو كان يهودياً في الأصل ، فالعبرة بالواقع .

وقد فطن الى هذه الحقيقة ابن كثير فقال : «ان أخص صفات اليهود هو الانحراف عن العلم ، وان أخص صفات النصارى هو الانحراف عن الجهل» . لأن كثيراً منهم متى عرفوا الحق يؤيدوه وينصروه ، بكل صدق وإخلاص ، وهم كثيرون في امريكا واوربا لا يحصون عداً . ومؤلفاتهم لا تزال منتشرة في أشهر لغات العالم ... وقد جاء في وصفهم قول الله عز وجل . «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين» .

هذه المحاضرة القيت في الكلية الشرعية
مرةً وعلى شباب عباد الرحمن أخرى .

الخلائق المدركة صنفان

صنف خلقوا مجبورين على فعل الخير وهم أنواع الملائكة كافة . وصنف خلقوا مخيرين أي في استطاعتهم فعل الخير وحده أو فعل الشر وحده ، أو فعلهما معاً وهم الانس والجن والشياطين فئة من الجن «إن إبليس كان من الجن» . واذا أردنا ان نتأكد ان الله خلقنا مخيرين ، وان هذا التخيير مودع في أصل فطرتنا وارادتنا ، فما علينا الا ان نتدبر قوله تعالى : «وهديناه النجدين» أي دللناه . فلو لم يكن الانسان مخيراً في سلوك طريق الخير أو في سلوك طريق الشر ، أو في سلوكهما معاً ، لم يكن أي معنى لهذه الدلالة .

نعم للانسان أعمال جبرية ، لا يد لارادته فيها ، كعملية التنفس ، والدورة الدموية ، وخضوعه لنظام الجاذبية ، وحاجته الى تناول الطعام والشراب ، وانتهاء جسده الى الفناء ، وسوى ذلك من الاعمال التي لا دخل للارادة الانسانية فيها . ولكن وجود هذه الاعمال الجبرية ، لا يمنع من وجود الاعمال الأختيارية التي هي مناط التكاليف والمسؤوليات . كالايمان بوجود الله ، وعدم الايمان ، وكتصديق هذا الدين دون ذلك وكالاقبال على هذا الفعل ، سواء كان خيراً أو شراً ، دون ذاك . ولبيان هذا القسم من الافعال الانسانية الحرة المتروكة لمشيئة الانسان جاء قوله تعالى : «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» .

ولتوجيه هذا الجزء الاختياري من أفعال الانسان الى الصراط المستقيم الذي سلكه رسول الله وأتباعه الهداة الأبرار .

أنزل الله في أم الكتاب لتتلى في كل صلاة

هذه الآية «اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الَّذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» .

والخلاصة أن انزال هذه الآية في أم الكتاب الواجب تلاوتها في كل صلاة برهان قطعي على إثبات حرية الانسان الأختيارية لأنه لو لم يكن حراً ، لكان مثل هذا الطلب من العبث بمكان . وهذا محال أن يكون في كتاب الله عز وجل . وواضح أن المقصود من هذا الطلب «اهدنا الصراط المستقيم» . هو أن نبذل كل ما في وسعنا من عزائم ، وكل ما في قلوبنا من ضراعة ، لطلب الهداية التي لا تتم إلاَّ بتوفيق الله عز وجل .

وهذا من أدب رسل الله ، فانهم يبذلون كل ما يستطيعون من امكانيات مع الالحاح في طلب التوفيق ، من المولى الكريم .

هذه صبابة مما فتح الله علي من اعجاز أم الكتاب . ولا ريب انّ العلماء الفحول سواي سوف يكتشفون مما أودع الله فيها من الاعجاز ، الشيء الكثير .

وإني اسأل الله ان يعفو عني ان اخطأت في شيء ، أو قصرتْ مواهبي عن الاحاطة به ، وارجو من أهل الايمان والنصح والمعرفة أن يرشدوني اذا انكشف لهم شيء من ذلك حتى آخذ به .

وأرى من الواجب أن اقول ان الجانب الذي ذكرته من معجزاته أم القرآن . هو غرفة من بحر زاخر .

وهناك المعجزات الروحية ، وهي من صميم اعجاز القرآن المجيد ، ولم اذكرها لأن الذين يُعْنَوْن بدراستها هم الذين يهتمون بأسرار الروح وعجائبها . نعم هم كثيرون . ولكن هذه المحاضرة لم تعد لها . وان شاء الله سأخصص محاضرة قيمة للبحوث الروحية ، في أعجاز القرآن المجيد .

وقد كتب في هذا الموضوع — اعجاز القرآن الروحي -- الدكتور الجليل خالد عطوي نصيف كلمة قيمة ، سأشير اليها ان شاء الله .

وقد القيت هذه المحاضرة ايضاً على فريق الدعاة في قاعة عباد الرحمن وفق الله الجميع للقيام بما فيه الخير والهدى للعرب والمسلمين والناس أجمعين .

قلت ومن أراد التوسعة فليعد الى ابن كثير والمنار وتفسير جزء عمّ للشيخ محمد عبده ...

الجَامِعَة الكُبرى

القى الامير الجليل الشيخ عبدالله الجابر الصباح ، في ١٨ ايلول سنة ١٩٥٥ م كلمة موجزة كانت بأثرها الكبير ، اصرح الكلمات التي القيت في الاحتفال بمناسبة وضع الحجر الاساسي لبناء مسجد بحمدون في لبنان تحت رعايته .

قال « اني اكتفي بالقليل من الكلام عن الكثير ، لأني لست من الخطباء ، حتى يتسنى لي ان أسهب .

وما أنا متخرج من جامعة من الجامعات المنتشرة في المجتمع العربي المعروفة في مصر وسوريا ولبنان ، ولكني متخرج من جامعة هي ارفع وأنبل من كل هاتيك الجامعات هي جامعة كبرى ... »

وسكت هنيهة ، ليكون المحتشدون على استعداد لتلقف اسم الجامعة الكبرى التي تخرج منها . وقد التمعت العيون وتألقت الوجوه ، واستطالت الاعناق ، رغبة في معرفتها !

وحين تأكد ان الحماسة قد أخذت من نفوس المحتشدين مأخذها الصامت المتلهف .

قال بصوت أبي اجش ، تشمخ فيه كبرياء الصحراء واعتزازها ، وتسمو فيه امجادها وتدوم فيه فرسانها وابطالها .

« ألا إن الجامعة الكبرى التي تخرجت منها — هي جامعة الصحراء — الجامعة التي تخرج منها ابطال التاريخ الاسلامي الخالدون ، الذين شيدوا منائر الحضارة ، والمعارف ، والايمان الصادق ، والانسانية السامية في الشرق والغرب » .

وهنا صفق المحتشدون تصفيقاً حاداً متتابعاً ، وفي غمرة هذا التصفيق الحاد ، همس في اذني مسيخ من خلفي . « وهل في الصحراء من جامعة سوى جامعة الجدب والحرار والرمال والاكام والشيح والقيصوم » ..

همسة همسها الممرور وانصرف ، ولكنها اشعلت في نفسي ثورة ملتهبة ، وما رأيتني مهتاجاً ابداً كاهتياجي ساعة همسها وانصرف ، مسكين ذلك المسيخ ، ومساكين الذين هم على غراره ، فابن الصحراء ، ادرى بما أودع الله في جامعة الصحراء من جمال وجلال .

* * * *

في عام ١٩٤٦ . اعتزم مفتي الجمهورية اللبنانية الأكبر ورئيس الكلية الشرعية الاعلى المرحوم الشيخ محمد توفيق خالد ، ان يصدر باسم الكلية الشرعية مجلة ، تكون أمينة على نشر الثقافة الإسلامية .

ولما كانت مشاعر الصحراء المقدسة تملأ نفسي ، وهواتفها السحرية ترن في أعماق قلبي ، ومواسم امجادها الخالدة تلوح أمام عيني ، اقترحت عليه أن يكون اسم المجلة « وحي الصحراء » فسر به جداً وقال : **انه اسم فيه الهام وتوفيق** .

وأي عمل من أعمال الحياة ، اذا لم يكن قوامه الهام وتوفيق . فانه عمل خال من عنصري الخلود والبركة . وهذان الإلهام والتوفيق ، هما أول ما يكسبه ابناء الصحراء من جامعة الصحراء[1] .

والواقع ان جامعة الصحراء موطن الالهام الروحي العميق ، وموطن التوفيق العملي المثمر .

فهي الجامعة الوحيدة التي تفعم مشاعر القلوب ، وجواذب النفوس ، ومحالي الافكار ، بهواتف ايحائها السامي العجيب .

ولعل رواد الصحراء ، لا يجدون لأول وهلة ، ما يجذبهم ، ولعلهم يظلون على هذا الحال الموحشة اياماً .

لأن جمال الصحراء المسجى بالحرار الماحلة ، والجبال الجرداء العارية ، وكثبان الرمال المهيلة ، وسوافي الاعاصير ، ولوافح الرمضاء . لا ينكشف لهم بالسرعة المنتظرة ، لأنه جمال كان في روح طبيعة الصحراء ، لا في جسدها المتبذل . فلا بد من لهفة وشوق وانعام نظر ، وتأملات في الأسرار الكبرى الخفية .

ولو أن يد الحظوظ في استطاعتها ان تمزق سجف النوى المسدولة دون ابصارنا ، بعد ليال من نزولهم الصحراء ، لرأيناهم خشعاً في محرابها الاقدس ، وهم يتعمقون أطياف زيناتها الروحية الرائعة على أكف السكينة الصارخة ، في الآفاق الحائرة ، والارجاء القلقة ، البعيدة القريبة .

أجل لرأيناهم يتعمقونها بنهامة وشره . ومهما يكشف لهم من ملك كبير ، فان وراءه ملكاً أكبر ، لا ينتهي وغير منته ابداً .

ولئن شاهدوا — كما قالوا — ابناء الصحراء ، تسحرهم مفاتن العمران الضاحكة على افواه

---

(١) حالت ظروف دون اصدار المجلة . والرخصة لا تزال لدي ، فعسى الله أن يلهم رئيس الكلية الشرعية الأعلى الشيخ محمد علايا بأن يتولى فكرة اصدارها .

الينابيع ، وشواطىء الانهار ، وتروعهم خمائل المصايف الفينانة ، التي تتهادى بين افيائها الرمادية الممددة ، اطياف مقمرة مسحورة ، تجر ذيولها الضافية جرا ، وتنشيهم نفحات الورود العطرة التي تغشاهم نسماتها المتتابعة ، من هنا ومن هنا ..

فان اولئك المشاهدين ، لو تيسر لهم حينئذ أن يتعمقوا احاسيس ابناء الصحراء ، ويلتمسوا استجابتها في الصميم الصميم ، لوجدوا تأثيرها بوحي الصحراء ، في ليلة من ليالي المحاق ، أو في ليلة من لياليها القمراء ، يفوق في عمقه وجواذبه والهاماته كل معالم العمران . ذلك لأن تأثير العمران في الجسد ، والجسد وما يؤثر فيه فانيان ، وان تأثير الصحراء في الروح ، والروح وما تؤثر فيه خالدان .

والانسان الحي ، هو الروح لا الجسد . فالجسد في كل عقد يتجدد «وأنت بالروح لا بالجسم انسان» .

وهكذا إن عدم رواد الصحراء مباهج الجسد ، فانهم لا يعدمون مباهج الروح .

واذا كان البصر يفتنه جمال العمار الوشيك الزوال ، فان البصيرة تلقف بشراهة ملتهمة ، جمال الصحراء الروحي .

وان كانت الاذن تنتشي لتغريد الاطيار ، وخرير الانهار . وعزف الاعواد ، فان الروح لتطير نشوى من اهازيج السكينة الصامتة في أعماق الصحراء .

وكون الصحراء تطبع في أنفس ابنائها ، اخلاقها المهذبة الكريمة ، وأعمالها المجيدة الرفيعة ، واحاسيسها السامية النبيلة ، فتلك حقيقة واقعة يعرفها في ابناء الصحراء ، الذين كتب لهم ، ان ينعموا بالصلة بهم ، ودرس طباعهم ، وبواعث أميالهم في الصحراء نفسها .

انهم يجدون بعد طول المعاشرة ، وعمق الدراسة ، ودقة المقارنة ، وسداد الرأي :

١ — ان ابناء الصحراء صرحاء الصراحة المتناهية ، فلا حلاوة خادعة لكلامهم في الظاهر ، ولا مرارة قاتلة له في الباطن ، ولا تعرج ولا التواء في طباعهم ، فهم كالصحراء ، يطالعك جفافها في ظاهر شمائلهم ، وفي باطنها الوداعة والمودة الصادقة والطيب والعمق ، ولا تفاوت في معاملتهم ، فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين الناس .

٢ — وأنهم ، على الغاية السامية من الايمان بالله وكتبه ورسله ، فلا كفر ولا الحاد ولا شك .

٣ — وأنهم على اسمى ما تكون البطولة والاقدام والصبر الجميل ، واحتمال المشاق لدى الشدائد ، فلا تخيفهم الاحداث ، ولا يكترثون للموت ، ولا يبالون بما يكون ، اذا سلم شرفهم ومجدهم .

٤ — وأنهم في منتهى الذكاء والوعي ، فلا تفوتهم خلجات النفوس ، ولمحات الأفكار ، ووثبات الخواطر . ولا يجهلون اهداف المتصلين بهم ، من الأشرار الطامعين في اقتناص أموالهم ، وان كانوا يلبسون عليهم ، بمظاهر الامانة الماكرة ، والقناعة المصنوعة ، ومراشد البر المكذوب .

٥ — وأن ابناء الصحراء على أرفع درجات الإستمساك بهدى الاسلام ، في الصميم الصميم من أعمالهم . فهم يقدمون على الأخذ بكل ما يدخل في اوامر الله ، من معالم الحضارة الحديثة ، كالاعداد الحربي المتفوق ، الذي يكون في مقدوره حفظ السلام ، والافادة من العلوم الحديثة بأوسع ما للكلمة من مفهوم ، واقتباس الصناعات الراقية ، وكل مقومات الحياة العزيزة المنيعة .

ويرفضون كل ما نهى الله عنه ، من اقامة خمارات ، ومواخير للدعارة ، ومراقص للمومسات ، ومخابىء للقمار ، وسوى ذلك من وسائل الملاهي التي تضحي بالصحة والوقت والمال على مذبح الغرائز العارمة غير المكتوبة بالايمان .

ذلك لأنهم يشاهدون عياناً أن الامم لا تدفع عنها ، عدوان الطامعين الظالمين ، والغاصبين المعتدين ، بالراقصات والقيان والحانات والمواخير ، ومناضد الميسر ، ومقطعات الغزل الآثم المسمم بعرام الغريزة الجنسية .

ولو كان شيء من ذلك يجدي ساعة تصميم الاعداء على البطش والفتك ، لما تمكن الاسرائليون الذين سيطروا بدهائهم المتفوق على ثروات الامريكان الضخمة ، أن يظلوا بينهم قابضين على انفاسهم السياسية والاقتصادية بيد ويدفعوا باليد الاخرى ، فقراءهم العاطلين في العالم الى الشام ، ويمدوهم بالمال والسلاح ، وينتزعوا بهم من اهلها اقدس مقاطعة فيها — فلسطين — وفي مقاطعات الشام الأخرى — سوريا لبنان شرقي الاردن — الجيوش الجرارة ، والفيالق المتكاثفة ، من اولئك العاطلين الآثمين الذين يضحون بكل قوى شعبهم — الثروة والصحة والوقت والحصانة والشوكة والسلطان — على مذبح غريزة الميل الجنسي .

هذه بعض ما تكسبه جامعة الصحراء ، لأبناء الصحراء من مواهب ممتازة .

وكم من اعوام طوال ينفقها الطلاب في جامعاتهم ، وكم من ليال يسهرها فحول الاساتذة . وهم يعدون المحاضرات القيمة ، في شتى ألوان العلوم ، ومختلف النظريات ، ليهبوا الانسانية جيلاً خيراً متسامحاً ، يحمل ولو اليسير اليسير من مواهب أبناء الصحراء ، فلا يظفرون بعد بذل الجهود الجاهدة ، الا بالاخفاق تلو الاخفاق . ذلك لأنهم عجزوا أن ينقلوا الصحراء الى الجامعة ، أو ينقلوا الجامعة الى الصحراء . فان استطاعت الامم في يوم أن تنقل الجامعة الى

الصحراء ، وان تنشىء أبناءها بعيدين عن اوبئة المدن ، وشرورها المتفاقمة ، فانه اليوم الذي تستطيع أن تظفر فيه ، بالانسان المثالي المنتظر .

وأحسب ذلك اليوم قريباً جداً ، فان فكرة انشاء جامعة الصحراء في الصحراء ، قد أخذت مكانها الحي العملي من أنفس رجال الحل والعقد ، في حكومتنا السعودية الرشيدة ، حفظها الله ورعاها ، فقد عين المكان قريباً من العاصمة — الرياض — وسوف يكون انشاء جامعة الصحراء السعودية ، هو أكبر عمل تاريخي بعد الفتوحات الإسلامية الخالدة ، حفظ الله جلالة ملكينا المفدى سعود بن عبد العزيز آل سعود وجعله زخراً للعروبة والإسلام .

تعليق حديث للطبعة الثانية على كلمة أمير الكويت الشيخ عبد الله سالم الصباح : نحن الآن في عام ١٤٠٢ هجرية وقد أنعمت الصحراء بالجامعات الكبرى وقد توحدت دول الخليج وأصبحت أمة واحدَ كأمس وأصبح العالم في الصحراء مثله في المدن . وقريباً تجد كلَّ عربي يتكلم بلغة الفصحى التي كان آباؤه يتكلمون بها وأنزل على مناهجها وحي الله ...

هذا قريب بإذن الله ...

الحياة عربة

كان يتقلب على فراشه الوثير ، ويصرخ صامتاً :

يـــــــــا ويح اهلي ابلى بين أعينهم   على الفراش ومـــا يـــدرون مـــا دائي ؟

واسخطه — وإن لبس ثوب الشيخوخة المتهافت — أن اهله كفواً عن انفاق الصفراء والبيضاء ، لاستئصال دائه ، وما به من داء ، سوى داء الشيخوخة المتداعية .

نعم انه اتكأ على رأس المائة ، كما احصاها الذين لا يعرفون من الحياة ، الا هذه الارقام ، التي يضيفونها اليها أما هو فانه ينكر حساب الاعمار ، ويحس — وان كان لقى لا يزيد على جذع النخلة المطروح في حديقة منزله ، انه لم يستنفد بعد شعلة الحياة : أي شعلة شباب القلب والنفس والفكر . انى يستنفدها والمرء يحس وهو في ساعته الاخيرة أنه لو اعطي عمر الانسانية جمعاء ، الطويل الطويل ، لما زاد عن عمر الوليد ، الذي يخطفه الموت منذ الاستهلالة الأولى .

أجل ، لمس — وهو في سياقة الموت — ان الحياة عربة طائرة مسحورة ، وانها موفورة بالاحلام المفتونة ، ذات السراب الخداع ، وبالالغاز البعيدة المعقدة . التي لا تحل .

وصرف عينيه الى النافذة المفتوحة حيال مرقده ، يحملق في الفضاء ، كالفلكي الذي أضل نجماً بين دروب السماء ، ليرحم نفسه بالاعراض عن خبث نظرات العوّد ، وطوالع وجوههم المتلفعة شقوق الغمائم ، واذا أطيافها ترف رفاتها الأخيرة ، قبل أن تلفها الظلمات ، وصرخ احتجاجاً ، لماذا نبذته عربة الحياة وراء غبارها ، نضواً حسيراً ، كأنه شيء تافه لا وزن له ؟!

اواه اين نفسه الانوفة ؟ التي كان يملكها — بين جنبيه ، أكثر من كل شيء ؟ ما بالها أخذت تطير شعاعاً ، غير مكترثة به ولا راحمة ، كأنها ما عرفته يوما .

أما كان منذ أيام يشاطر الناس الحياة ؟ ويفتن بها أكثر مما يفتنون ؟ أما كان حركة دائمة ؟ وقوة لا يستهان بها أما كان يعير الشبان الخاملين على يأس ، إلا من الواح اكتافهم الطويلة العريضة ، وسواعدهم المفتولة ، ودمائهم المتفجرة في أوجههم ، اذا وجدهم يعدمون جهود الطموح في نيل امجاد الحياة : بالعزائم الجبارة ، بالمغامرات الشاقة ، بالصبر والاحتمال .

اما الآن — وقد أصبح طريح الفراش — فانه أدرك ان فلسفته التي اعتز بها طول حياته ، وسود منها في مؤلفاته ما سود ، ما استطاعت أن تزحزح عنه هول ما نزل به أو ترجئه اياما ، أو على الأقل تكشف له هذا الامر الذي آل اليه . ومن أجل ذلك ثارت ثائرته الهامدة . واهتاجت نفسه الخرساء وأخذت تردد ، وهو ساقط على أبواب الآخرة حياتي حياتي .

ولكنه يعود فينكر أن تسمى هاتيك الاحلام الخاطفة التي مرت به حياة حقيقية .

ها هي ذي تودع ذاكرته فصلا فصلا ، والناس يجهلون الحياة ، ، فيحسبون المائة عمراً كاملاً ، ويغبطون صاحبها هذا اذا لم يحسدوه ، أما هو فلم يتبين أن تلك المائة زادت عن الساعة التي تقضي في قاعة التمثيل .

انه لا يتذكر ابداً ، كيف ركب عربة الحياة — وكيف أفضت به الى حافة القبر ؟ كل الذي يذكره أنها تمددت ، ثم حشرت في هذه اللحظة الخانقة ، كأمواج الهواء تترامى ما تترامى ! ! ثم تحشر في مثل كرة القدم ، لتتقاذفها اقدام اللاعبين . تبا للحياة أنها فتانة ختالة ، هذه المائة التي تحسب عمراً طويلا ، تتحداها هذه اللحظة في الطول ، وأي اعتبار للمائة أو الألف بالنسبة لعمر الوجود ، وحظ الانسانية جمعاء من عمر الوجود ، لا يزيد على ساعة من نهار .

أية مائة هذه التي مرت به في مثل شرارة الكهرباء التي تلف الكرة الارضية في الثانية الواحدة سبعا ؟ !

هو لا يتذكر من حياته الا أنه كان جنينا بطيء الحركة ، وأنه ولد هزيلا كالوشاح البالي ، وانه ظل راسباً في أرضه أربعة أعوام . حتى مله أبواه لكثرة علله ، وكره الاطباء لقاءه . لفشلهم في تطبيبه ، ومع ذلك فقد ذهبت انذاراتهم بموته سدى .

هذا ما ظل في ذاكرته من حديث أمه عن حياته الأولى المجهولة .

وما عرف نفسه الا طفلاً ممروضاً قليل الحركة ، ينظر الى اترابه والى عبثهم المشوق ، وجلبتهم الصاخبة نظرة الغريب المريب ، غير مكترث لهذا الموت ، الذي يقاومه أبواه عنه ويحذرانه عليه . لأنه كان شبحاً هائماً في سوارح أحلام الطفولة ، غير مفتون بتهاويلها السحرية ...

وانطوى فصل الطفولة ، واسدل الستار ، وهو لا يدري كيف انطوى ، ولا كيف اسدل . لأنه لم يلف نفسه الا وهو في دور الشباب ، بين رفاق زهر مثقفين ، يغدو وإياهم قوياً شديداً ، تظلله خمائل أحلام ذهبية ناعمة ، زوت عنه لفحات سموم الحياة المحرق ، بندى افيائها وطيوب ازهارها وتغريد اطيارها .

ومرآة الشباب تضخم ما تمسه ، كالهر يحكي انتفاخاً صولة الاسد ، فكان بقليل العلم يرى نفسه فيلسوفا ، وبخدعة الاماني يرى نفسه سعيداً . وكم مرة تمثل بين اترابه برعونة قول المتنبي ، اعتزازاً بكبريائه :

أي محـــــل أرتـــــقي أي عظـــيم اتقـــي
وكـــــل مــــا قـــد خلق الله ومـــــــا لم يخلـق
محتقـــر فـــي همـــــتي كشعـــرة فـــي مفـرقـــي

وكم مرة لعن وجدف واتخذ من معارف العلماء ومؤلفاتهم وسيرهم ، صحائف سخريته ، ليخدع الناس أنه وحده الانسان الكامل المحرر ، الذي تعمق في بحوثه ، حتى وعي واقع المعرفة في كل شيء .

وفي نشوة غفلات الشباب ، وثبت به عربة الحياة وثبتها السحرية الى الكهولة ، وتبدلت المناظر وتغير موضوع التمثيل . ومع ذلك ظل يرفض أنه دخل في دور الكهولة ، وان تجاذبته اعاصيرها عاصفة بأحلام الشباب ، المشعة في شتى اتجاهاته . ولولا أن التكاليف الشاقة ترادفت عليه ، والمسؤوليات الخطيرة نهشته ، وفجاءات الاحداث وكوارث ، مكايد الانسان الوضيع أخمدت في نفسه صور تهاويل الشباب . وهدمت من قواه ما هدمت ، لما اعترف لنفسه في أبعد اغوارها ، همساً أنه دخل في دور الكهولة . ولكنه ظل يغالط الشباب بانتسابه الى بواكير أعمارهم .

وكم حاول أن يشد اليه ، مجالي شبابه الزائل ، فكان ما يشده في كل مرة السراب ، إهاتفة به سخريات الزمان :

مـــا مضى فـــات والمؤمـــل غيبٌ   ولك الساعـــــة التي أنت فيهـــا

وشد ما أوجعته الحقيقة في أشراقة الفكر ، لأنه تبين أن الساعة التي خالها الشاعر رقما صحيحاً في صحيفة حياته . هي صفر في سجل الوجود الخالد .

اين هي تلك الساعة التي امتلكها من حياته ، وهو لم يمتلك طفولته ، ولا شبابه ولا كهولته ، بل ولا شيخوخته التي غدرت به فاكتنفته بكل امراض الطفولة ، وبكل افاعيها التي انسابت اليه ، وفغرت فاها تنهشه نهشا ، الشيخوخة التي وافته ، ولا يدري من اين وافته !؟

والعجيب أن تلك الساعة التي زعم الشاعر أنه يمتلكها من الزمن ، كانت تمر به كأنها الفراشة الزاهية بمفاتن الوانها الساحرة ، وفي كل مرة تسول له نفسه أن يمسها ، تذوب في يديه ذوباناً سريعاً .

وهكذا تمر بالانسان عربة الحياة ، في مثل شرارة البرق وأن يخل نفسه أنه ثابت في مكانه ، لم يتغير ولم يتبدل ولم ينتقل . وان الذي يتغير ويتبدل وينتقل ، هو الزمان فيملكه الغرور فيعمد الى الأيام ، فيطلق عليها ، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً والزمان ينظر اليه في وزن البعوضة ، التي تبسط جناحيها ، وتضمها الى نفسها . وفي زعمها انها وسعت الكرة الارضية !

*

ويحك يا مسكين أنت وحدك المتغير ، وان الماضي والحاضر والمستقبل هي صفات حياتك !
والواقع أن حياتك كلها ماضية ، وان عربه الحياة الخاطفة هي الساعة الموهومة التي حسبت أنك تمتلكها من الزمان .

والحق ان الانسان لم يمتلك شيئاً سوى أعماله ، التي يقول الله فيها :
«ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا»

كَلمَة الكليَّة الشَّرعيَّة

هي كلمة القاها المؤلف باسم الكلية الشرعية في دار المفتي الأكبر الشيخ محمد توفيق خالد بمناسبة الاحتفال بسمو الأمير فيصل وسمو الأمير منصور في ٢٥ جمادى الأول عام ١٣٦٥ .

يا صاحبي السمو

إن كاتب التاريخ العربي الحديث لن يستطيع أن يمر ، من قبل أن يقف طويلا جداً ، مأخوذاً بما شادته اسرتكم الخالدة ، من أمجاد خالدة ، لأبناء وطننا الأم — جزيرة العرب —

أجل ان أسرتكم الماجدة ، قد نفخت في رموس الجزيرة الهامدة ، بعد كفاح معاركها الماضية ، نسمة الحياة الإسلامية الصافية ، فهب ابناؤها الاشاوس ، وقد نفضوا عنهم ، اكفان التواكل ، والجهل واضاعة الوقت هدراً . والايمان الصحيح ملء قلوبهم ، والعزائم الجبارة تتقد بين جوانحهم ، والطموح العربي المقدام ، يقحم بهم كل ميادين المعارف والصناعة والادارة والجندية الحديثة المدربة ، والاعداد الحربي المتفوق .

وقائدهم الفذ صقر الجزيرة ، وامامها الكبير والذكم العظيم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، يقود الطليعة ، وفي يده علم النهضة الإسلامية الكبرى — علم لا اله الا الله محمد رسول الله — يلوّح به للتائهين ، ويركزه فوق قمم الجبال وعلى ذرى الحصون ، وفوق كل سارية وشرف ، وهو يهيب بهم ملء اسماعهم بندائه القوي المجلجل .

« هيوْا الى الامام ، هيوْا الى الامام »

ها هو ذا سلاحه يضيء سناه ميادين الشام والعراق والمغرب العربي والسودان ومصر ، ويشق لهم به طريق العزة والكرامة والثروة والجاه .

وهذا صداه تباركه الجزيرة في نشيدها الخالد :

حبذا الآمال يحدوها الى النجح الامام	وطلائع النشء يرد المجرة عن زمام
العلم يحدوها وروح الله والهمم الجسام [1]	وشعارهم أشبال إذ ذاك البلاد إلى الأمام

(١) النشيد لمعتمد المعارف في المدينة المنورة سابقاً الاستاذ الكبير الشيخ محمد سعيد دفتر دار .

والواقع أن إمام الجزيرة لم يمهد لوحدة الجزيرة التاريخية وأمجادها الكبرى بالحروب الطاحنة والفتن العمياء ، وانما بروح كلمة التوحيد الطاهرة الجامعة ، والقضاء على الخرافات المبيدة المفرقة .

يا لله !! كم امتياز لنهضتنا الاجتماعية الإسلامية الحديثة الا ان قادة الامم يجمعون كلمة أممهم بالحديد والنار وقائدنا يجمعنا بكلمة السماء .

« لا اله الا الله ، محمد رسول الله »

ألا ان علماً تسطع فيه كلمة السماء ، لهو علم الانسانية الاكبر ، الناس كلهم جنود مضحون تحت ظلاله .

يا سادة لعلكم كنتم تستغربون ان فاتحاً يفتح عاصمة بلاده بعشرة رجال ، لو لم يكن هذا الحادث بالذات وقع لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود -حين افتتح عاصمة بلاده « الرياض » .

والواقع أنه لا غرابة في هذا الأمر بتاتاً ، ما دام في قلب كل رجل منهم ، من كلمة التوحيد ، قوة لا تعدلها قوة القنبلة الذرية .

وشتان ما بين القوتين ، تلك للعمار وهذه للخراب ، تلك للاجتماع ، وهذه للشتات ، تلك للحرية ، وهذه للعبودية ، تلك للسلام وهذه للحرب ، تلك للرحمة وهذه للقسوة .

يا صاحبي السمو

ان الحجاز ونجداً كجناحي الطائر ، بالنسبة للوطن الام — جزيرة العرب — لا تنهض لاستعادة وحدتها وشوكتها وسلطانها الا بهما معاً ، وهما في وعي شبان الجزيرة الاجتماعيين المفكرين ، كلمتان مترادفتان لمعنى واحد كبير مقدس في قلوبهم .

الاجتماع قوة لا تقهر

ونجد والحجاز اعتصام من الخطر والزلل والوقوع في الهاوية وقيام للاسلام والاخلاق والفضيلة والهدى ، وملاك للأدب العربي السامي الصحيح ، الخالي من الدعارة والفحش والتسمم والأوبئة الفتاكة ، والسطحية وقلة الذوق .

ونجد والحجاز في نظر العربي الصميم ، والمسلم الصادق ، محل للسابقة الى التضحية وتقديم الخدمات ونيل القربات ، لا موطن المسابقة الى جلب الاموال بشتى طرق الاحتيال .

وما حن العربي الصميم يوماً الى الحجاز الا وكان حنينه الى نجد مثله .

احن الى أرض الحجـــاز وحـــاجتي　　خيـــام بنجـــد دونها الطرف يقصر
حنينـــاً الى أرض كـــأن ترابها　　اذا امطرت عـود ومسك وعنبر

يا صاحبي السمو

ان مفتي الجمهورية اللبنانية الاكبر ، ورئيس الكلية الشرعية الاعلى ، مكبر كل الاكبار الامجاد الاسلامية العربية الخالدة التي افترعها والدكم العظيم ، في موطن العروبة الاول « جزيرة العرب » ومهبط خاتم الكتب السماوية « القرآن المجيد » .

وعلى ضوئها شيد هذه الكلية الشرعية الإسلامية في لبنان لتكون احدى المنارات الساطعة التي يتعهدها جلالته بالرعاية والعناية والاهتمام للابقاء على نشر التعاليم الإسلامية في ربوع لبنان على غرار السلفَ الصالح . وللاكتفاء بالعلماء الوطنيين عن جلب سواهم من الخارج .

وهؤلاء هم اساتذتها خفوا لاداء التحية اليكم اعجاباً بكم وتقديراً لجهادكم وهم يحملون الاجلال والاكبار لصاحب الجلالة مليكنا المعظم عبد العزيز آل سعود ابقاه الله خير ذائد ، عن حما العروبة والاسلام ، ورعى اشباله الاماجد باليمن والعز

يا صاحبي السمو :

انا قد تركنا وراءنا من طلاب الكلية الشرعية الاسلامية شباناً تتقد قلوبهم حماسة لرؤيتكما ، ورغبة ملحة في أن يستضيء معهدهم بزيارتكما .

انهم عقدوا الايمان والعزائم والصدق ملء قلوبهم على الانضواء تحت اللواء السعودي الإسلامي المقدس لواء كلمة :

لا اله الا الله محمد رسول الله

تعليق إن هذه الكلمة قد مضى عليها ٣٧ سبعة وثلاثون عاماً وهي تكشفُ أفكَ الذين نسَبُوا اليَّ أنّي لَم أقمْ بأداءِ حَق بلادي ودولتي وإسلامي في مدى غربتي الطويلة والحقُ أن كل مؤلفاتي تكشفُ هذه الحقيقة التي لم أطلب من ورائها يوماً ، أية مادة أو شبة مادة .. وكل الذين عرفوني يعلمون أني لم أمدَّ يدي الى أحد إلاَّ لله . الذي منحني الصبر والدأب في العمل النزيه هو التعليم العام والخاص ، وهذا إنعام من ربي أفخر به دائماً ... وكل الذين عرفوني في لبنان يعرفون مني ذلك سَلُوهم . وأكثرهم أحْياء والحمد لله ...

لو أنصف الناس لاستراح القاضي

لو تفقد الكتاب هذه الأمثال البسيطة ، التي تمر عفواً على ألسنة الناس لكل مناسبة . لوجدوها مشتملة على حكمة الانسانية الواعية المفكرة ، وتجاربها المديدة .

أجل منذ أبعد الأزمان ، والبشر يعلمون أن لهم امراضاً نفسية فتاكة ، ويعلمون ان لها أدوية شافية . ولكنهم في كل عصر يرفضون ان يبذلوا ادنى إمكانيتهم ، ليصبح العلاج بها واقعياً .

وكل الواقع لديهم ، هو أن يصفوا الدواء بالسنتهم ، ولكن بعد استعصاء الداء ، ونفاذ الوقت الموائم لصحة العلاج .

وقليل جداً المصلحون العمليون الذين يدخل في مقدورهم أن يفرضوا على الناس العمل بتجارب الاجيال التي يعلمها الجميع ، ولا يعمل بها الجميع .

ها نحن أولاء نسمعهم — كلما تعدت جماعة على جماعة أو فرد على فرد واشتبكت بينهم الخصومة ، واستعرت العداوة ، وسالت الدماء ، وتدخلت المحاكم الشعبية الخاصة أو المحاكم الدولية العامة ، أو جامعة الأمم — يقولون « لو أنصف الناس لاستراح القاضي » .

وقولهم هذا آية أنهم يكبرون الانصاف بألسنتهم ، ويتغنون به في مؤتمراتهم ونواديهم ، ولكنهم يركلونه بأقدامهم قبل أن يباشروا أعمالهم .

ما الانصاف ؟

سؤال يجول في خاطري ، كلما شاهدت جماعة مهضومة الحقوق ، تلجأ اليه وتهتف باسمه .

هل هو غريزة ؟

يا ليته كان غريزة فان الغرائز بواعثها نفسية طبيعية تهيمن على أعمالنا ، وتوجهها وفق اهتياجاتها ، على الرغم منا وكبتها لن يتم الا بإيمان كبير ، أو برياضة شاقة وعنت طويل .

اذن فلو كان الانصاف غريزة ، لشاهدت الحياة الانسانية على حال غير هذه الحال ، القلقة الحائرة الظالمة المدمرة ، المنتقمة المتآمرة المتلونة الغدارة ، أي لشاهدتها على حال حافلة بالطمأنينة والسلام ، والثقة والتفاهم ، والنوايا الحسنة الصادقة والأعمال الحسنة الصادقة ، لاقامة العدل المطلق ، وتحرر الشعوب المستعبدة .

والحق أن الانصاف ، هو عاطفة كعاطفة القومية ، هو أحاسيس الوجدان المثالي المهذب ، هو قوام العدل المطلق . ولكنه لن ينتظم أعمال الأفراد والجماعات ، ولن تستقيم عليه أمورهم فيما يأخذون أو يدعون ، إلا بتربية انسانية عالية ، او بتأديب إلهي موهوب .

ومتى عمر الانصاف وجدان الانسان فانه حينئذ يأبى ان يعامل احداً بما يأبى لاحد أن يعامله به .

اذن فالبشر لن يظفروا بمثلهم العليا ، التي تقضي على وراثات المغاور ، وشرائع الغاب ، المتحكمة في أعمالهم ، الا اذا أصبح الاحتكام الى الانصاف من طبائعهم .

والعلماء المصلحون يرون ذلك بعيداً الان ، لأن الاحتكام الى الانصاف لا يكون واقعياً الا نتيجة أمرين اساسيين إما نتيجة تطور عضوي عام يبدل استجابة الغرائز للمؤثرات الخارجية التي تتحكم في تعيين أعمال الانسان ، وهذا التبدل يوجب تداول أجيال طويلة لروح الإصلاح وإما نتيجة انقلاب نفسي كبير مفاجيء ، وهذا لا يكون الا بعد ضربات وحشية بسياط الذرة والهيدروجين ، توقظ روح الوعي الانساني الكريم :

إذن ، فكل أمة ستظل تعد لأختها في مجاهل الأرض السحيقة الخفية كل ما يدخل في إمكانها من المدمرات السريعة الجائحة .

وهذا الاعداد الجهنمي المتربص المخيف ، لا يمنع — في نظرهم — ان يتعابثوا بتجاهله ، وان يتنادوا بوجوب تحكيم الانصاف ، واعلان الايمان به ، ورصد الميزانيات الضخمة لجامعة الامم من أجل زرقة عينيه .

وهكذا سيظل الاحتكام الى الانصاف رواية ساخرة جذابة تمثل في أروقة جامعة الأمم ، ويتناقلها ممثلوها الى أممهم للعبث والتسلية والضحك على الذقون الطويلة العريضة .

لو كان في الدنيا شبه ظل من الانصاف ، يعتصم به من وقوع المظالم ، لما كنت ترى الامة القوية التي ترفض بتضحية أن ترضخ لأمة أقوى منها ، تحاول التسلط عليها ، هي بالذات التي تبيح لنفسها أن تتسلط على أمة أضعف منها ؟ ! !

ها نحن اولاء نشاهد الامم الراقية المهذبة التي قطعت اشواطاً بعيدة في الحضارة والتقدم ، ما تزال الغرائز المرسلة هي التي تتحكم في تعيين اتجاهاتها وأعمالها ، شأن اخواتها الفصائل الحيوانية الفتاكة المظلومة باحتقارنا .

أجل هؤلاء الساسة الافرنسيون .

تراهم وهم في ذرة معارف القرن العشرين .

تستبد بهم غريزة حب التملك والسيطرة ، فيصمون ما يعرفون من نبل جهاد المغاربة ، من

اجل الانطلاق والتحرر من ربقة استعبادهم ، بشر ما يصمون به أعمال اللصوص الفتاك ثم يعقدون الاجتماعات تلو الاجتماعات ويرسلون الجنود تلو الجنود ، للقضاء على نزعة الحرية والانطلاق وللابقاء على ربقة الاستعباد بالحديد والنار واراقة الدماء واستباحة المحارم .

فاذا كانت فرنسا ربة الثورة التحررية المشهورة ، فرنسا المثقفة العالمة ، هذا انصافهم لطلاب الحرية ، فكيف يكون أنصاف الامم التي هي دون فرنسا ، في هذا المضمار الحضاري الراقي ؟.

والعجيب أنها تفعل ذلك ، وهي تفاخر بأنها محررة الشعوب المستعبدة في العالم . وبأنها هي التي أمدت الولايات المتحدة بالأسلحة ، حتى استطاعت أن تقلع مخالب الاستعمار الانجليزي من بلادها ، تفاخر بذلك ، وهي تعلم والولايات المتحدة تعلم أن امدادها لم يكن الا انتقاماً من الانجليز ، لا حبا في انصافهم ، كشعب مستعبد مظلوم . ولو أنها فعلت ذلك انتصاراً للحرية الانسانية المستعبدة ، لباركت جهاد الشعب المغربي المستعبد ، في سبيل الحرية ، وذكرت — من باب الانصاف — قيامها وقعودها ، وغضبها الجهنمي على الإلمان ، حين احتلوا بلادها ، واغتصبوا حريتها ، وهل فعل الإلمان معها ، بعض ما فعلته وتفعله هي في المغرب العربي ، بمقاطعاته الثلاث — تونس ، الجزائر ، مراكش —

ونجد فرنسا تكره جداً ، من يذكرها بالحوادث التي تمت الى ايجاب شيء من الانصاف ، وآية ذلك غضبتها المضرية ، على جامعة الأمم ، وفصل مندوبيها منها ، حين قررت النظر ، في قضية الجزائر الوطنية ، لتعطي فيها حكمها ، الذي قد يهمل ، كما أهمل حكمها في القضية الفلسطينية من قبل .

هبي يا فرنسا ، ان خلافا نشب بينك وبين اميركا ، وهبي انك عذت بجامعة الامم ، لتدرس وجه الخلاف ، وتعطي فيه حكمها ، فهل تكونين راضية ، لو أن أميركا غضبت على حامعة الامم ، وسحبت مندوبيها من أجل ذلك .

اليس من الانصاف الطبيعي ، ان تعلم فرنسا ؟!! أن الانسان سواء اكان يقطن صحارى افريقيا ، أم ناطحات السحاب في امريكا ، يمجد الحرية والعزة والكرامة ، ويحقر العبودية والذلة والمهانة .

الوحش الوحش — يا فرنسا — يقاتل من أجل حريته فكيف الانسان ؟ وما دام الانسان يملك في رأسه لمحة من فكر ، وفي قلبه ذرة من ايمان ، وفي نفسه جذوة من اباء فمحال أن لا يرفض الاستعباد ، ولوكان في رفضه هلاكه .

ألا كل شيء ممكن في هذه الدنيا ، ولكن استمرار الاستعباد الى الأبد ، دون قيد أو شرط ، كما تريده فرنسا ، في المغرب العربي ، ! فانه غير ممكن . وهذا تاريخ البشر — حتى في عصور انحطاطهم ، أكبر شاهد ، ورحم الله أمير الشعراء حيث يقول :

اذا ملكت النفوس فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الاسر فكيف الخلائق العقلاء

يا لله ! ! كم تظلم الامم نفسها حين ترفض رأي المنصفين من ابنائها ؟ وكم تريق دماءها ؟ وكم تدمر عواصمها ؟ وكم تشقي عيشها ؟ وتجعله مريراً لا يطاق ؟.

الا يا أم الارض انك تستطيعين بجزء يسير من الانصاف ان تتفاهمي التفاهم الكريم الصادق ، لا التفاهم اللئيم الكاذب ، وان تذيبي احقادك الوحشية الحذرة ، التي تجعل تركك الاعداد الذري المتفوق ، لدرء مفاجآة انقاض اعداءك الاقوياء ، غفلة مبيدة .

وبجزء يسير من الانصاف يمكنك أن تكتبي التاريخ خالياً من الدس والتحريض والايحاء بالكيد والأذى وتشويه الحقائق ، والتذكير بالسيئات والشر ، والنسيان للحسنات والخير ، أي تكتبينه على هدى المصالح الانسانية الاجتماعية الراقية ، التي تجعلك تردين الحريات السليبة لأصحابها ، وتحترمين اللغات والاجناس ، على اعتبار انها فروع شجرة الانسانية الجامعة ، الموجبة للتعارف والتفاهم والاحسان ، أي تجعلك تؤمنين بأن أصلك واحد من ذكر وانثى ، وان قوميتك الثابتة هي التي ترجع الى جذور هذا الأصل الذي اعلنه الله في القرآن المجيد :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم »

يا أم الأرض أعلمي أن اعراضك العملي عن هذا النداء الآلهي ، وجحودك الصريح لهذا الأصل الذاتي الجامع ، هو الذي جعل قومياتك شتى ، وعواطفك شتى ، جعل قومياتك شتى ، لأنها قائمة على معالم التراب ، وجعل عواطفك شتى لأنها منبعثة عن غرائز الغاب . وهذه حال كلما تفاقمت ، ازددت بعداً عن التوادد والتراحم والتفاهم . أي ازددت بعداً عن روح الانصاف .

هذا هو الواقع الذي جعل كل دولة من الدول الكبرى تعلم بالتجربة والمشاهدة والتاريخ ، كل العلم ، ان ادنى غفلة منها ، عن أية دولة قوية مثلها ، دون الاعداد المستطاع ضدها ،

ودون أحكام شبكة الترصد والدعاية ضدها ، ودون أحكام صرفها بكل الوسائل عن اقتناص أية فرصة ضدها تفسيره في النهاية هو الحكم على نفسها بالاعدام .

أي ما دام هذا هو الواقع ، لدى كل دولة من الدول الكبرى ، فهيهات أن يأتي يوم ، يكون منهم فيه تفكير عملي لتحوير التربية والتعليم ، على حال ينفخ فيها روح الانصاف .

دعهم يرفضوا الاحتكام إلى الانصاف لحل معضلات مظالمهم السياسية ، التي تتجدد كل يوم ، ودعهم يعتقدوا أن الاحتكام إليه ، سيظل مستحيلاً إلى الأبد ، ودعهم يجمدوا على اعتقادهم هذا . ولكن لا تنس أنهم متناقضون ، وأنهم لا يخجلون من تناقضهم .

لو أنهم يخجلون من تناقضهم ما اعتقدوا ان الاحتكام إلى الانصاف مستحيل ، مع اعتقادهم انه : «لا مستحيل في القاموس» .

يا ويحهم أنهم ينفقون كل إمكانياتهم ، من أجل التفوق في اعداد قنابل الذرة والهيدروجين والغاز والأوبئة الفتاكة ، ويمتنعون عن ان ينفقوا أي جهد ضئيل لتهذيب مناهج التربية والتعليم خشية أن يسكب على الانصاف الهامد نسمة الحياة ولأجل أن يظل اللجوء إليه في كل الايام مستحيلا ، هذا واقع أعمالهم بصراحة .

وهكذا نجد الدول القوية الكبرى ، هي التي تبذل إمكانياتها الواسعة ، لتجعل اللجوء إلى الانصاف مستحيلا الى الأبد .

أيتها الدول القوية الكبرى ، احذري اشباهك الدول القوية الكبرى ، ما وسعك ، الحذر الوحشي الحقود المتربص وسددي كل مواهبك وعبقرياتك العلمية إلى صدرها ، حراباً ذرية مجتاحة .

وأفعمي سراديبك من ههنا ومن ههنا ، بثروات الشرق والغرب ، وحافظي طاقتك ، وفوق طاقتك ! ! على جشعك الفاجع المخيف ، واطماعك الختالة المفترسة ، التي لا تنتهي وإن انتهت حياتك ، وأظهري مؤتمراتك المستأجرة ، للتغني بأمجاد السلام والانصاف والحرية وتخفيض السلاح لذر الرماد على العيون .

وأخفي مؤامراتك الحقودة الهدامة عن أعين الرقباء والارصاد لتحكم الاراقم تسديد انيابها الى المقتل ، في جنح الظلام ، ساعة الغفلة . افعلي كل ذلك ما دام وضعك من تقاليدك ومجموعتك النفسية ، هذا الوضع الشاذ ، ولكن الى جانب ذلك اسمحي لبعض امكانياتك أن تغرس ثلاثة مبادىء ، أنزلها الله عز وجل في خاتم الكتب السماوية — القرآن المجيد — فيما أنزل من مبادىء لتصبغ المعاملات العامة بالانصاف والعدل البريء المطلق .

هيا اعتنقي هذه المبادىء الثلاث الآن ، وأديري مناهج التربية والتعليم على مثلها العليا القويمة الخيرة الناهضة ، فإنك ستذوقين من ألوان السعادة والطمأنينة والأمن والتفاهم والمودة والرضا ، ما لم تحلمي بمثله ابداً ، مما يجعلك تقبلين على تحكيم الانصاف ، في كل أعمالك عفواً .

وفي اعتقادي أن ما تلمسينه ، من نتائج كريمة موفقة سيحمسك على الأخذ بكل المثل التقدمية العليا التي أوحاها الله عز وجل ، لإصلاح الحياة الانسانية واسعادها ، في شتى النواحي التي تناولتها .

المبدأ الأول

تربية العاطفة الانسانية ، على هدى وحي الله عز وجل وهذه التربية إذا أخذت بها وزارات المعارف في الدول الكبرى جعلتها تؤثر العدل في المعاملة ، والانصاف قوامه العدل في المعاملة ، وهيهات أن يؤثر الجائرون ذلك .

إذن فلا بد للدول الكبرى ، من تربية العاطفة الانسانية تربية عالية ممتازة لتؤثر الانصاف في أحكامها ولو ضد نفسها وهذه التربية تتحقق بفرضها على مناهج الثقافة في العالم ، وهي لا تتوقف على تداول أجيال مديدة ، لأنها تقوم على الكبت الغريزي . والكبت الغريزي يتحقق بالإقبال على دراسة الوحي . والاخذ بمثله العليا والتطهر بأضوائه من أوضار الغرائز العارمة وطغيان العواطف المتحاجزة .

وكل ذلك من مقاصد رسالة الإسلام العظمى التي جاء التنويه بها في القرآن : « هو الذي بعث في الامين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

ولن تجد الامم كافة من مثل عليا احفل بالاعمال المنتجة الخيرة ، لتربية العاطفة الانسانية ، الجامعة من مثل القرآن الكريم . وكل ما يصيب الافراد والجماعات من شقاء هو موزون بمقدار بعدهم عنها « صاع بصاع » .

المبدأ الثاني

الحكم بالعدل المطلق ، ولو على النفس أو الوالدين ، أو الأقربين . وهذا هو المثل الأعلى ، في فصل المنازعات بين الافراد والجماعات والدول ، وهذا هو عين الانصاف ، قال الله

تعالى : «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين»[1] .

ولن يتحقق العدل المطلق في الواقع العملي ، الا اذا شمل نفس الاعداء المشاغبين بظلاله الندية المنصفة قال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى»[1] .

ومتى استقامت نظم الاحكام في العالم ، على روح العدل المطلق ، سواء بين الافراد في داخل الاوطان ، أو بين الدول خارجها .

فان الانصاف سيأخذ مكانه اللائق به في أنفس سياسة الدول ، لأنه هو نفس العدل المطلق ، وحينئذ لا يسع هيئة الامم المتحدة ، إلا أن تقيم محكمة دولية كبرى ، ذات شوكة محترمة مطاعة ، تفرض العدل المطلق فرضاً ، على الدول الكبرى والصغرى على سواء بينهم ، وتعتبر كل دولة تستهين بأحكامها مجرمة اجراماً عاماً ، ضد الدول كافة ، وحينئذ تشن جميع الدول على تلك الدولة الجائرة المعتدية حرباً عامة ، مهما كانت قواها متفوقة ، بعد أن تحاصرها اقتصادياً وتمتنع عن التعامل معها . حتى تنيء إلى روح ، الانصاف وترضخ لحكم العدل المطلق ، : «فان الله خلق جهنم سوطاً يسوق به عباده إلى الجنة» .

ومتى تمكنت هيئة الأمم المتحدة أن تنشيء محكمة دولية عليا ، مدعومة بجيوش الدول كافة . وتقوم أحكامها على روح وحي الله عز وجل ، فان المظالم ترفع حتماً ، والمصالحة تفرض فرضاً ، والمعتدي يرد اليه اعتداؤه دون انتقام ، وحينئذ لا تتكرر قضية البريمي التي تعالجها حكومتنا السعودية الرشيدة بمنتهى الحكمة والتعقل ، مع جرأة الساسة الانجليز على التسلط الجائر ، ووضع اليد وقدرتهم على اختلاق الحجج المضلة للرأي الدولي العام ، اذ هم يفعلون كل ذلك اعتماداً على قواهم المتفوقة ، وتحكمهم في هيئة الامم الحالية ، واستهانتهم بها ، واعراضهم المكشوف الساخر عن كل أحكامها التي لا تلذ لهم .

وهل تجهل انكلترا منطق الشرائع الدولية ، أنها لا مبرر لها في التسلط على أطراف جزيرة العرب ، وفرض نفسها على الرغم من أهلها ، مصلحة مثقفة ، مدافعة غيورة ، وهل تقبل هي مثل هذا الإصلاح والتثقيف والدفاع والغيرة ، في جزء من بلادها من دولة من الدول مهما بلغت صداقتها بها في الظاهر كأمريكا .

---

(١) النساء ١٣٥

(١) المائدة ٨ .

الا إن انكلترا هي الصديقة العدوة ، والمصلحة المفسدة والمثقفة المجهلة ، والمسالمة المحاربة والمدافعة المستبيحة .

وإن اخلاصها لوطننا — الجزيرة العربية — كاخلاص الثعلب للدجاج[1] .

المبدأ الثالث

تأييد المصلحين ومقاومة المفسدين في الأرض . ولا ريب أن في تأييد المصلحين تأييداً للعدل ، وفي مقاومة المفسدين مقاومة للظلم ، وهذا أمر مفروض في كتاب الله عز وجل : « ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون » .

والمفسدون تظل السنتهم جذابة وضاءة قريبة من الانصاف ، وقلوبهم حقودة مظلمة بعيدة عنه ، شأنهم تمزيق الكلمة ، وعملهم الاعداد للتدمير القاضي على الحياة والاحياء ، وللبعد عنهم وللتحذير منهم جاء قول الله عز وجل : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام . واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » .

ويحسب السطحيون أن الاصلاح هو الاغراق في مفاتن الحضارة والعمران السطحيون ان الاصلاح هو الاغراق في مفاتن الحضارة والعمران والاسراف في التهام الشهوات .

ما أجهلهم لوكان هذا هو الاصلاح لكانت الدول الكبرى الحديثة ، على أحسن ما يكون الإصلاح ، لأن لها من اغراقها في مفاتن الحضارة والعمران ، واسرافها في التهام الشهوات ، ما لم تحلم بمثله الامم ذات الحضارة البائدة .

يا هؤلاء ! ! لوكان هذا هو الاصلاح لما رأينا الامم القوية البائدة ذات الحضارات الواسعة لم تهلك وتصبح اثراً بعد عين إلا وهي في أوج غرورها الحضاري وعنفوان كبرياءها وتفاقم ظلمها وفسادها وطغيان كفرها وسخريتها بالإيمان وأهله . ولنتل كبرهان هذه الآية الكريمة بخشوع : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » .

وهذا المبدأ اذا دان به ساسة الدول الكبرى — الذين يملكون اثارة الفتن ، وتأريث الاحقاد ، وتأليب الدول الصغرى فيما بينها . والتهام اقتصادياتها ، وافساد جهازها الدفاعي

---

(١) راجع مجموعة اعداد نشرة الاخبار القيمة التي يصدرها مكتب الصحافة والنشر في المفوضية السعودية في لبنان ، هذا المكتب الذي ازاح بنشاطه الظلمات الكثيفة التي تدس حول قضية البريمي .

وتعطيل مصالحها الحيوية التقدمية . ويملكون قلب اوضاعها ، فيجعلون الباطل حقا ، والحق باطلا ، والظالم مظلوماً ، والمظلوم ظالما ، والشر خيراً ، والخير شراً ، والامانة خيانة ، والخيانة أمانة والبعيد قريباً ، والقريب بعيداً ، فانهم يستطيعون حينئذ أن يأمنوا على أنفسهم من غائلة ما يخشون من أنفسهم ! ! !.

ومهما يكن الامر فان الانسان لن يجد في الأرض من وحش حقود ختال مفترس موارب مفسد منتهز مستبيح يجب ان يتوقى منه غير الانسان .

وانك تجد السياسين المفلتين من مسؤليات ما أنزل الله من اصلاح ، لكفرهم . جميعاً من هذا النوع . أي هم هم قديماً وحديثاً ــ كلما اعتزموا أن يفسدوا في الأرض ويتسلطوا على الامم الضعيفة ويسلبوها حرياتها ويتحكموا في توجيه مصالحها الخاصة ، وفق مصالحهم الخاصة ــ دسوا في اوساطها الايجابية اعوانهم الخونة المأجورين واتهموها بالتأخر والافساد في الأرض ، والعبث بالدين ، وتبديله ليبرروا تسلطهم عليها .

وقد حمل الله في كتابه الكريم ، على هذه السياسة الغاشمة المتآمرة ليتجنبها قادة المسلمين ولا يتورطوا في الوقوع في آثامها وكوارثها المدمرة : «وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه أني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد» .

ولما كان دأب الظلمة المفسدين اذا تم لهم السلطان على الشعوب الضعيفة أخذوا يمعنون في تمزيق كلمتها ، وجعلها شيعاً متحاجزة ، واحزاباً متباغضة ، ذكر الله لنا ذلك لنكون على حذر : «إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم أنه كان من المفسدين» .

والواقع العملي أن الانصاف لا يأخذ مكانه اللائق به من أنفس سياسة الدول الكبرى ، الا اذا اتفقوا على تطبيق هذه المبادىء الحكيمة الثلاث ، ولو على مضض في أول الأمر .

وذلك في إمكانهم اذا اعتزموا ، وما عليهم الا أن يحوروا مناهج التثقيف إليها ، لتنسجم أعمالهم في سبيل قويم مع الانصاف ليأخذ من نفوسهم استقراره العضوي ، على تداول الأجيال . والواقع أننا لن نستطيع أن نصدق أن الانصاف إنطلق من اغلاله الثقال الا اذا شاهدنا الدول الكبرى تطبق هذه المبادىء الثلاث على كل اعمالها بعزيمة صادقة وحينئذ نصدق ايضاً ما قالوا : «لا مستحيل في القاموس» .

يا ليت شعري هل يفكرون في الانصاف ؟ وهل يعملون له شيئاً . أم يسبق السيف العدل وينتهي كل شيء قبل أن يعملوا أو يفكروا في شيء .

سقيفة بني ساعدة

لا ريب ان الاثار الخالدة ، ذات المعاني السامية ، الباعثة على الأعمال الجليلة الكبرى ، يحرص عليها كل الحرص . من أجل ذلك أمرنا الله عز وجل . بأن نتخذ من مقام ابراهيم مصلى ، لأن مقام ابراهيم فيه ما يذكرنا بالعبودية الخالصة لله عز وجل ، والاعتصام به وحده ، ومحاربة الوثنية والاشراك ، وهذه دلائل الايمان الصحيح بالله عز وجل : : «ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم»[1] .

ولا ريب ان لسقيفة بني ساعدة ، ذكريات مجيدة خالدة في تاريخ الإسلام . اذ فيها توحدت كلمة المسلمين ، بعد أن كادت تزل بهم قدم الخلف في مهاوي الشتات المبيد ، ولولا أن توحدت كلمتهم في هذا الاجتماع ، الذي عقد على أثر ، انتقال رسول الله ﷺ ، الى الرفيق الاعلى ، لذهب ريحهم ، ولغدت تلكم الامجاد التاريخية الكبرى ، التي تمت على أيديهم ، قصة حلم جميل طائر ، كقصة حلم افلاطون في جمهوريته .

ألا أن سقيفة بني ساعدة خليق بها أن تكون داراً للكتب ، أو جامعة لدراسة العلم والحكمة ، أو رمزاً لوحدة الكلمة ، وما انتجت من ثمرات طيبة ، لأنها المكان الذي شيد الاسلام فيه ، دعائم دولته المثالية الأولى — دولة الخلفاء الراشدين — رضوان الله عليهم . بعد أن كادت تزلزله ، وتطوح به ، اطماع الطامعين في الخلافة وقلة تبصرهم في مآتي الاحداث ، وتقلبات الايام ، ومداخل الاعداء .

وكم من يد لعمر بن الخطاب ، حين أنقذ الموقف ، ورشح الصديق للخلافة ، إنه نظر بنور الله نظرة المفكر اليقظ المدرك ، أن المسلمين ، لن ينالوا ما وعدهم الله ورسوله من التمكين في الأرض ، بالعز والسلطان والهدى والنور ، الا بجمع عزائمهم لامتثال أمر الله «**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**» وقد أدرك المؤتمرون بعبقرية عمر رضي الله عنه أنهم اذا تنحوا عن أمر الله تنحو عن حقهم في الحياة ، الذي يقتحمهم من شتات وإبادة وذلة وثنية وإشراك .

إذن فاجتماع السقيفة هو أول مؤتمر اجتماعي يعقده ابناء الجزيرة العربية ، يصرع فيه الحق الباطل ، والاجتماع الفرقة ، والخير الشر ، والايمان الكفر .

---

(١) قد أفضت في بحث مقام ابراهيم عليه السلام في مؤلفي ذكريات طيبة ص ٤٩ راجعه .

وما أنفض المؤتمرون الا وأبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، خليفة رسول الله ﷺ يقف بهم مواقفه ، ويجاهد بهم جهاده .

ألا إن الايمان بكل إخلاصه ، والعبقرية بكل مواهبها ، والبطولة بكل عزائمها ، والاقتداء برسول الله ﷺ ، بكل آماناته وتضحياته ، تجلت بأكبر معانيها في خلافته ..

هذا الأثر الكبير في تاريخ فجر الإسلام ، هو أثر اجتماع السقيفة أنه مكان يذكر بالتوحيد الخالص ، والايمان الصادق ، والنظر البعيد والمستقبل المجيد . وجدير به أن يأخذ من كل مؤلف ، يتعرض لنشوء الدولة الإسلامية الأولى ، ومن كل جماعة تقيد نفسها بهدى السلف الصالح ، ما يأخذه حجر الزاوية .

والآن يمكنني أن أقول : «إن لهذا المكان المتواضع في جزيرة العرب ، ذكريات عزيزة كريمة في العالم الإسلامي .

ولعل الله يلهم حكومة حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم ، بمناسبة أمره السامي بتأسيس دار للكتب كبرى في المدينة المنورة أن تجعل عمارتها في سقيفة بني ساعدة .

نسر الجزيرة العظيم

كلمة وفاء في الذكرى التي أقيمت في الكلية الشرعية
في الأسبوع الاول من وفاته رحمه الله

في مثل هذه الليلة طوى نسر الجزيرة العظيم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، أجنحته الخفاقة التي كانت ملء السماء ، وأسلم اعنة الأجواء لولي عهده ، وآوى الى السهل الفسيح ليستريح من أعباء الجهاد ، وتكاليف الملك .

وانقضت تلكم الليلة الليلاء ، وهي تتلوى على وجوم الرمال ، وارتجاج النواحي ، واصطخاب السوافي .

وأقبل الفجر مثقلاً بأنفاسه المخنوقة بالحسرات ، مربداً بالغمائم الحالكة ، وطلعت الشمس وانقشع كل شيء ، فاذا أضواء النهضة الحديثة التي رسم النسر خطوطها التقدمية الكبرى بجهاده ونضاله ومغامراته طول حياته ، في ضمان نسر عظيم يحتضنها ، ويضفي عليها من عزائمه الشابة ، وإرادته الصارمة واخلاصه الكريم ، حياة على حياة ، وسمواً على سمو ، وتألقا على تألق .

واستيقظ ابناء الجزيرة من غمرة الأسى ، وأعينهم لا تزال شاخصة الى السماء ، فاذا النسر هو النسر ، في بطولته واقدامه ، في نزاهته وإيمانه ، في عدته وعديده في وثباته المنقطعة النظير الى الامجاد ، في وعيه ودرسه لكل صغيرة وكبيرة ، في حسن صلاته بالافراد والجماعات في الداخل والخارج .

وانصرف أبناء الجزيرة إلى مزاولة اعمالهم بقوة وجلد وهم مطمئنون أن نهضتهم الثانية آخذة طريقها المستقيم ، الى الكمال الممكن ، الذي أخذته نهضتهم الذهبية الاولى ، وأن هؤلاء الامراء الابطال انجال الراحل الكريم ، وعلى رأسهم جلالة الملك سعود ، واحفاده الاشاوس ، وآله وعشيرته ، ومن وقفوا مواقفهم ، وناضلوا نضالهم ، واعدوا أنفسهم للتضحيات والفداء إعدادهم ، هم رواد النهضة الثانية وقادتها الامناء ، وذادتها المدججون بالسلاح ، المرهفون اسماعهم لدق الطبول ، ونفخ الابواق ، تأهباً لخوض المعارك ومنازلة الاعداء والخصوم ، وهم ابداً منائر هداية ، وشموس حكمة ومعرفة ، ومطالع اخلاق وفضيلة وايمان .

ايها الراحل الكريم ، لقد عز عليك ان تكون الجزيرة ذليلة ، ومنها انبثقت العزة ، وضعيفة وفيها عرفت القوة ، وممزقة وجاهلة ، وهي التي جمعت الامم وثقفتها ، فما قضيت الا وهي عزيزة قوية مجتمعة مثقفة .

لقد عرف ابناء الجزيرة من اقصاها الى اقصاها ، قدر ما اثّلت لهم ، من ملك كبير جامع ، فاقبلوا ليودعوك الوداع الاخير ، وهم يحملون مشاعل النهضة الثانية التي اوقدتها في ربوعهم ، هاتفين بحياة نجلك الاكبر ، جلالة الملك سعود ، الذي تولى امداد المشاعل بالوقود والنور . وكم ملأ قلوبهم اعجابا واكباراً إذ أخذ يقتحم بهم سوافي اعاصير السياسية ومكايد شباكها الخفية ، وارصاد قواها الجهنمية ، وهو في يقظة الوعي ، وصدق الفراسة ، وحماسة النشاط ، وبعد النظر .

وخف وخفوا خلفه يلتهمون الشعاب التي يقتحمها الى القمم ، إنه ابداً في الطليعة ، يكافح ما يكافح ، وابتسام الوثوق بالله لا يفارق ثغره ، وطمأنينة الايمان باعادة ماضي الجزيرة المجيد لا يزايله .

لك المجد أيها الراحل الكريم لقد اعددت لنهضة الجزيرة ، المغامرات الشاقة ، والجهاد المتواصل ، وبذل الجهود الكبيرة والسباق الى اقتناص الفرص ، والتبصر بموارد الامور ومصادرها وقد قلدت ما أعددت لنجلك الأكبر ، وافراد اسرتك ، وجيشك الباسل ، وشعبك العريق .

ايها الراحل الكريم

الا في سبيل الله ، ما اعددت في جزيرة شرفها الله بأن جعلها وطنا لخاتم رسله محمد ﷺ ، وفي ذمة الله ما احتسبت من خير وهدى .

فأي مواطن لا يعتز ولا يفتخر بهذه المكانة السامية المرموقة ، التي تبوأتها جزيرة العرب ، للمرة الثانية في التاريخ واي مواطن يخفق قلبه بحب بلاده ، لا يكبر نهضتها الاسلامية الثانية ، التي وطدت اركانها ، ورفعت منائرها ، ونصبت صواها . وجعلتها نهضة إسلامية خالصة .

وأي مواطن بعد ، لا يتوجع ولا يحس بلوعة الاسى ، وقد نعاك البرق اليه .

لله عزائمك — أيها الراحل الكريم — ما اجلها .. هؤلاء القادة والزعماء الذين كانوا ، يعودونك في ايامك الاخيرة ، وهم في سورة القلق عليك ، قلما ودعوك بغير طمأنينة تفرح قلوبهم ، ورضا يسعد نفوسهم . لأن فرحك ببشائر النهضة الثانية في الجزيرة ، وسمو اعلامها الخفاقة ، كان يزحزح من أنفسهم قلقهم عليك ، واشباحه المقعية حواليك ، استجابة لسلطان شخصيتك المحبوبة المطاعة .

اجل ما انصرفوا من بين يديك في كل مرة ، الا وطمأنينة قلبك تغمر قلوبهم ، وسعادة نفسك تملأ نفوسهم .

ايها الراحل الكريم ، ما كنت نسر الجزيرة العظيم إلا لأنك ادرعت الصبر بالإيمان ، واقتحمت الاخطار بالاخلاص ، وطلبت الانتصار بالاعداد .

ها نحن اولاء لا نزال نسمع صوتك الرنان يدوي ملء جزيرة العرب قائلا .

ألا إن الحياة العزيزة السامية ، لا تنال إلا بالكفاح والنضال ولا تنال إلا بالمثابرة على الأعمال العظيمة ، والنزوع الى المثل العليا ، والاخلاق الكريمة ، ولا تنال إلا بالاستقامة والتقوى والايثار ، ولا تنال إلا بتجاوز الحسن الى الاحسن .

ايها الفقيد الغالي . كم كنت شاكراً لله حين بذلت من ذات يدك في سبيله ماضن به الكرماء . ففتح الله عليك كنوز بلادك لتكون عوناً لك فيما أخذت به نفسك من فعل الخيرات ، واقامة الامجاد .

ايها الراحل الكريم

إنك أنعمت نظرك في تاريخ هذه الجزيرة الخالدة . فراعك ما كان لابنائها من مكانة تتطامن دونها الشموس وما انحطوا اليه في هاوية تتسامى عليها الرموس . فأهبت بهم بصوت الرعد القاصف ، وقوة الزلزال العاصف ، فهبوا من مراقدهم ، وقد هاجهم ما اعددت لهم ، هاجهم صهيل الخيل ، ودق الطبول ، وخفق الاعلام ولمعان العدد ، والمغامرات والتضحيات ، ليأخذوا من النهضة الحديثة مكانهم اللائق بهم : « الصدر الصدر » . فهؤلاء هم يأتون ببدائع العبقريات ، وغرائب الاعمال ، وما كان بدعاً ان يكونوا كذلك ، وانت عنوان نهضتهم ، وهل يقرأ الكتاب الا من عنوانه . هذا ما قدمته لأمتك من امجاد ، فنم قرير العين ، سعيداً ، بما قدمت ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

كلمة وفاء عن
حياة أستاذنا الشّيخ حسن الشاعر

لا قيمةَ لحياةِ أيِّ انْسانٍ إلاَّ بمقدارِ ما يُقدِّمُ للناسِ مِنْ سمو وَهُدىً وخَيْرٍ . وَلا أَرىَ إنساناً أمدَّ اللهُ به النفَعَ للنَّاسِ فيا قدَّم لَهمْ مِنْ معارفِ كتابِ اللهِ خاليةً مِنْ نَزعَاتِ التأويلِ وكُدُراتِ العُجْمةِ والتواءات الحروف ما قدَّمهَا استاذُنا الشيخُ حسن الشَّاعر .

أجلْ قدَّمهَا في صِحافٍ مِنَ الذَّهب وأكْوَابٍ مِنَ الْفضةِ صَافيةً كما أنزلَها اللهُ على خاتِم رُسُلهِ ﷺ وجامعةً لكلِّ ما تشْتهِيهِ الأنفسُ مِن النِّعمِ السَّابغةِ مِنْ إحْسانِ الاجادةِ وشُمُولِ الْمَعرفةِ ، وأَمانةِ العلمِ وصلةِ الرَّحمِ وفصاحةِ الكلمةِ وسُمُوِّ الفكرةِ .

أجل إنَّه قدّم الكثيرَ مِن عُلوم القرآنِ لِكثيرٍ مِنَ الْعلماءِ الذين تَخرجوا على يَدِهِ . إنه صَدَقَ في عَهْدِه مع رَبّه ، فَعَاشَ له وماتَ له ...

إنْه بَطلٌ مِنْ أبطالِ الاسلام وَداعِيةُ بِرٌّ مُخْلصٍ فَذٌّ ، وما زُرته مرةً إلاَّ وكانَ لَديهِ مَنْ يُدرسُهُ أو يُلَقِنه صِحةَ النطق . بآيَاتِ الله .

كان يَدْعُو لي بالعِلم وخدمةِ الاسلام . وكان يَودني لاَ لأَنيِّ هاشم : سليل آلِ الدفتر دار المَدَنّيينّ بل لأنه عرَفَنِي مُحِبًّا للقرآنِ الْمجيد وأهلِه حُبًّا تغلغَلَ في شغافِ قَلْبِي ، وجعلني أعكفُ على مطالعةِ المؤلفاتِ التِي تَتصلُ بكتاب الله وتكشفُ غرائبَ معجزاتِه وعجائبَ تحدياتِه ومدهشاتِ بَيانِه وجعلني أمارسُ تدريسَ تَفسيرِه ولغتهِ أكثر من نصف قَرْنٍ وكان استاذي الشيخ حسن الشاعر ذَا بصيرة نافذةُ مباركة .

وقد زرته أنا وصديقي الوجيه الشيخ عبد الوهاب الفقيه وكان آويا الى فراشه .. فقلت للقائمين على خدمته في المنزل دَعوهُ مرتاحاً في فراشه فنحن نَدخلُ عليه .. فلما أخبروه أبى ذلك وأقبل علينا يتوكأُ على رجلٍ ويجرُّ قدميه جراً .

قلت يا سيدي هذه مشقة عليك لا أريدها . فقال إني أحِبُّ ذلك وأنت عزيز لدي . قلت جئتُ لزيارتك وأنا مضطر لأني أريد أن اسافرَ الى المغرب الأقصى فكان لاَ بُدَّ مِنْ طلبِ دعائك لي .

فدعا لي ما الهمه الله وكان هذا آخر اجتماع لي معه لأنه توفي وانا في المغرب في الدار البيضاء وكان المصاب شديداً . لأنّ خلوَ الأرض من المخلصين الافذاذ أهل البر والتقوى مرعب للغاية لأنه إنذارٌ بازْديادِ مآسِي القلوبِ وقساوتها وغفلتِها عن ربِّهَا جَلّ وعزَّ .

وبادرتُ في كتابةِ رسالةٍ الى الصديق الحبيبِ سفيرِ المملكةِ العربية السعودية في لبنان مَعالي الشيخ على الشاعرِ مَع صِهْرنَا السيد عبدالله العَمَّاري وكانَ في الدارِ البيضا ومتوجهاً الى بيروت .

واستاذُنا الشيخُ حسن الشاعر عَمِيقُ الحب لله ورسُوله وكتابه الكريمِ الْحُب الذي تلمسُ آثارَهُ وبوادرَه واضواءَه سواءً أكان بينَ تلامذتهِ وأصدقائِه أو كانَ عاكفاً الى نفسِه تالياً للقرآنِ أو ذاكراً مفكراً . أو دارساً لبعضِ المؤلفات القيمة .

وكانتْ له صلةٌ وثُقَىْ بربِّه يَعْرفها عنه أهلوهُ ومَنْ كانُوا على مَودّةٍ معه ويتحدثونَ عنها بالعجائب المباركةِ . وكان شقيقي الشيخ محمد سعيد دفتر دار هوأحد تلامذتهِ يحفظُ الكثير منها وكان إذَا اجتمعَ الينا يُحدثُنا عنها وكنتُ أنا أعرف ذلك واذَا سَمِتُ من يتحدثُ بها إلى الناسِ قلتُ هذَا حَقٌّ فإنَّ أُستاذَنا الشيخ حسن الشاعر أنافَ على القَرْنِ مِنَ الزمان وهو على استقامةٍ مِنَ الأمر عَجيبة .

وهذا النمطُ من الاستقامةِ هوكرامةٌ وزيادةٌ والعجائبُ كمَا تَكونُ معجزاتٍ متحديةٍ لِرُسلِ الله الكرام تَكُونَ كرامات مباركةٍ لأَوْليائِه فاللهُ وحدَه هو الْفَعَّالُ لِنعَم كلا الفريقين ..

والعلماءُ المفَكرونَ يُؤْمنونَ بِتصرفِ قُدرةِ اللهِ في المَمكناتِ ولا يَنسُبُ إليهَا العجزَ إلاَّ قليلُ العلمِ وَاهنُ الفِكرِ مُريب .

أيّ إنْسانٌ ليسَ لَه وِلاَية عَن كُلِّ ما جَاءَ في هذا الأمْر في كتابِ الله وسنةِ رسولِ الله ﷺ أمَا قَصَّ الله علينا أحْسنَ القصصِ في صُنُعِ أجَلِّ الكراماتِ لمَنْ صَدقُوا الله في إيمانِهم وأَخلصُوا لَه وحْده العِبَادةَ وَجَاهدوا في سبيلِ دَعوةِ الإيمانِ بكلِّ طَاقاتِهم عُدْ إلى سُورةِ الكَهفِ من آيةِ ٦٠ الى آية ٨٢» .

«وإذْ قَال مُوسى لفتاهُ لاَ أبرحُ حتَّى أَبْلغُ مجمعَ البحرَيْن أو أَمْضيَ حُقُبًا (٦٠) فلما بَلَغَا مجمعَ بينَهما نَسِيَا حوتَهما فاتَّخَذَ سَبِيلَه في الْبَحْرِ سَرَبَا (٦١) فَلمَّا جَاوزَا قالَ لِفتاهُ آتِنَا غداءَنا لقد لقينا مِنْ سفرِنَا هذَا نَصَبًا (٦٢) قال : أرايت اذِ أوينا الى الصَّخْرةِ فإني نَسيتُ الحوتَ وما انسَانيه إلاَّ الشيطان أن أذكرهَ واتَّخذ سبيلَه في البحرِ عَجباً (٦٣) قال ذلك ماكنا نَبْغِ فارْتَدَّا

على أثارهما قصصاً (٦٤) فوجدا عبداً من عبادنا أتيناه رحمةً من عندنا وعلمناه من لدنّا علماً (٦٥) قال له موسى هل اتبعكَ على أن تعلّمن ممّا علّمت رشداً (٦٦) قال إنّك لن تستطيعَ معي صبراً (٦٧) وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً (٦٨) قال ستجدني إنْ شاءَ الله صابراً ولا أعصى لك أمراً (٦٩) قال فإن اتبعتني فلا تسئلني عن شيْء حتى أُحدثَ لك منه ذكراً (٧٠) فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرقَ أهلها لقد جئتَ شيئاً إمراً (٧١) قال ألم أقلْ إنّك لن تستطيعَ معيَ صبراً (٧٢) قال لا تواخذني بما نسيتُ ولا ترهقني مِنْ أمري عسراً (٧٣) فانطلقا حتى اذا لقيا غلاماً فقتلَه قال أقتلتَ نفساً زكيةً بغير نفس لقد جئتَ شيئاً نكراً (٧٤) قال ألم أقلْ لكَ إنّكَ لن تستطيعَ معي صبراً (٧٥) قال إن سألتك عز شيءٍ بعدها فلا تصاحبني قد بلغتَ مِنْ لدُنّي عذراً (٧٦) فانطلقا حتّى إذا أتيا أهلَ قرية استطعما أهلها فأبوا أنْ يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريدُ أن ينقضّ فأقامه قال لَوْ شئتَ لاتخذت عليه أجراً (٧٧) قال هذا فراقُ بيْني وبينك سأُنبئك بتأويلِ ما لم تستطعْ عليْه صبْراً (٧٨) أمّا السفينةُ فكانَتْ لِمَساكينَ يَعْملونَ في الْبحرِ فأردتُ أن أعيبها وكانَ وراءهم ملك يأخذ كلَّ سفينةٍ غصْبا (٧٩) وأما الغلامُ فكان أبواهُ مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغياناً وكفراً (٨٠) فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاةً وأقربَ رُحماً (٨١) وأما الجدار فكانَ لغلامين يتيمينِ في المدينة وكانَ تحته كنزٌ لها وكان أبوهما صالحا فأراد ربّكَ أن يبلغا أشدّهما ويستخرجا كنزهما رحمةً مِنْ رَبكّ وما فعلتُه عن أمري ذلك تأويلُ ما لم تَسْطعْ عليه صبراً (٨٢) .

فإنك تلمسُ إكرامَ اللهِ للذين أخلصُوا له الولاية بصدقِ إيمانهم به وإيثارِ رضْوانه على كلِّ شيءٍ تلمسها بالخمْس في قصةِ وَليٍّ من أوليائِه مع سيدنا موسى عليه السلام فسيدُنا مُوسَى وإنَ كانَ رسولاً مِنْ أولي العزم الخمسة الا أنَّ الله اراد أن يفهمنا أن عطاءه كبيرٌ ، ورحمتُهُ وَاسعة .

وما لهَا مِنْ حدودٍ في عُرُف البشر لأن نعمِ الله وعطاياه ليس في طاقةِ البشرِ تحديدُها هي وَاسعةٌ وارعةٌ «والله واسع عليم» ..

وكذلك أنظر الى أم موسى : والمرأة لا تكونُ نبيةً أبداً لما تقْضيه النبوة مِنَ الاختلاطِ بالناسِ والوحيُ المنصوص عليه في قوله تعالى «وأوحينا إلى أم موسى ... هذا الهامٌ صادقٌ يَحّظَى به كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ لها مثلُ الحالِ التي كانَ لأم موسى تِجاهَ ربِّها وهذا الالهامُ يَقْذفُهُ اللهُ في قلْبِ المؤمنِ المُتبتّلِ الاواه .

ومنْ أجلِ ذلك أجرى الله لها الكرامةَ نَاهيك وهي أمٌّ لرسولٍ كَريمٍ مِنْ أولِي العَزْم . وهذا الوحي الإلهاميٌّ لأم مُوسىَ مُفَصَّلٌ في القرآنِ تَجدُهُ في سورةِ القَصص ٢٨ من آية ٧ الى آية ١٣ وفي سوى سورة القصص .

« وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفتِ عليه فألقيه في الْيَـمِّ ولا تخافي ولا تحزني إنَّا رَادُّوه إليكِ وجاعلوهُ من المرسلين (٧) فَالْتقطَه آلُ فرعونَ ليكونَ لهمْ عَدُوًّا وحَزَناً إن فرعونَ وهامانَ وجنودَهما كانوا خَاطئينَ (٨) وقالت امرأةُ فَرعَون قُرّة عَين لي ولكَ لاَ تَقْتلوهُ عسَى أن ينفعنا أو نتخذَهُ وَلدًا وهُم لا يشعُرون (٩) وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إنْ كادتْ لَتُبْدِي به لَوْلاَ أَنْ ربطنا علَى قَلْبهَا لتكون مِنْ المؤمنينَ (١٠) وقالتْ لأُخْتهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وهمْ لا يشعرونَ (١١) وَحرَّمنا عليه المراضعَ من قبلُ فقالتْ هلْ أدلكمْ على أهلِ بيتٍ يَكْفلُونَه لكمْ وهمْ له نَاصِحون (١٢) فَرَدَدْناهُ إلى أمهِ كي تَقَرَّ عينُها ولا تَحْزنَ ولِتَعْلمَ أَنَّ وعْد اللهِ حَقٌّ ولكنَّ اكثَرهم لا يَعْلمونَ (١٣) .

ولو لم أكنْ في حديثٍ مُوجزٍ لحقيقةِ الكراماتِ التي نسمعُها من ألسنةِ المتصلين فأُسْتاذنَا الشيخ حسن الشاعر لأفضت في ذكر ما جاءَ في القرآنِ المجيدِ والسُّنَةِ النبويةِ الصحيحة .

ولا أحدَ يرتابُ مِمَّنْ عرفَ الشيخ حسن الشاعر عن كَثبٍ أو اختلط به مُستفيداً منْ علومهِ أنَّـهُ كانتْ له رعايةٌ خاصةٌ مِنَ اللهِ عز وجل وأنَّ الله أجرَى على يده مِنْ فضلِه على عبادهِ الكثيرَ مِنَ الْهدايةِ والتقى والعلم .

وكان استاذُنا الشيخ حسن الشاعر الى جانبِ ذلك كله ذَا فكاهةٍ مبرورةٍ حبيبةٍ جدًّا جداً ولا يزالُ أحبائُـهُ الذين كَتب اللهُ لهُم الصلةَ بهِ يحفظونَ منها ما يحفظونَ وكان هو نفسه يتحدثُ إلى ضيوفه بشيءٍ منْهَا ترفيهاً لهمْ وسلواناً أذكرُ أنه قال وكنَّا في زيارته أنا وولدي الشيخ أيمن دفتر دار والصديق الشيخ سعدي ياسين وبَعْض الأصدقاء فأخذ يتلطفُ بنا وذكر قصةً فكاهيةً قال إني كنتُ أُلقِّنُ أحدَ طُلابِي من الاعاجم كيفيةَ مخارج الحروفِ العربية المنزلة في القرآن المجيد .

وكنتُ أُلْقىٰ جُهْداً في تَدْريبه على صحةِ نطقِ قوله تعالى « أءلدُ وأنا عجوزٌ وهَذَا بَعْلِي شَيْخاً .. » ١١ — ٧٢ ولكنَّ لسانَه كان صَلْباً لم يُطاوِعُه على صحةِ النطق بالعين بل ظَلَّ يقولُ هذا بَغْلِي شيخاً وكان شيخنا يَشدُّ على حرفِ العين بَعْلِي بعْلي بعلي وكان هو يُرَدِّدُ بغلي بغلي بغلي . وهكذا ظل يقرأها محرفةً « وهذا بغلي شيخا » وذهبَ جهدُ شيخنا سدىً .

واذكر أنه كان مرةً يشيع جنازةَ أحد أهل العلم في المدينة المنورة والمعروفُ عَنْ أهلِ المدينة المنورة أنهم يُكرمون العلماءَ كثيراً فكانَ الإزْدحامُ شديداً وكان يَمْشِي بجوارِه تلميذٌ بَسيطُ التفتَ الى الشيخ حَسَن باهتمامٍ وقال شَيخي إذا أنتَ مِتَ تكونُ جنازتُك أكبر وأعظم من هذه قالها بكلٍّ بساطة فضحكَ الشيخ حسن وشدَّ على يدِه اشّفاقا ...

وكم كنتُ أتمنّى أن أكتبَ مؤلفاً كاملاً أأرخُ فيه حَيَاتَه التّي كانتْ حافله بالأمجادِ الخالدة والمنافع الكثيرة مع الزهد والعفاف والرضا رحمه الله رحمه الله .

هاشم دفتر دار

الكليّة السّعوديَة في لبُنان

كم يتوجع السعودي الصميم ، الذي يقطن لبنان ، حين يشاهد لكل جالية جامعة أو كلية تقوم بالتوجيه الى لغتها وثقافتها ، ودعم سياسة دولتها ، والدعوة الى عقائدها والسهر على تربية شخصيتها القومية في ابنائها ، خشية ذوبانهم وتلاشيهم في سواهم ، ولا يجد مثل ذلك لجاليته .

وقد فكر في هذا الأمر الخطير الملحق الصحافي في المفوضية السعودية المواطن الاديب الشيخ عبد الله الملحوق ، تفكيراً عملياً منتجاً ، فشمر عن ساعديه ، وقدم ما لديه من ثروة ، وأخذ يشيد بها ، الكلية السعودية ، على هضاب «سن الفيل» أجمل موقع في ضواحي بيروت . وكله عزيمة صادقة أن ينتحي عين المنهاج الذي وضعته وزارة المعارف السعودية ، ليبقي لنشىء الجالية والمرسلين للتعليم العالي خصائص بلادهم ، خوفاً على وحدة المملكة من التصدع والتفكك والتباين .

وقد ابتدأ العمار سنة ١٣٧١ هـ ولكن قبل أن ينتهي ، صدر المرسوم الملكي السامي الموفق عام ١٣٧٤ هـ فتوقف الشيخ عبد الله الملحوق عن اتمام تشييد الكلية السعودية ، لأنه رأى أن المرسوم تدارك ما كان يحذره على نشىء البلاد ، إذ فرض عليهم أن يتابعوا دراستهم في وطنهم ، على أعين وزارة المعارف الساهرة في وطنهم ، على أعين وزارة المعارف الساهرة اليقظى ، وتحت رقابتها الدقيقة الواعية .

وكم كان لهذا المرسوم الملكي الكريم من غايات سامية بعيدة ، عميقة التأثير ، كبيرة النفع لمستقبل البلاد .

يكفي أنه أقام الحواجز المنيعة ، بين المملكة وتسرب خبائث الحضارة الحديثة : من كفر صراح بالروح ، وعبادة متبتلة للمادة ، واستهتار مفضوح بقيم الاخلاق ، وانحطاط هدام في المبادىء ، ودس منكر على تاريخ العرب والإسلام واغراء ممقوت بارتكاب الفواحش باسم الحرية والعلم .

وهنا أجد افراد الجالية السعودية في موقف رجاء ملح من وزارة المعارف ، أن لا تحرم ذريتهم من هداية تثقيفها الوطني ، وخصائص توجيهاته ، لينشؤوا أمناء على تراث بلادهم العام ، وعلى استعداد للتضحية بأنفسهم في سبيل حفظه قبل ان ينشؤوا أمناء على ميراث آبائهم

الخاص — وفي كل خير — وإن كانت خيانة ميراث الاباء ، لا تهلك الا الخائنين بالذات ، وخيانة ميراث البلاد تهلك الأمة جمعاء . هذه خيانة أبي رغال في الجاهلية ، أفسحت المجال للغزاة الى أن يصلوا الى بيت الله الحرام ، قاصدين هدمه . وهذه خيانة الوزير ابن العلقمي في الاسلام ، قضت على الدولة العباسية ، وأهلكت الحرث والنسل ، ودمرت العواصم الكبرى في الشام والعراق . والتاريخ طافح بذكر الخونة الذين كانوا سبباً في هلاك الدول ، وإبادة الشعوب . لذلك كان أجل ما تهتم به كل دولة ، هو أي تنشىء أبنائها على حماسة المغامرة والتضحية بالنفس والمال في سبيل أمجاد البلاد ، وهذا شأن قادة الجزيرة العربية بالأمس . وما اهتمام قادتها اليوم بالأشراف على تربية نشئها الحديث ، وأخذهم بآداب المثل الاسلامية العليا ، ومراقبتهم مراقبة صارمة ، فيها كل المسؤلية ، الا اقتفاء لما كان عليه اجدادهم الأول من اليقظة والحزم والوعي والنظر البعيد البعيد . والتوجيه أهم من التثقيف بمراحل . هذه المعاهد الاجنبية في الشرق تثقف ، ولكنها توجه لنفسها ، ونظرة دقيقة مراقبة عن كثب . لما يبث في تضاعف معارفها من ايحاء مركز ، وتوجيه خاص بهم ، تكفي لادراك قيمة التوجيه ، لدى الدول الكبرى .

ولم نجد مفلتاً من اشراف وزارة المعارف بعد صدور المرسوم الملكي الكريم الموجه ، سوى ابناء المغتربين والمرسلين للتعليم العالي ،

أما من كان من هؤلاء في لبنان ، فالاشراف عليهم في منتهى السهولة ، لوجود الكلية السعودية المعدة لهذه الغاية الملكية الموجه ، ولكنها لن تستطيع أن تؤدي رسالتها التوجيهية على أكمل وجه — كمؤسسة ثقافية سعودية صميمة لحما ودماً — شأن كل المؤسسات الاجنبية التوجيهية إلا اذا شملتها الرعاية الملكية السامية .

أجل ستكون هذه المؤسسة السعودية ، بعد فتح أبوابها شمساً وهاجة مشعة بأنوار الرسالة الإسلامية الصافية ، كما هي في مطلعها الاولى . وناديا كريماً لالتقاء المواطنين وتوادهم وتفاهمهم ، وسوى ذلك من المآرب الاجتماعية التي تهدف اليها الدولة في سياستها ، ولو لم يكن للاهتمام بهذه المؤسسة الثقافية ، من نتائج سوى هذه ، لكانت قمينة أن تنال من حكومتنا العزيزة ، كل العناية والرعاية . وحكومتنا اليوم في أمس الحاجة الى إيجاد أمثالها في لبنان ، مجمع الدعايات المتنافرة ، من أي وقت آخر ، لأن ما ينفقه الغربيون في سبيل دعاياتهم يتجاوز الملايين . خذ مثلا فرنسا وحدها فانها تنفق في هذا السبيل في لبنان وحده ، من أجل دعايتها ، ما يزيد على خمسة وأربعين مليوناً فرنكا ، فما بالك بأمريكا وانجلترا ...

أجل ستكون هذه المؤسسة الثقافية السعودية ، مركزاً هاماً للدعاية والنشر في لبنان ، وهمزة وصل اجتماعي خير بين المملكة العربية السعودية والممالك الأخرى . وبالحري إذا اضيف اليها لسان ناهض مناضل ، في مؤلفات دورية ، ومجلة رسمية ، ويسرني قبل أن اختم كلمتي حول هذه المؤسسة السعودية في بيروت ، أن انوه بفضل كاتبنا الكبير العبقري فخر المملكة العربية السعودية الاستاذ حمد الجاسر ، فقد سبقني الى الافاضة في هذا الموضوع القيم الخطير.

افاضة أثارتني الى الكتابة فيه ، فالفضل له . وأن اتقدم بكبير الشكر لسعادة وزيرنا المفوض رجل النبل والفضل الشيخ عبد العزيز الكحيمي ، لما يبديه من نشاط كبير في خدمة الوطن العزيز ، ولما يبديه من عناية كريمة ، واهتمام بمشروع الكلية السعودية في لبنان .

يا بلادي

« ... حياة الأمة لا تعد بالسنين والاعوام ، وانما بالأعمال الاجتماعية الكبرى التي يحققها قادتها الابطال المفكرون .

وفي هذا العهد السعودي الزاهر ، قد استطاع قادة بلادنا المفكرون ، وعلى رأسهم جلالة مليكنا المعظم سعود ، وولي عهده سمو الأمير فيصل ، أن يشرفوا من أعلا قمم التاريخ مرة ثانية ، وأن يمدوا أيديهم الوفية الموفقة ، الى أيدي قادة مصر ، عاقدين معاً الاتفاقية السعودية المصرية ، المشتملة على الضمانات الحربية المسلحة التي تحفظ مستقبل البلاد العربية .

أخذ الله بأيديهم الى كل ما فيه العزة والسلطان والسؤدد والمجد والخير والهدى .

وقد كان من أثر إعلان هذه الاتفاقية ، في أنفسنا — نحن المواطنين — هذه الكلمة المشرقة التي أرفعها بكل تقدير بين يدي جلالة مليكنا المعظم سعود ، وولي العهد صاحب السمو الملكي سمو الأمير فيصل ، وسمو الامير مشعل وزير الدفاع والطيران وسائر رجال الحل والعقد في بلادنا ، لتكون ذكرى ناطقة باسمى أعمال قادة هذا الجيل ، من أجل الابقاء على حياة الأجيال الآتية واسعادهم » .

يا بلادي

« .. اليوم أتم الزمان دورته الثانية ، وآذن فجرك بالانبلاج ، وها أنت ذي استيقظت ظمأى الى استئناف جهادك الجبار ، لتبني الحضارة الحديثة بناء إسلامياً خالصا من جديد .

فأنت نية صادقة في جلال الايمان ، واشعاعة مقدسة في وحي السماء ، وقوة رحيمة في تاريخ البشر ، وشرعة عدل في سجلات الحاكمين ، وانسانية عالية في كون الاخلاق ، وقلادة فذة في جيد الزمان ، وهذا قلبي كله لك ، إنه ليخفق لهفة وحنيناً اليك : —

وكلما جرت ذكريات مجدك الكبير على لساني وكلما التمعت شمائل عبقريتك الواعية ، في دهاء ساستك اللامعين .

كلما أمعن قادتك الابطال في إعداد العدد والعديد ، ليدرأوا عنك مفاجئات الاخطار .

وكلما جلجل صوت مناديك الاول : «حي على الفلاح» طلع الفجر .

وكلما اهلّت اجيالك ، وهم على اهبة الاحرام « لبيك اللهم لبيك » .

ولقد اختلطت بناشئة الصحراء — كما يسمون بنيك — وبناشئة الجامعات في العالم ، فلمست الميزة بين ثمر الطبيعة التي أودع الخالق العظيم ، في تضاعيفه سر نواة الحياة الخيرة الصالحة ، وبين ثمر المعمل .

أجل لمست الميزة بين مواهب الفطرة النابضة روحاً في الشمائل وبين مظاهر المعرفة القائمة جسداً في الاحجار ، وبين مودات القلوب الوفية ، وبين مداورات الالسنة المدخولة .

يا بلادي

يسمونك الجزيرة ، وأم الساميين ، والبلاد المقدسة ، ومهبط الوحي ، ومنبت الشعراء ، وإني لاعتز بكل هذه الاسماء ، حين انتسب بها إليك .

ولن ينقص من قدرك أن بنيك عاشوا في جاهليتهم اميين اوزاعا ، وأنهم اعطوا كل حقوق الأمة للقبيلة من الناحية الاجتماعية . فهذا حال كل أمة في ذلك الدور البدائي . ولكن حسبك امتيازاً — يا بلادي — ان الله زخرك لتكوني موطناً لخاتم النبيين ، وزخر في بنيك كل مواهب الفطرة السامية زخر الماسة في المنجم ، ليكونوا في كل عصر بواعث نور وهداية ، وقوة واجتماع .

يا بلادي .

هؤلاء أقطاب الدول الكبرى ، يكررون نداءهم بفرض المثل الانسانية العليا ، وفرض السلام ، وهم مدركون أن نداءهم يذوب في منطق غرائزهم ، التي لم يهذبها كبت الايمان بهاتيك المثل ولكنهم يأبون أن يظهروا في مؤتمراتهم الدولية إلا بكمالها ليضلل بعضهم بعضا ، عن مغاور مؤامراتهم ، ومخابيء مدمراتهم .

أما زعماؤك — يا بلادي — فالمثل العليا عقائد إسلامية متغلغلة في أعماق قلوبهم ، تكبت طغيان غرائزهم كبتاً ، وتعصف به بعيداً عن الاثم والعار ، والاثرة والظلم ، والتسلط ونقض العهود

سقيا لك — يا بلادي !

ان تربتك الطيبة ، لا تنبت الا القادة النبلاء الذين لا يزوغون عن الهدى والخير ، اذا زاغ الناس . ولا يحجمون عن التضحية والفداء في سبيلك اذا احجم الناس ، ولا ينكثون عهودك التي أوثقوها لشد ازرك ، اذا نكث الناس .

ولا يختلفون في رفع امجادك إذا اختلف الناس . ولا يترددون في نصب رايتك على رأسي كل شرف ، اذا تردد الناس

فقادتك هم هم ، ما أشبه اليوم بالأمس : «ثلة من الاولين وثلة من الآخرين» .

وهل شاهد التاريخ وعياً اجتماعياً عبقريا ، اسمى من وعي قادتك ، قديماً وحديثاً . إنهم قدموه للأمم ايماناً وأعمالا ، من قبل أن يقدموه علوما واسفاراً .

قدموه تفانياً في إصلاح ذات البين ، واخلاصاً في صدق التفاهم وهم مدركون ان في ذلك كل النجاة من الحروب الأهلية المدمرة لهم .

قدموه مغامرة في البطولة ، وتهافتاً على التضحية بالنفس والمال وهم مدركون أن في ذلك كل الابقاء على حياتهم .

قدموه عمقاً في التفرس ، وعبقرية في كشف مداخل العيون والارصاد ، وهم مدركون أن في ذلك كل الوعي للفخاخ التي تنصب لهم في الظلام .

قدموه وعياً لما ينسج وراء توجيهات الدساسين النفعيين من مكايد ، ترتدي أثواب المودة . وهم مدركون أن في ذلك استقامة أمرهم ، واستدامة دولتهم .

قدموه وحدة جامعة ، وجامعة موحدة ، وهم مدركون أن في ذلك . دعم مجد الدولة بين الدول ، والسمو بحضارتها بين الحضارات .

يا بلادي .

ان بنيك الاشداء هم الذين أقاموا في الشرق على مد التاريخ الدول الكبرى ذات الأمجاد الفذة ، والمدنيات الرائعة ...

أجل اقاموها في العراق كلدانية واشورية وبابلية، من قبل أن يقيموها لخمية وعباسية .

وشيدوها في الشام كنعانية وفينيقية وسريانية من قبل أن يشيدوها غسانية وأموية .

وركزوها في مصر مينوية وهكسوسية من قبل أن يركزوها فاطمية وأيوبية .

وفي هذا العصر أقسم بنوك أنهم سيأثلونها إسلامية سعودية ، أجل يؤثلونها ببعد نظر دهاة الساسة ، وبجلادة عزمات الشبان ، وبغريب عبقريات المفكرين من علماء وادباء .

يا بلادي

هذه السماء ماثلة في محرابك ، وهذا قدس وحيها الطهور يملأ صدرك . كأحسن ما يكون التقدم والمجد ، وكأروع ما تكون العظمة والاعتبار .

ولقد أنعمت نظري طويلا في شتى أسفار الاديان الأخرى فلما قارنتها بسفرك السماوي المقدس ـــ القرآن المجيد ـــ ميزت بين قوى الروح الابدية الدافقة بالحياة والنور والهدى والعلم ، وبين سكينة التوابيت التي تحمل قصة حياة انتهت .

أجل ميزت بين أسفار تركت المعجزات خلفها ، ومشت مثقلة خلف الاجيال ، وهي تحمل أغدية طفولة العقل ، وبين سفر يزجي معجزاته العلمية التقدمية أمامه قوية غلابة ، وهي تنادي متحدية صارخة ابد الدهر : « وإن كنتم في ريب مما انزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ، إن كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين » .

يا بلادي

إنهم يتمثلون منشدين :

قــــد يهون العمر الا ساعـــــة ‏ ‏ ‏ ‏ وتهون الارض الا موضعـــــا

وهذا صحيح في نظر الاناني الطائش ، اما في نظر الاجتماعي المفكر فالعمر كله غال ، لأنه ثروة الأمة التي بها تعتز وتقوى وتسمو وتثبت شخصيتها ووجودها .

ومواضع الوطن كلها عزيزة ، لأنها موطن حياة الأمة ، ومستقر أمجادها ، وفيه تتحد وتقوى ، وتشيد معالم حضارتها ، ومعامل علومها وصناعتها وكل مقومات حياتها .

بيان عن حقيقتين أساسيتين

إنَّ هذا القسمَ يشتملُ على بَيانِ حقيقتين أَسَاسيتَيْن :

الأولى : بيان كتاب الوحي الآلهي اليقيني المنزل من لدن ربِّ العالمين ..

الثانية : بيان كتاب العِلم اليقيني القائم عليه تكوين الكائنات ، ولا غِنىً للإنسانية المتطورة حضارياً ومعارفَ وآداباً وفُنوناً وصِناعاتٍ من الاطلاع على هاتين الحقيقتين ، وكشفُ هَاتين الحقيقتين الآساسيتين تُؤَدِّيانِ بالبشر الى خلع غرائز الغاب ولَوْ بالكبتِ إن لَمْ يكنْ بَالإنْطباعِ الإلْهامي التكويني .

والحق أَنَّ انكشاف وحدة المعرفة الماثلة في علم الكون اليقيني وفي علم الوحي اليقيني معا : ومِنْ حدة المعرفة هذه تنتظمُ الامَم كافة وحدةُ المشاعِر الحساسة العالية ووحدةُ المودة الصادقة ، ووحدةُ الثقة الْجَامعة ، ووحدةُ السلم والرحم الواحد والتعارف والتفاهم وتبادل مرافق الحياة بأَمانةٍ ورضاً وطواعية .

من أجلِ ذلكَ أرفعُ هذا الكتابَ الى مُفكِّري الأمم كافة العلماء والأحْرار ليكونَ منارَ علْمٍ وهّاجٍ وهَاتِفاً باسْمِ خاتمِ الوحي الآلهي والعِلمِ اليَقيني وهاتفاً بكل المثل الانسانية العليا ، وبكلِّ العلم اليقيني وبكلِّ الإحْسان ، وبكلِّ المودات ، دون حقد وكراهيةٍ ، وزورٍ وتزويرٍ وافكٍ ودَسٍّ وزيادةٍ ونقصانٍ وغرورٍ وخيانةٍ واثمٍ وقطيعةِ رَحِمٍ ..

وبالأحرَى الذين كتبوا عن الاسلام بلغةِ العُنْصريةِ الشُّعوبية ، أَوْ بمَارِج مِنْ أحْقَادِهَا ، أو بنوازغ مِنْ عقيدة الوثنيةِ الضاريةِ ، والشركِ الظاهر والباطن أو بنهمةٍ فَاجرةٍ مِنَ الكَسْبِ الآثم ، أو بزعم الخوفِ مِنْ وَحْي الله ، وما أنزل اللهُ مِن وَحْيٍ الا رحمةً عامة للعالمين . وان كان فيه من خوفٍ ، فهو لا ينزلُ إلاَّ بالمجرمين الملحدين الضالين الذين يُمَزِّقونَ وَحْدَةَ البشر ، ويُشْعلونَ بينَهم الفتنَ الحمراءَ والحروبَ العمياء ، ويَنْفثُونَ بينَهم صَغَارَ الفُرْقةِ وَالشَّتات .

وَأنّى أُقاومُ مثلَ هذه السخافات والانحطاط ، وأقُومُ جاداً لِدَعْوةِ الايمانَ وأحرصُ عليها كلَّ الحرصِ في كلِّ ما أكتبُ عن الأدب والعلمِ والسِيـر والتأريخْ والتراجم والمحاضرات والرحلات وفي كلِّ ما يتصلُ بالافراد والجماعات ولاَ أَخرُجَ أبداً عن هدى الإسلام ، وواقع العِلمِ اليقيني بالذات من أجل الدعوة الى الإيمان الْيَقيني ..

وأحرص بصفة خاصة ان أكتب ما فيه مصلحة الانسانية العامة ومصلحة العرب والمسلمين خاصة . واكتب كل ما ينهض بلغةِ العرب وعلومهم وفنونهم وشعرهم وتوحيد كلمتهم ، نَاهِيك بما أتم الله على يد عبد العزيز من توحيد العرب في قلب الجزيرة . وقد مجدت كل ذلك وحرصت على التزامه حتى من دراستي للأدب لغةً وشعراً وخطابه وأمثالاً وقصصاً وبطولات وأشباه ذلك .

واني أضرع الى الله تعالى أن يديم علي نعمة الإيمان العِلْمي والعَمَلِي الصادق باللهِ وحدَهُ جلَّ وعز ، دون شريك أو معين أو ظهير ، ودون إغفال لِنعمة متابعة الدعوة الى أمجاد هذا الإيمان ومثله الانسانية العليا ...

أجل هذا شأني في كل ما كتبته عن الاسلام :

— عقيدةً وفقهاً وسيرةً وصلاةً وزكاةً وتفسيراً وتاريخاً واجتماعاً .

واني فَقَدتُ كلماتٍ ممرورةٍ رعناء تنضحُ بلعنةِ العنصرية الشعوبية ، وبالكَسبِ الْمَحَرَّم الآثم ، وبظلمٍ من الحقدِ المجرم الدَّفين، وبدافعٍ من عصبيةِ الوثنية الضارية ، أو بدافعٍ دَسِّ الخوفِ الموهومِ المفتري من عصبةِ الصهيانية . وَإنْ كانَ ما أَنْزل اللهُ وَحْيَهُ الاَّ رَحْمةً بالإنسانية كافة ، وليس فيه ما يُخيفُ غيرَ المجرمين الضَّالين أجل لم اكتُب في حَياتي كلمةً واحدةً تُسِيءُ الى إنسانٍ أو تضرُّ بِمصْلَحَةِ أو تؤذي أحداً .

لأني لاَ أكتبُ الاَّ الخيرَ . امْتِثالاً لأمْر رسولِ الله « صلى اللهُ عليه وسلم » : « مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليوم الآخرِ فليقلْ خيراً أو لِيَصْمت » ..

وأنا والحمدُ لله مؤمنٌ بالله واليوم الآخر ، الايمانَ الصادق ، لذلك محال أن كلمةَ شرٍّ أو أذى ، ويشهدُ الله حتى ماكتبته عن الأدب، وبعضَ سير الرجال ، وعن التاريخ ، وكذلك ما كَتبتُه عن اللغةِ وأصولها وفروعها ومن القصص داخل الوطن وخارجه . بل أقول : وعن كل ما يتصل بفن القلم .

فاني أترسمُ هدى الاسلام ، والواقع العلمي اليقيني . والتوجيه النزيه المجدي ومصلحةَ

الانسانية ، ومصلحةَ العروبة والاسلام خاصة . أي لا أكتبُ الا الخيرَ الذي يجمعُ الصفوفَ ويوحِّدُ الكلمةَ ويمنحُ القوةَ والعزةَ ، ويجلو الحقائقَ .

بالاضافة الى كل ما ينهضُ بلغةِ العرب ، وعلومهِم وفُنُونِهم وشعرِهم ومعاهدِ ثَقافتِهم وأسواقِهم الادبية مِنْ الجاهليةِ والاسلام .

واني أفعلُ كلَّ ذلك — واللهُ وحده الشاهد — لأجل مرضاتِ ربي جل وعز ، وما كان أوسع ما يقضيه على مِنْ نعمةِ الكفافِ ، والكفافُ والغَنَى عن الناس أوسعُ نعمة . وما فضلَ فهو للأَنفاقِ من بناءِ أَمجادِ الخلود ، ومن يبخل يصدقُ عليه قول اللهِ جل وعز « ها أنتم هؤلاءِ تُدعَوْنَ لتنفقُوا في سبيل اللهِ فمنكم من يبخل ومن يبخلْ فإنما يبخلُ عن نفسه واللهُ هو الغني وأنتم الفقراءُ » .

وَإنْ تتولَّوا يَسْتبدِلْ قوماً غيركمْ ثُمَّ لا يكُونوا أَمْثَالَكُمْ (٤٧ — ٣٨)

وما قاله الشاعرُ الحكيمُ فهو مُسْتوحاً مِنْ كلام الله جل وعز ..

إذا كنتَ جامعاً لمالك مُمسكاً — فأنْتَ عليه خازنٌ وأَمينٌ

تؤديه مذموماً الى غير حامدٍ — فيأكل عَفْواً ، وأنتَ دَفِينُ

وحتى ما كتبتُه في غُرُبتي مِنْ مقالاتٍ ومحاضرات وَخُطَبٍ وكلماتٍ القيتُها في الاذاعةِ وسواها ، فإنها لا تَخرجُ قيد شعر عن أصول وحي الله وفروعه أبداً أبداً .

واني أضرع الى الله عز وجل ، أن يديمَ علينا نعمةَ الايمانِ به ، واخلاص الدَّعوةَ له وطرح كلِ عِبَادات الخلوقات المادِّية والطاقيةِ الرُّوحِيَّةِ المتمثلة في الشَرْكِ والوثنية .

وما أكرَم الدعوةَ الى الله التي ينهضُ لها ، ويقومُ بها علماءُ مخلصون أَبْرار . لا يريدونَ الا رضوانَهُ ونيلَ ما عنده وليس في الوجود أشرف ولا أرفع ولا أكرمُ من وظيفةِ الدعوةِ الى الله جل وعز هي وظيفةُ الرسلِ الكرام صلوات اللهِ وسلامه عليهم .

وظيفةُ تلامذتِهم وأتباعهم ومَنْ يليهمْ مِمَّنْ يجيءُ بعدَهم الى يوم القيامة والدعوةُ الى الله لها ناحيتان :

١ — ناحيةٌ خاصةٌ وهيَ التي يَقومُ بها أهلُ العلم المخلصونَ الأَبْرار .

٢ — وَناحية عامة وهي التي يقومُ بها وُجَهاء المُسْلمين وتجارهم وحكامُهم وأهلُ الخير والدين والتقوى لديهم ، والدعوةُ الى اللهِ منصوصٌ عليها من وحي الله جل وعز .

«أدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إنَّ ربَّك هو أعلمُ بِمَن ضلَّ عن سبيلِه وهو أعلمُ بالمهتدين» (١٦ — ١٢٥) .

هذا هو كل رجائي من تأليفه ورجاء الاصدقاء والعلماء الذين رغبوا الى في ذلك وهم كثر والحمد لله ..

واني أختم هذا البيان بهاتين الآيتين المعجزتين المتحديتين : آية . «قَدْ جاءكُم بصائرُ مِنْ ربكم فمن أبصرَ فلنفسه ، ومَنْ عَمِيَ فعليها ، وما أنا عليكمْ بِحَفِيظٍ ١٠٤ وكذلِكَ نُصرِّفُ الايات ، وَلِيقولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبيِّنَهُ لقوْم يعلمون» ٦ — ١٠٥ «قلْ هل يَسْتوي الذينَ يعلمونَ، والذين لا يعلمون إنّما يتذكرُ أولوا الألباب» أي خلاصة أهل العقول، وهي التي تسمو بمعارفها وتحقيقاتها عن الانحطاط العزيزي الغابي والتقاليد الباطلة المتوارثة (٣٩ — ٩) .

والسببُ الذي حَدَاني أَنْ أختمَ هذَا البيان بهاتين الآيتين الكريمتين هو أني التزمتُ بكل تصميم وصدق أنّ أقدم لأمم الحضارة المتطورة والأمم النامية الجادة في السير مع تطورها ، أقدم لها حصانة التطور المنزلة من رب العزة لعزة الانسانية وجمع كلمتها والسمو بها الى المثل العليا المنزلة من الله الخالق العظيم رب العالمين أجل أقدمها بما هو معتبر لديهم من وسائل الاقناع العلمي لأني مدرك أن الجماعات والافراد الذين يُرفع اليهم هذا المؤلف ليسُوا جميعاً من مواليد جزيرة العرب التي هي مهبطُ خاتِم الكتب السماوية «القرآن المجيد» المواليد الذي ينشأون على استظهاره والاطلاع على مُعْجزاته والتعرفِ الى ما يحملُ مِنْ مُثلٍ عليا للانسانية كافة .من سعادةٍ وسلام ومودة صادقةٍ وعِلمٍ نافعٍ وإيمان عِلْميٍّ اكيد .

وأيُّ قيمة للحياة إذا خَلَتْ مِنْ نِعمةِ الإيمان بالله الخالق العظيم ، ومن نِعْمة الْتزامِ الدعوة والجهادِ مِنْ أجلها بكل المواهب والطاقات والتضحيات وهذا شأني والفضل لله سواء كنت مقيماً في بلادي أوكنت مغترباً . لأني أَحِسّ أنَّ بلدان الإسلام والعروبة واحدة . والجهادُ في أيِّ بلدٍ هو جهاد لبلادي . لأني أحملُ اسمها وألقب بها ..

وَمِنْ هنا يَبْدئُ القسم الجديد الذي أضفته إلى هذا المؤلف وكان هذا القسم مخطوطاً لديَّ . لو ظل مخطوطاً لما أفاد منْهُ أحدٌ إلاّ ظلام الخزائن . وإني اسأل اللهَ عزَّ وجلَّ أن يَنْفعَ بهِ كما نفعَ بالقسمِ الأَوَّل تكرماً واحْساناً ..

والله جل جلاله هو المنعم المتفضل وَالْهادي على كل حال ..

النظران العملي والفكري وبرهانهما

النظر العملي والفكري في أعمال الكائنات :

النظر : يقال : نظر في الأمر : أي فكر فيه وتأمله وتدبره ليكشف حقيقته ، ولفظته نظر هي مصدر أي مصدر اشتقاق الفروع منها والنظر من أعمال الكائنات قسمان :

١ ـــ **النظر العملي** : وبرهانه مشاهدة أعمال الكائنات .

٢ ـــ **والنظر الفكري** : وبرهانه التفكر في أعمالِ الكائنات ولكل بحث مستفيض واليك بيانَ ذلك ...

النظر العملي في الكائنات

برهانه الاستدلال بأعمال الكائنات المشاهد بالبصر على وجود المكون لها ومنذ أربعة آلاف عام استخدمه سيدنا ابراهيم الخليل . في الدعوة الى الإيمان اليقيني بالله الخالق العظيم رب العالمين وحده ونبذ الاصنام وكل معبود سواه جل وعز من حيوان ونبات وجماد ومن طاقة وجاذبيه وروح ونور وظلام .

أجل رأى سيدنا ابراهيم — عليه السلام — ان قومه غارقون في عبادة الاصنام الى آذانهم ، ومعتقدون ان الله رب العوالم روح حال فيها ، ومعتقدون ان تلك الروح التي زعموها أنها الله رب العالمين في صدق عابديها من كذبهم ، وتملك النفع للصادقين والضر للكاذبين وتملك الارادة المطلقة ... من أجل ذلك لجأ سيدنا ابراهيم أولا الى البرهان النظري ، لكي ينصرفوا عن الايمان بألوهيتها ، وعبادتها والضراعة لها ولكي يزيل من رؤوسهم أنها تضر وتنفع ، وأن لها القدرة على ذلك ، وأن لها العلم المطلق .

(وأتل عليهم نبأ ابراهيم) (إذ قال لابيه وقومه ما تعبدون) ٧٠ (قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين) ٧١ (قال هل يسمعونكم إذ تدعون) ٧٢ (أو ينفعونكم أو يضرون) ٧٣ (قالوا بل وجدنا اباءنا لذلك يفعلون) ٧٤ (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون) ٧٥ (انتم وآباؤكم الاقدمون) ٧٦ — ٢٦ (فانهم عدو لي الا رب العالمين) ٢٦ — ٢٧ ..

ولكن قومه لم يكترثوا لبرهانة النظرى المبطل الوهية أصنامهم . بل أصروا على الوهيتها ، وعلى عبادتها معا ، لأنهم بسطوة تقاليدها ولفرط خشيتهم منها يحسونها ملء نفوسهم حياة وحركة وقدرة وبطشا .

لذلك لجأ خليل الرحمن عليه السلام الى البرهان العملي لإبطال ألوهيتها والبرهان العملي . هو ما يشاهده الإنسان بعينيه ، وبتبينه بعقله ، ويتمثله بحواسه الخمس .. سطوة نافذة فوق كل سطوة لا تجحده الا من جحد .

١ — حقيقة ذاته ، كانسان ...

٢ — وحقيقة تفكيره كانسان مفكر ...

٣ — وحقيقة حريته كانسان حر ...

٤ — وحقيقة تميزه كانسان يميز بين العلم والجهل ، وبين الدين والاسطورة

٥ — وحقيقة انسانيته كانسان خال من أمراض العنصر به والشخصي والاثرة والحقد والانتقام واقذار الفكر العفن البالي ...

أجل لجأ سيدنا ابراهيم الخليل — عليه السلام — الى البراهين العملية المشاهدة في دعوة قومه الى الايمان بالله الخالق العظيم وحده ... لكي يقتنعوا ويطرحوا الوهية أفراد الكائنات وعبادتها . في كل مواقفهم وحالاتهم ويقلعوا عن الخوف منها الضراعة لها .

واني هنا اقتصر على مواقف ثلاثة لها جلال خلودها ولها أيضاً ذكرها السامي في خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد الأول موقف « برهان التسامي المشاهد » ..

الثاني موقف برهان التحدي الصارخ ...

الثالث موقف البرهان التمثيلي وهاكم برهان كل موقف تفصيلا ...

الاول برهان التسامي العملي المشاهد

ليست عقول البشر سواء في تفكيرها وبحثها عن حقائق الأشياء كما هي في عين الواقع اليقيني . وفي فهمها وقناعتها ، وفي اتجاه أعمالها بعد فهمها وقناعتها ...

وانما هي درجات : سفلى ووسطى وعالية ، وعلى ، فقمة المثل الأعلى ولو كان كل البشر يؤمنون بالبرهان العملي لكانوا كلهم مؤمنين بالقرآن .

أصحاب الدرجة السفلى والوسطى

اصحابها أمعات العقائد الاسطورية المدسوسة ودأبهم اتباع كل ناعق ... وليس لهم من اعتقاد ما سوى ما يلقنونه بالتقليد ، أو يمثل أمامهم بالايحاء ...

وهم لا عقول لهم تهتم بحقيقة ما يدينون به فكل ما لقنونه من أساطير هي الحق العلمي اليقيني والواعون منهم أما ان يكونوا منافقين منهزين ، واما أن يكونوا مؤولين لكثير مما ورثوه من نصوص اعتقاديه ليجعلوها حسب ما يشتهون ان لم يبدلوها بالزيادة والنقصان وتجد أصحاب هاتين الدرجتين عبدة الحشرات والشيطان والجن والأرواح والفيله والأوثان والأصنام والأبقار والثيران والنار والشمس والنجوم وفيهم من لقنوا الالحاد فافتخروا به وازدهوا فكانوا من الخاسرين .

٣ و ٤ « وتجد أصحاب العليا وما فوقها ... »

شعوبهم شتى ، ومللهم شتى

١ — وفيهم الملحدون المنافقين الذين يقودون مسيرة معتقداتهم بحماسة عنصرية مدخولة وعصبية انعزالية حقودة مدبرة . يعدونها لأمور هدامة مبيدة .. لعنة لعنة ...

٢ ــ فيهم الهمل الامعات الذين يسيرون في كل واد خلف السائرين ويرقصون ويصفقون لمن يقودونهم بالرؤي والأحلام ومندهشات الخوارق المصنوعة التالية والطريقة سذج سذج وفيهم الذين لا يكترثون بالعقائد ، ويمقتون ضجها وتجمعاتها ومجادلاتها ... ويهتمون تظاهراً بما يؤمن مصالحهم ومعاشهم دون مغامرة أو ثرثرة . أو صلة ما ... أو اهتمام ما ... وذا بحثت في معتقدات هاتين الدرجتين الثالثة والرابعة التي فيها متشابهة في تعاليمها ، وطقوس عقائدها وفلسفاتها وان اختلفت أزمان وجودها واسماء الهتها هي في زعمهم أرواح ازلية ذوات قوى خارقة قادرة مريدة وهي روح واحدة عند الحلوليين حلولاً عاماً في كل شيء ... وقد تتجاوز الواحدة في عقائد أخرى الى الاثنين والى الثلاثة فما فوق ، وذلك عند الحلوليين حلولا خاصا ... أي الحلول في انسان أو حيوان أو جماد .

حسب الذات المولهة المعبودة لديهم .

٣ ــ درجة قمة المثل الأعلى

لما كانت فئة قمة المثل الأعلى ، لم تخدعهم ولم تصدفهم عجائب تكوين أفراد الكائنات ومدهشات أعمالها ووظائفها . عن ملاحظة مكونها العظيم رب العالمين الواحد الأحد الفرد الصمد جل جلاله حتى يؤلهوها هي بالذات وتعبدوها من دونه أو يشركوها في التألية والعبادة ... وذوات أفراد الكائنات مهما صغرت أوكبرت يظل صارخا في صميم تكوينها حشد ما هي مشتملة عليه من أثار قدرة الله خالقها العظيم وجلال علمه وتخصيص إرادته . لذلك تجد عقائد الوثنين والمشركين والملحدين الدهريين هي ظاهرة البطلان في منطق براهين العلم العملي اليقيني الماثل في صميم تكوين الكائنات وتجد عقيدة المثل الأعلى المنزلة من رب العالمين . هي عقيدة واقع العلم اليقيني العملي . وبرهانها ماثل في كتابي العلم اليقيني القرآن المجيد وكتاب ذوات أفراد الكائنات الصارخة بحقيقة الايمان : وعلمنا الإنساني هو عالم البصيرة والبصر والفكر والنقد والتميز بين الحقائق التي تقدم في أورقة أهل العلم وبالبراهين العلمية العملية والنظرية يعدل العلماء الراسخون الامناء عن الالحاد وافك براهينه ، وعن الوثنية والشرك .. الى حقائق الايمان الصحيح وصدق براهينه ولا ريب أن واقع الايمان الصحيح بالله الخالق العظيم رب العالمين هو الذي أرسل الله من أجله رسله ، وأنزل عليهم كتبه وهو الذي تقوم عليه دعائم الايمان الصحيح في الأرض على مدى الأجيال وكان قديماً كل رسول يقوم بالطريقة التي هداه الله إليها من أجل القيام بالدعوة الى الإيمان به ، واقناع البشر الضالين بحقائق وجوده ومعارفها وكان أهمها خوارق المعجزات الحسية لمن يشاهدونها بعلم وعقل ووعي وأنصاف ونقد وموازنة ، وانطلاق من اغلال التقليد .

ولما كان قوم سيدنا ابراهيم الخليل قد عجزوا عن فهم البراهين النظرية قدم لهم البراهين العملية ، وكان أولها برهان التسامي المشاهد ..

لأن الذين يؤلهون بقرة أو بغلا أو ثوراً أسمى منهم يؤلهون إنساناً أي إنسان .. متخيلين أن روحاً أزلية حالة فيه . والذين يؤلهون الشيطان أو الجن . فأسمى فيهم الذين يؤلهون الملائكة . وهكذا كل الآلهة المتخذة من أفراد الكائنات متفاوتة الدرجات مع ملاحظة أن الجميع مخلوقات لا تستحق العبادة بتاتاً وعبادتها من دون الله كفر صراح . ولكن حين يقدم الداعى رهان التسامي ، فليس مقصوده الاعتراف بألوهية الأكبر دون الأصغر والأحسن دون الحسن لا بل مقصوده أن يكشف للمخاطبين أن كل عبادة لغير الله هي باطلة ؛ وحماقة وصغار في التفكير وجهل وتقليد وقصر نظر وغباوة ما بعدها غباوة ..

والآن تستطيع بعد هذا الشرح الواسع أن تقفه كاعجاز الآيات القرآنية الآتية وتبين صدق برهان التسامي المخرج المقلدين من ظلام التقليد الى نور الاقناع البرهاني العملي .. اسمع وتأمل بكل عقلك وقلبك وضميرك ووعيك ، تلمس كل ما قدمته لك عن إعجاز الآيات الآتية التي أحمل برهان التسامي العملي ٦ — ٧٤ « واذ قال ابراهيم لأبيه آزر اتتخذ أصناماً آلهة ، أني أراك وقومك في ضلال مبين » .

٧٥ : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ...

٧٦ : « فلمّا جن عليه الليل رأى كوكباً ، قال هذا ربي ... فلما أفل قال لا أحب الافلين » .

٧٧ : « فلما رأى القمر بازغا ، قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين » .

٧٨ : « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي .. هذا أكبر .. فلما أفلت قال يا قوم اني بري مما تشركون »

٧٨ : «أني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين ٦ — ٧٨ .

وطبيعة العالم المفكر القادر على التميز بين الادنى والأعلى ، وبين الحسن والأحسن والمثل الأعلى ، أنه يسعى بكل ما يحوز من ملكات العالم ، بكل ما يملك من إمكانيات الارادة ، وبكل ما لديه من قدره على تحطيم أغلال التقاليد ، وبكل سمو نزعة التجدد التي تجيش بها مجموعته النفسية جيشاناً يقفز به من الادنى الى الأعلى ، ومن الحسن الى الأحسن ، ومن الأحسن الى المثل الأعلى ...

ولله وحده عز وجل المثل الأعلى ...

...وهذا ما كان يهدف إليه خليل الرحمن من دعوة أبيه وقومه الى طرح عبادة الاصنام واللجوء اليها حين لفت أبصارهم وبصائرهم الى برهان التسامي العملي الكاشف درجات أفراد الكائنات المعبودة من دون الله ...

ولكنهم شاهدوا البرهان بأبصارهم ولم يشاهدوه ببصائرهم : فاصروا على عبادة ما اتخذوه من أفراد الكائنات آلهة . بحكم ظلمة التقاليد ، وسطوتها القاهرة على ارادتهم .

وبحكم جهلهم ان الذي لا يؤمن بأضواء البرهان العملي اليقيني المشاهد واضواء العلم به مثله وكمثل العير يشد الوتد أو بذاك سيان في هذا أو ذاك حمار حمار ...

أشفق عليه يا أخي . واطلقه من هذه السلسله الفولاذية العاتية تحظى بجزيل المثوبة من الله الكريم ...

برهان التحدي العملي المشاهد :

تقول : تحديته أي باريته ونازعته الغلبة ....

وبرهان التحدي تستطيع أن تلمس وجه الانتصار والغلبة به من أول مشاهدة هب أنك شاعر في عبقرية الاحمدين المتنبي وشوقي ، وهب أنك تحديت من يزعم عبقرية الشعر زعما ويتطاول بزعمه على زعانف الشعراء والمتشاعرين وهب أنك تحديثه في نظم قصيدة في موضوع يزعم أنه متخصص فيه وشرع ينظم وشرعت فأنت بلا ريب بحكم عبقريتك تأتي بالبدعة الفنية العجب التي لا يرتقى اليها . أما هو فأنه يكاكي ثم يكاكي ثم يبيض بيضة حمام فاسدة . لو قدمتها الى باقل ونسبتها اليه لاجتوأها وبرئ من نسبتها اليه .

وكان برهان تحديك عملياً مشاهداً وكان انتصارك ساحقاً ما حقا للخصم فهذا مثل قدمته بين يدي المطالع بياناً لبرهان التحدي الذي قدمه الخليل ابراهيم للملك نمرود لدحر زعمه أنه الله رب العالمين حيال قومه .

أجل تحدى الخليل ابراهيم عليه السلام الوهية نمرود المزعومة في الصميم ببرهان عملي مشاهد نافذ صارخ . ما رأيت مثله قوة ساحقة للخصم ، وقاطعة كل جدال حتى لو استمر على المجادلة بعد ذلك لأحس أنه مجنون في عين نفسه بله عيون السامعين الحاضرين من وزرائه وحجابه وعظماء شعبه » .

وما وسعه حيال برهان خليل الرحمان العملي الصارخ ، الا أن يعتصم بالصمت وهو مصر على إمساك الاولية التي زعمها لنفسه : على كل حال ، واذعن لها كل شعبه على الرغم من ظهور بطلانها وبهته المخزى خشية عسفه وبطشه ...

والآن بعد هذه التوطئة يحسن يا أخي أن أقدم لك برهان التحدي العملي الذي قدمه خليل الرحمن لنمرود الملك ونص الله عليه في محكم آياته البينات وإنك لتلمس إعجازه صارخاً صرخات التحدي العملي المنتصر الساخر من الوهيته المزعومة ....

«الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ، ان اتاه الله الملك . اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال : أنا أحي وأميت . قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين» ٢ — ٢٥٨

الا يجد الناظر في هذه القصة أن نمرود على سطوة ملكة ، ونفوذ كلمته في شعبة تضاءل حيال برهان خليل الرحمان العملي المشاهد وأصفر كالجرادة ...

الا تراه حاول الهرب من سلطان الحجة ، والتفلت من قبضتها الحديدية بالتورية حيث أجاب قوله « ربي الذي يحي ويميت » انا أحيي وأميت ، أجاب بذلك وهو مدرك تماماً مراد الخليل ...

اذ محال أن يكون مراده من الاحياء والاماته المعنى المعين غير المقصود ويقال : أنه أحضر شخصين محكوم عليهما بالموت ، فأمات أحدهما وأحيى الآخر بالعفو عنه .

ولم تخف على خليل الرحمان لعبة التورية التي اعتصم بها من برهان التحدي القاصف سأردفه ببرهان من جنسه لا سبيل للفرار من الاذعان له ببرهان حل عزائم نمرود وأخمد عنفوان طغيانه وبهته بهتا لم يسعه معه الى التظاهر بالصمت ونية الانتقام ...

وهكذا تجد سلطان التحدي غالب وقاهر لأنه حق صراح ، ولا برهان أقدر على أذعان الخصم الإله فما بالك اذا كان الخصم علماً مفكراً همه كشف يقين العلم في حقائق الاشياء لا ريب له كل الانتصار بحكم وإنسانيته وإنطلاقه ومقته للعصبية وإيثاره للحق وجرأته على إعلانه وذلك اذا تجلى له في أمر من الأمور .

ومحال أن يرضى أن يعيش منافقاً ، يعلم يقين العلم ويجحده ويحاربه .. لأي إعتبار كان .. ويعلم يقين الجهل ويؤمن به وينتصر له محال محال ... لأنه إنسان وعالم مطلق ...

شعلة الكلمة :

وشعلة الكلمة أن هذه البراهين الثلاثة التي اقتبستها من الدعوة الحنيفية السمحة التي نادى بها الخليل ابراهيم بكل ما يملك من حماسة وإخلاص وإمكانيات من شتى المواطن التي طاف بها : تكشف للأجيال شعلة الإيمان الصحيح بالله رب العالمين الذي له وحده الخلق والأمر والهيمنة والتصرف والمطلق في هذا الوجود وتبطل تأليه أي كائن من مادة أو طاقة ، وعبادته

والاذعان له والرجاء فيه ، والمثول بين يديه المناجاة والدعاء والضراعة والاستعانة به من دون الله خالقنا العظيم ....

أجل تبطل كل ذلك بمنطق العلم والفكر والواقع اليقيني ... ومع كل ما لهذه البراهين العملية المساعدة من قوة ضاحدة ، وأعصار مقوض فإنك تجد هنا وهناك بقايا من الملاحدة والوثنيين والمشركين ...

والباعث على بقائهم ، واذعانهم هو عدم اهتمامهم بواقع العلم في الاشياء والبحث عنه بوازع من نبل النفس وشعلة الفكر . لذلك تجدهم راضيين بالتخلف كل الرضا ...

١ — بحكم أغلال الوراثة وتلقين التربية الانعزالية الممقوتة .

٢ — بحكم الخضوع للعصبية العنصرية بكل المجموعة النفسية .

٣ — بحكم ... الاعتزاز بالتقاليد القائمة وتقديمها لو كانت تنضح بالاحقاد الشاعلة ، والبلايا الفادحة والنحل المبنية على الدسائس المخفية .

٤ — والاهم الاهم هو عمى البصيرة ، والبصيرة هي التي يرى بها المؤمن المفكر سر نور الله في السموات والأرض وفي كل كائن في هذا الوجود .... فعماها يفقد الرؤيا بالمرة . ومن لا يرى فكيف يؤمن .

هذا هو العمى

هذا هو العمى

بحث ذوات الأرواح

وجودُها يقينيٌّ ، مُشاهدٌ بآثارِهِ الناطقةِ وبراهينِها الصارخةِ ، ولولا وجودُ ذواتِ الأَرْواح لما كانَ ثمةَ حياةٌ ما ....

لأنَّ اللهَ جلتْ قدرتُه جعلَها ، قوام الحياة ، فالحياةُ بدونِ ذَواتِ الأَرواح لا وجودُ لها ولولا وجودُ ذواتِ الارواح ، لما نَهضتِ المعارفُ الانسانية الى جَلال الايمانِ باللهِ رَبّ العالمين وخالقِ الخلق أجمعين ...

والملائكة أجمعون أرواح طاهرة ، والشياطين أجمعون أرواح خبيثة وهم من الجن والجن فيهم المؤمنون ، ولولا وجود الأرواح الطاهرة ، وأنفس البشر المفكرة الزاكية ، لما نهضت المعارف الانسانية الى الايمان بالله الخالق العظيم .

ولولا وجود الأرواح الطاهرة ، وأنفس البشر الزاكية ، لما استطاع العلماء المفكرون أن يميزوا بين حقائق الوحي الإلهي في الدين الصحيح ، وأساطير الوثنية والشرك والالحاد .

والعلماء يميزون بين حقائق أثار المجموعة النفسية ، وآثار حقائق الارواح . فاذا كان الاقتران الجنسي أثراً من آثار الغريزة ، فان تكوين الجنين في رحم الأم ، وتدرج حياته ، التكوينية أثر من آثار الروح التي نفخها الله في الابوين لما كانا جنينين وفي الجنين نفسه في الشهر الرابع .

وهكذا نجد تطور تكوين الجسد الانساني أثراً من أثار الروح التي ينفخها الله فيه وتصنع ما تصنع من مدهشات الخلق بقدرته تعالى وعلمه وارادته ، ولا دخل للنفس في ذلك أبداً ومن أجل ذلك اذا مات الانسان تموت معه مجموعة النفسية من غرائز وعواطف وفكر ووجدان وضمير ، وكل ما يتصل بالنفس الانسانية من نوازع .

وأما الروح فهي الحياة ، فأيان تكن الروح تكن الحياة ، وقد وضع الله بكل صنف من الأرواح سنن عملها ، طريقة حركتها التكوينية الخاصة بكل نوع من أنواع الأحياء سبحانه ....

وما أصدق القائل :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها   فـأنت بـالروح لا بـالجسم إنسان

— وأعلم أن النفس الانسانية التواقة الذواقة العارمة . هي باعث كل كفر والحاد وشبق الى النزوات والسفاح والجشع ، وجمع الأموال وإمساكها عن الانفاق في سبيل الاستقامة والهدى .. وهي التي تجعلُك جامدَ الاحساس أنانيّاً تتجاهلُ حياةَ الآخرين ومرافقَهم ما دامت حياتك آمنةً ، ومرافقُك على سَعةٍ مؤمَّنه . وهذه النفس التواقة الذواقة الطاغية هي التي تهوي بصاحبها الى الدَّرْكِ الأسفلِ من النفاق ، فاللسان أحياناً يظهر الايمان ، وهو يُبْطِنْ الكفرَ والالحاد .

وقد يتفاقم العصيانُ وقسوةُ القلب والاستهتارُ والعَمى في النفس ... فتهوي بصاحبها الى الدرك الأسفل من النفاق . فتراه يسخرُ بوجودِ الأرواح ويجمد بعثَها بأجسادِهَا في يوم آت حتما .

ويرتابُ ويغامرُ في ارتكاب الفواحش مغامرةَ المجانين ، ولاَ يخافُ عقباها ولن تستقيم النفس ، ولن تتهذَّبَ الا بَكبتِ الايمانِ وطُمأنينةِ الروح ، ورضاها بوحي اللهِ أعمالاً لاَ أقوالاً وفق أوامره ، ونواهيه ...

ومهما يكن فالعلم القليل الذي وصلَ إليه العلماءُ المتخصصون في دراساتهم لمظاهر الارواح في الأحياء العليا والدنيا ، لا يجعلهم يكتشفون كنهها ...

شأنهم في ذلك شأن علماء النفس المتخصصين على أن العلم بحقائق الأرواح الخيرة والشريرة ، مرجعه نصوص وحي الله القطعية ، وهو لا يزالُ في بوَاكيره ، وَالميْدانُ فسيح والقمْم شامخة جداً جداً .

وبخاتمُ وحي الله المعجز المتحدي ، استْطاع العلماءُ الأمناء أنْ يميزوا بينَ حقائق وحي الله المنزل في كتب السماء من قبل ، والاساطير التي اختلطتْ بها ، وتسربتْ اليها من النحل الوثنية والمشركةِ والالحاديةِ الباطنية التي حاكتْهَا ضَغَائِنُ العنصريةِ الانتهازيةِ المتآمرةِ حماقة طَبَعٍ وصِغَرَ فَكرٍ وشرَّ نَفْسٍ ... ! !

والحق أن يكون الكفر والإلحاد ، واللهفة الى النزوات الآثمة والسفاح ، الا حيث يكون الكفر بوجود الله والروح المنزل بأمره ...

ومن هذا المنطلق الجاحد الشرير تكون السخرية ببعث الاجساد الانسانية في يوم آت حتماً ، ويكون الإنفلات المطلق المريب يا ويلهم ...

والله جل جلاله ، كما خلق عوالم المادة ، خلق عوالم الروح ...

ولو آمن كل الناس بحقائق عوالم الروح وهي ماثلة بين أيديهم لاستقام البشر جميعاً وسعدوا وتألقوا بصدق الاخلاص ونية الايمان العملي الصحيح . وحقائق الروح تجدها ماثلة في العالم وفي الاحاديث المستفيضة عنها في نصوص الوحي اليقينية ، وفي كثير من معارف الحضارة الحديثة .

وقد كثر الدجل والإفك والعبث بعقول السذج في اوروبا وامريكا خاصة ، في هذه الأيام لأن البحث عن حقائق عوالم الروح ينبش دفائن الأساطير .

كما كان الأمر في مسائل علم النفس من قبل أن يفرز عن الفلسفة والتصوف العام والخاص . والآن أخذ العلماء الامناء الصاحون الذين لا تجوز عليهم الاساطير والخرافات أخذوا يدونون علم حقائق الارواح بكل انتباه وتحر للواقع ، بكل استقرار وذكاء .

ولا ريب أن إفراز علم حقائق الروح عن الفلسفة — في هذا العصر — وان عكوف زمرة نابهة من العلماء المتخصصين لدراستها في مصادرها الموثوق بها ، وجمع المعلومات اليقينية عنها . مفيد أكبر الفائدة .

يكفي أنه يجعلهم يطرحون زيف الاساطير وترهات الخرافات الملصقة بها . كل ذلك يحدث انقلاباً كبيراً في معارف البشر ، ويحطم اغلال الوثنيات والشرك والإلحاد ...

كما يكشف إعجاز خاتم الكتب السماوية المتجدد في معارفه وتحديه ، على مدى تجدد الحضارات وتجدد معارفها ...

ومكتشفوا عوالم الطاقات الروحية العاقلة وغير العاقلة ، يرون في عزلها من التصرف والفلسفة والأساطير نعمة على الحضارة لا تعدلها .

بناء علم الأرواح :

حقيقة الارواح لا يعلمها الا الله الذي خلقها ، وهذا شأن عوالم الطاقات هل علم العلماء كنه المغناطيس أو الحرارة ، أو البرودة الاثير ... حتى يعلموا حقيقة الأرواح .

كل الامر ان يدرسوا آثارها وظواهرها لما فعلوا في علم النفس لأن علم النفس مبني على دراسة تصرفات الإنسان والحيوان ، والتعرف على غرائزها وأعمالها الطبيعية الرتيبة ، وتميز الفروع بين

الدوافع على مباشرة الأعمال ، وتفصيل الميول والعواطف والفكر والوجدان والضمير في حياة الانسان مجتمعا ومفرداً . وما الى ذلك فيما تمور به النفوس البشرية في شتى اتجاهاتها ومواطنها ...

فان علم الروح مبني على أعمالها التكوينية الخاصة تنوعها وفق المخطط المعين لكل روح ، بعلم الله وأرادته ومبني على التعرف لكل ذلك في نطاق الأسباب والمحسبات والأقدار التي يجريها الله خالقها ، وخالق كل شيء ناهيك والله جل جلاله خلق الكائنات وخلق أعمالها ، « والله خلقكم وما تعملون » وهذا هو واقع خلق الله للعالم كافة من أصغره الى أكبر الاجرام السابحة في الفضاء .

والتحري لمعرفة يقين المعرفة يتجلى في نواح ثلاث :

الناحية الأولى :

تتجلى هذه الناحية في نصفها من الأساطير والخرافات ، التي لا واقع لها في يقين العلم ، وفصلها عن كل الحقائق اليقينية التي تقع من الأرواح فعلا مؤكداً صادقاً .

وهذه الوثائق اليقينية ، هي من يقين العلم ولا يضيرها في شيء أن نسبها المشركون والملحدون الى السحر ، وما هي من السحر في شيء .

ان هي الا معجزات وكرامات اجراها الله على يد رسله لتكون بمثابة البرهان على صدق أقوالهم وصدق رسالاتهم من عند الله رب العالمين .

وكذلك الكرامات التي يجريها الله لاوليائه ... وكل ذلك له نصوصه المتواترة في القرآن المجيد ، وذكرها يفتقر الى سفر كبير جدا . خذ مثلا معجزات سيدنا ابراهيم وموسى والمسيح ، وكرامات أم موسى وأم المسيح ...

الناحية الثانية :

تتجلى هذه الناحية من أعمال الأرواح التكوينية للأجساد الحية بها والميسرة بالنمو التطوري على تنوع كيفيات أعضائها الظاهرة أو اعضائها الباطنة وفق مخططات الأعمال التي فرضها الله عليها في صميم كيانها من البداية الى النهاية ، ولاستئناف العودة اليها يوم البعث والنشور . يوم تبدل السموات والأرض ، وتبدل أمثال البشر حسب عوالم الآخرة التي إليها المصير النهائي .

ونفخ الأرواح في الاجساد هو حقيقة علمية مشاهدة في دقائق أعمالها ومدهشاتها دون تناسخ أو رجعة دنيوية أو تأليه أو وثنية أو إلحاد ، إذ ذلك بعيد عن يقين واقع معارف علم الأرواح .

الناحية الثالثة :

تتجلى فى التميز بين أعمال الارواح الخيرة والشريرة في داخل الأجساد وفي خارجها بالنسبة لعلاقاتها بالمجموعات النفسية الانسانية في بواعث الخير والشر والإيمان والكفر وحرية الارادة وخضوعها لهيمنة الغريزة من الانسان الغريزي أو العاطفة في الانسان العاطفي أو الفكر في الانسان المفكر . تلمس كل ذلك في خصائص أعمال البشر الاعتقادية وسواها في مختلف الاتجاهات المتصلة بالأزمنة والأمكنة والثقافات والتربيات .

وفي هذه الناحية الثالثة يميز الدارسون معجزات الانبياء من كرامات الاولياء من الخوارق المتصلة بالجن والشياطين ، وما هي من قبيل المعجزات أو الكرامات . وأكثر هذه الخوارق الشيطانية بالأرواح الخبيثة هي التي يسميها الناس سحرا .

لأن السحر ليس كله صناعة وخفة وتخيل بل فيه تسخير الجنة والشياطين في الخبائث والموبقات والجهلة هم الذين لا يستطيعون أن يميزوا السحر من معجزات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وكرامات الاولياء التي هي مدد من الله جل وعز وقد تكون مباشرة من الله أو بواسطة الملائكة الكرام وتجد تفصيل كل ذلك في بعض الخوارق بأقسامها وحقائقها .

هذه الكلمة جاءت رداً للذين
ينكرون وجود ذات الأرواح

أعمال المثل الأعلى
في حفظ اللغات الحديثة الراقية

فكَّر علماءُ اللغاتِ الحديثة الراقية . في الأَسْباب التي حفظت اللغةْ العربيةَ من التغيرِ والتبديل ومن التفسخ والزوال. أيّ فكرُّوا في الأسبابِ التي حفظتَها مِنْ تمزيقِ وَحْدتِها الجامعة على تتابع القُرونِ والأجيال دَونَ لِداتِهَا مِنَ اللُّغاتِ التي دَرَجتْ وإياهَا مِنْ المهد كاللغة اللاتينية واللغة المغولية واللغة السريانية وسواها .

وبعدَ الدرسِ والتفكير وجدُوا أنَّ الذي حَفظَ اللغةَ العربية حيةً خالدةً ناميةً مُتَجدِّدةً متطورةً هُوَ حفظ كِيَانها الأصيل وحَياتها المُثْلىٰ من التَمزيقِ والزَّوالِ هُوَ القرآن المجيدِ ، فقدْ جَاءَ مثلاً أعلَى لا يُبَارىَ أبداً . وَإنّهُ يحْملُ طاقَةً روحيَّة خَالدةً حَفِظتِ اللغةَ العربيةَ من التَمزيق والزَّوالِ .

نعم فكَّر علماءُ اللغاتِ الأجنبيةِ الحيةِ الراقيةِ في هذا العصر في الأسبابِ الظَّاهرة التي جعلتِ اللغةَ العربيةَ تُضَارع لغاتِهم وتصارعُهَا بقوةٍ هائلةٍ خالدةٍ فوجَدوهَا ماثلةً في عدةِ أسبابٍ واليك أهمها .

١ — الإيمان العميقِ بضرورة حِفْظِهَا من عَبَثِ التغير والتبديلِ اللّذيْنِ لا ينتميانِ الى التَّطورِ والتَّجددِ وإنَّما إلى ألْسنةِ العامةِ الملتويةِ وتغيراتِهَا المتتابعة التي لا يَسْتمرُّ معها صحةُ أداءِ الحروفِ ولا إحسانُ النطقِ واجادتُه حَسْبَ مَناطق مَخَارجهِ ..

٢ — الايمانُ بالنصوصِ التي تُوجبُ حِفْظَها على أَهلِها كقوله تعالى «إنَّا نحنُ نزَّلْنَا الذِكرَ وإنَّا له لَحافظون» وكقوله تعالى «إنَّا أنْزلناه قرآناً عربياً لعلكم تَعْقلون» ١٢ — ٢ .

أجلْ أنزلَه اللهُ معجزةً أبدية بلغةِ العربِ مُوحِّداً لأهلِهَا وَدَاعِياً لَهُمْ إلى هُدىَ الايمانِ الصَّحيحِ لِكيْ يَظلوُّا مؤمنين ماكثين في الأرض ولا يزالُوا أبداً .

أجل أنزلَهُ اللهَ بالحق الجامع لكلِ معجزاتِ السماء ومحدياتها وبراهينها العلميةِ اليقنيَّةِ الدالةِ أنَّه كلامُ اللهِ الأزلي المحفوظ بحفظِ اللهِ له الى يَوْمِ القيامة .

كما أنْزلَه حَاملاً كلَّ المثل الكريمةِ الْعُلْيا التي تُحقِّقُ السَّعادةَ والأمن والايمان الصحيح لكل أَهْل الأرض إلى يَوْمِ القيامة ... أتلُ معي .

«وبالحقِّ أنزلناه ، وبالحقِّ نزل» ١٧ — ٥ .

أجل أَنْزله بكلِّ ذلك «وليعلمَ الذين أوتوا العلم ، أَنَّـهُ الحقُّ من ربِّك فيؤمنوا بِهِ فتخبت له قُلُوبُهمْ إِن اللهَ لهادِ الَّذين آمنوا الى صراطٍ مستقيم» .

ومن اجل ذلك قال رسول الله ﷺ «من حفظ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه» وهلْ مُتحدثٌ ابلغُ من مصدر النبوة لا إذن فحفظُ القرآن لأطفال المسلمين كافة أعظم وسائل حفظه وأدعم لتأسيس الايمان .

وحرام أن يترك هذا الأمر العظيم . واني إلى الآن أذكر أيادي العلماء الأبرار الذي لهم اليد المُغْدقة المُنعمة على حفظي ما حفظتُه مِنْ آيات الله وشرْحِهِ وتفسيرِه في المدينةِ المنورة . وبيروت والقاهرة رحمهم الله وآثابهم أحسن المثوبات واهْتِمامُ العرب قديماً وحديثاً بتعليمِ أطفالهم حُسْنَ نُطق حروفِ الكلماتِ حَسْب ما تنطلق مِنْ مخَارجها .

وهذا بَابٌ وزنهُ فِي حِفْظ اللغةِ من التغير والتبديل لأن التغير والتبديل لا يأتي في أَيّـةِ لغةٍ الاَّ بانْحرافِ الأَلْسنةِ عن مَناطقِ مَخارجِهَا وبالتالي تتغيرُ الكلمةُ ويُـقْـتَـلُ أصلُها قتلاً كما حَـصَل ويحصلُ في كلِّ اللغات التي ماتتْ وَدُفِنتْ في رُموسِ المعاجِم .. وهكذا تصبحُ اللغةُ غيرَ اللغةِ ولأجل الابقاءِ على حياة اللغة اخترع العلماءُ الآن لضبطِ مخارج الحروفِ حتى تَـظَـلَّ اللغةُ هيَ القوةُ الجامعةُ لوَحدَةِ الأمةِ مهما تباعدتْ أقاليمُها رتبعثرتْ ...

وهذا ما صنعَه العربُ منذُ فجرِ الاسلام بل منذُ تأسيس سُوقِ عُكاظ ، وما زالُوا يعملونَ على تَوحيدِ لغَتِـهِمْ وَحِفْظِـها وَسيادَتِها : ولماذَا لا يَـفْعلون ذَلك والقرآنُ المجيد نزلَ بها . وهلْ اخترعَ العربُ علم التجويد إلاَّ لحفظِ صحةِ النُّـطْقِ بكلامِ اللهِ حَسْـبَ نزولِهِ في القرآنِ المجيد .

ولن تجدَ بيْـنَ الأمم أمةً قد اهتمّ أبناؤُها بلغتِهم جاهليةً واسلاماً ما تجدُهُ في أمةِ العرب .

إنَّهم أيقاظ نُبلاءُ .. أُنظرْ لمَّا شرَّفهم اللهُ وأنزلَ بِلُغَتِهِمْ كِتابَـهُ المعجزَ المُتحدِّي . ودَخَـلَ فيهم مَـنْ دَخلَ من الأمم الأعْجميةِ واحسُّوا أنَّ لأَلْسنَةَ تَـنحَرفُ عَـنْ صَـفَاء الكلمةِ وصِحَّةِ النطقِ لها لَـمْ يَتركُوا الأمرَ على عَـوَاهِنه بَـلْ وضَـعُوا قَواعدَ لِضَـبْطِ صِحّـةِ حركاتِ الكلمةِ وسكناتها أَثناءَ الكلام ليظلَّ العربيُّ هو هو في صحةِ نطقهِ بلغتهِ أجلَ وضَـعُوا عِلمَ النحوِ قِواماً لألسنتِـهِمْ وسَداداً لها من الفسادِ والمهَالِكِ لِـكيْ تَـنْـجُو مِنَ وَهَنِ اللُّكْنة والعُـجْمةِ ولكي تظل مُسْتَقِيمَة على سُنَـنِ مَواريث آبائِهم وأجدادهم .

الاَ ترىَ أن الانسانَ في كلّ ثَانيةٍ يتغيرُ ويتبدلُ ولكنَّه يظلُّ حافظاً لِكيانِه وأعضائه ما دَام حَيًّا . فاذا ماتَ تمزقَ جسدُهُ وأصبحَ بعضَ تُرابِ الأرضِ حتى لو جُمعَ ترابُه في إناءٍ وقلتَ لناظِره هذَا فلانٌ لمَـا صَدَّقك هذا عَينُ وَضْع اللغةِ فهيَ ما دامت حيةً تنمو وتتطوّرُ نُموَّ الحياةِ وتطورِهَا : الحياةِ التي لاَ تُخْرِجُها عَن كِيَانِهَا بل تَظلُّ هِيَ هِيَ .

ولاجلِ أَنْ تَظلَّ هِيَ هِيَ خيرة قويةً مُتَجَدّدةً وضعُوا عِلم النَّحوِّ والصَّرْفِ وسائر عُلومِ البلاغةِ والإشْتِقاق فِللَّهِ هُـمُ من أبطالٍ بررةٍ كرامٍ طَابتْ ذِكْرياتُهم على مدَى التاريخ وأحسن اللهُ إليهم كما أحسنوا للغتِهم وتاريخِهم ودينهم وأُمتهم .

أجلّ إنَّ ساسـةَ العربِ وقادتهم تجدُهم قد صرَفُوا أكبرَ إهتمامِهم بصحةِ لغتِهم وسموهَا واقتدارِهَا على مصارعة الأيام والليالي ومقارعةِ الأَعداءِ جيلاً بعدَ جيلٍ وهم يُريدونَ أنْ تـظَلَّ لغتُهم محفوظةً أصولاً وفروعاً كما كانَتْ فِي سُوقِ عكاظ وأنزلَ اللهُ بها كتابَه الكريمَ ، وانك تَلْمسُ اهتمامَهم الكريمَ بتَحْفِيظِ أَبْنائهم القرآنَ المجيدَ وتعين فحول العلماء لكيَ يُثقفُوهم بها الثقافةَ العُلْيا وناهيك بتشجيعِ الأدباءِ والبلغاءِ الذين يَحْبسونَ أنفسَهم لِحفِظهَا وتَـدْوينِ الكلمات البليغة والمؤلفاتِ القيمةِ بها وَصِياغةِ الأشعارِ والخطب .

كما أنهم كَانُوا يَضْربُونَ على أيدي الذينَ يُحَاوِلون هَـدْمَها والقضاء عليها بأساليبِ الشيطان وكيدهِ ولعناتِه ..

وَبتدبيرِ شَتَّى المؤمرات فَلْولاَ هذا الوعي اليقظ والرعايةِ البالغة والانتباه المستوعب لأولئك الكائدين المتآمرين لقضيَ على اللغةِ العربية من أَجْيالٍ وبالتَّالي قُضي على الإسْلام في صميم بلاد العرب وأهم الوسائل الّتي تحفظُ اللغةَ أيّـةَ لُغَةٍ كانتْ مِنَ الدَّمارِ والكوارث والإنحرافات والمهالك تَشْيـدُ الْمجامع اللغويةِ الكبرى وتعينُ العلماءِ الأعلام مِنْ أجلِ حراستِها وإقامةِ النوادِي والأَسْواق وإغْداقِ الجوائز والمِنَحِ للذين يُبْدعونَ الكلمةَ الصحيحةَ الحيَّة الخالدةَ . (٣) وإرغام كتاب الصحفِ والمجلاتِ على التزامِ صحةِ الكلمة ووقايتها مِنْ الفَسادِ والأَخْطاء .

هذَا عَملُ الأممِ لأَجْلِ الإبْقاءِ على حَياةِ لُغَاتِهم وَبالتَّالِي عَلَى حَيَاتِهم . وهذَا هو شأنُنَا بَل هذا شأْنُنا مِنْ قَدِيم الزَّمان ..

ويسرني قبل الانتهاءِ مِنْ بَيَان أمجاد هذهِ اللغة التي أنزل اللهُ بأسلوبَ بَيانِها بيانَه المعجزَ المتحديَ بآيَاتَ رائعةٍ تحملُ الحكمة وفصلَ الخطابِ . وَيَسرُّني أن يَظلَّ على ذاكرةِ كلٍّ سَامعٍ على كلِّ لسانٍ قول البوصيري رحمه اللهُ .

آيــاتُ حَـقٍّ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْـدثـةٌ ... قـديمةٌ صفـةُ الموصوفِ بـالقـدم

لم تقترنْ بزمـانٍ وهـيَ تُخبِـرُنَـا ... عَنِ الْمعَـادِ وعَـنْ عَـادٍ وعَـنْ إرم

دَامتْ لـدينـا فقـامتْ كـلَّ مُعجِزةٍ ... مِنَ النبيينَ إذ جَـاءت ولـم تَـدِمِ

مُحكمـات فما تُبْقينَ مِنْ شُبـهٍ ... لِـذي شِقَـاقٍ ومـا تَبْغينَ من حَكَم

مـا حوربتْ قطُّ إلاَّ عـادَ مِنْ حَرَبٍ ... أعـدَى الأعـادي إليْهـا مُلْقيَ السَّلم

رَدَّت بلاغتُهـا دَعْـوى مُعَـارِضِهَـا ... ردَّ الغيورَ يـدَ الْجَـانِي عَنِ الْحُرَمَ

لها مَعَـانٍ كموجِ الْبَحرِ في مَـددٍ ... وفوقَ جَـوْهرِهِ في الحُسْنِ والقيمِ

فَمَا تُعـدُّ ولا تُحْصيَ عجـائبُهـا ... ولاَ تُسامُ على الإكْثـارِ بـالسَّأمِ

قرَّت بهَـا عَيْـنُ قَـاريها فقلتُ لَـهُ ... لقـدْ ظَفرتَ بحبـل الله فـاعْتَصمَ

هاشم دفتر دار

الجريمة

لا جريمة مع الاسلام أبداً ، الاسلامُ والجريمة ضدان لا يجتمعان في نفس واحدة . جاء الاسلام وهو يَحْمِلُ في أصولهِ وفروعه علاجَ الجريمةِ في داخلِ الأنفس وخارجها .

أجلْ عالجَهَا في داخلِ الأنفس فانْحَسمتْ مِنْهَا . وفي خارجِ الأنفسِ في المجتمعات فانحسمت مِنْهَا سُمُوًّا سُمُوًّا ...!!

وسبقَ علاج الاسلام لمصدر الجريمة داخلَ الأنفسِ قبلَ علاجهِ خارجَهَا في المجتمع لأَنَّ الجريمةَ أول مَا تفرخُ بُوَيْضَتَها تفرخُها في داخلِ النفسِ . فاذا نمتْ وترعرعتْ انطلقتْ إلى الخارج .

فكرْ معي هل يقتلُ القاتلُ وهلْ يسرقْ السارقُ . وهل يسلبُ السالبُ ، وهل يخُونَ الخائِنُ ، وهل يقامرُ المقامرُ... في الخارجِ إلاَّ إذَا فَعَلَ في أعماقِ نَفْسِه مِراراً ومراراً .

والنفسُ هِيَ نَاصِيَةُ الطريقِ الى الْفَضيلةِ ، كما هيَ نَاصِيَةُ الطريقِ الى الرذيلة . أذكر أنه كان لعالم من علماء النفسِ خادم أمينة ، أمسكها رجال الشرطة وهي سارقةُ درهمين زَائفينِ .

وجاؤُوا بِهَا الى سيدِّها باعتبارِها خَادِمَةٌ وَسَارقةٌ ولكنَّ سيدَها ما كادَ يَراها ويرَى الدرهمينِ الزّائفينِ حَتَى طلبَ إليهم إطْلاقَها وَهْوَ يقولُ «إنَّها أمينةٌ ، إِنها لَمْ تَكُنْ في يوم سارقةً .. أنَا السبب .

والقصةُ هِيَ الدرهمين الزّائفينِ ذكر لهم أنَّه وَجَدَ مِنْذُ شَهْرٍ تَقْرِيباً بيْنَ دراهمِهِ هٰذينِ الدرهمينِ الزائفينِ فطرحَهُمَا الى جانبِ مِنْضدِتهِ .

شأن كلِّ شيء لا حاجةَ لهُ به ولم يَكترثْ لَهُمَا . ورأتِ الخادمُ الدرهمينِ مطروحينِ ولم يَدْرُ في خَلدِهَا أنَّهما زائفانِ ... وأَنَّ سيدَهَا طرحها لذلك .

ولم تبالِ بهما للوهلةِ الأولى ولكنَّ تكرارَ نَظرِهَا اليهما طبع صورتَهُمَا في قَرارِ نفسِها وظلت الصورة تكبرُ يوماً فيوماً ومُغريَاتُ أخْذِهِمَا يَتفَاقمُ وهي تحسبُ أنَّ سيدَها لم يدرِ عنهما شيئاً.

وأخيراً بعد أن مرَّتِ بهَا كلُّ دَوَافِعِ الأَخْذِ النفسية أَخذتْها وكان أمرهَا ما كانَ..

والسببُ هو وجودُ الدِّرهمينِ فِي غَيْرِ حِرْزِهمَا.. فما هِيَ بِسَارقةٍ. وحرزُ المثل معتبرٌ في تَحْديدِ السرقة إذن فالجريمةُ قِصَةُ صورةِ بَشِعةٍ منكرةٍ تطبعُ في النفسِ. قبلَ أَنْ تكونَ قصةَ واقعِ إجْرَامٍ غَدَّارٍ في الخارجِ ومِنْ أجْلِ ذلك كان علاجُ الأَنْفسِ المَرْضى وتزكيتها وتطهيرها مِن انْحطاطِ الوثنيةِ والاشراكِ وكلِّ بواعثِ الإجْرام أولَ ما تَوَّجهتْ اليه الدعوةُ الاسلاميةُ «قلْ يا أيُّها الناسُ انيِّ رسولُ الله إليكمْ جميعاً الذي لَهُ ملكُ السَّمواتِ والأرض، لا الَـه إلاَّ هو يحي ويميت فآمِنوا باللهِ ورسولِهِ النبيِّ الأُميّ يُؤْمنُ باللهِ وكلماتِهِ واتَّبعُوه لعلكمُ تَهْتَدونَ» (٧ — ١٥٨) «هو الذِّي بَعَثَ في الأُمِّيينَ رَسُولاً مِنْهمْ، يَتْلُو عليهمْ آيَاتِهِ ويزكيهمْ ويعلمُهم الكتابَ والحكمَةَ، وان كانُوا من قبلُ لِفي ضلالٍ مبينٍ» (٦٢ — ٢).

وسبقُ الأَعمَالِ بالنياتِ ظاهرٌ في قَوْلِ رسولِ الله ﷺ «إنَّما الاعمالُ بالنياتِ، وإنَّما لكلِّ أمرىءٍ ما نوىَ، فمن كانتْ هجرته الى الله ورسوله فهجرتُه الى الله ورسوله، ومن كانت هجرتُه الى دنيا يصيبُها أو امرأةٍ ينكحها فهجرتُه الى ما هاجر إليه».

وهذا التطهيرُ النفسيُّ مِنْ ظُلُماتِ جَرائم الشِّركِ والوثنيةِ والإلْحادِ وسائرِ الجرائم مِنْ قتلٍ وسرقةٍ وخيانةٍ وغيبةٍ ونميمةٍ وحَسَدٍ وظلم.

فكلُّ المسلمين سواء في الدعوةِ إلى التطهير النّفسي وأولُّ الدَّعاةِ إلى التطهير النفسي هُما الأبوانِ والبيئةُ والمدرسةُ والأمُّ مدرسةٌ وزيادة.

وأما التطير الخارجي الذي يقعُ في المجتمع، بواسطةِ العقوبات المشروعة.

فهو من حقوق الدولة، ولكن يَجبُ على الأفراد والجماعات أن يساعدوا الدولة في اداء الشهادات وكشف مخابىء المجرمين والدلالة عليهم نجاة لأنفسهم. من المهالك...

وكم بلاد احترَقَت بواسطة إخفاء المجرمين. واخفاؤهم وإيواؤهم جريمة شنيعةٌ في الاسلام وبما أنَّ الوازعَ النفسيَّ قد ضَؤُلَ، ومضى الزمن الذي كان المجرمُ اذا وقع الاجرامُ منه!! يُداخلُه الخوفُ من عقوبةِ الآخرة فيقدمُ إلى الحاكم نفسه معترفاً ليطبقّ عَليه العقوبةَ الشرعيةَ...

ولم يَبْقَ الا وازعُ السلطان وهذا الوازعُ: هو اليوم الحاجز الوحيد بين الجريمةِ والمجتمع لمن حكمةٍ عاليةٍ ونظرٍ بَعيدٍ سديدٍ في حسمِ الجريمةِ في كلِّ مجتمع تطبقُ الأصولُ الإسلاميةُ المنزلة للقضاءِ على الإجرام والمجرمين وهذا حَقٌّ. فإني أرى المجتمعَ الذي ترفعُ منه أصولُ العقوباتِ الاسلاميةِ يَحلّ محلَها الإجرام.

ورأيت الذي يرفعون العقوبات المنصوص عليها في وحي الله عن المجرمين... هم أَولُّ الهالكينَ على أيدي المجرمين. وإني أرى ذلك جزاءً وفاقاً.

وكان أهلُ الجاهلية يقولون القتلُ أنفى للقتل، وهذا حَقٌّ اذا تُتُبّع المجرمُ بالذات في مخابئه. وطبقتّ عليه العقوبةُ. وفي هذا القصاصُ الحياةُ للناس. ولكنْ اذا القي حبلَ حُب الإنْتقامِ على غواربِ الفوضى في التراثِ وتبادلت القبائلُ والأسرُ القتل فيما بينهم.

على كلٍّ من هبَّ ودبَّ. من غيرِ القاتل فإنَّ في ذلكَ الهلاكُ المحتومُ للمجتمع. ويكفي الكشف على هذه الحقيقةِ في أعلى مناراتها أن تتلوا بخشوع وتدبر وتفكير قوله تعالى «ولكم في القصاصِ حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون».

ولعل في القتلِ المستطير من البلاد التي ألفت الصعوبات التي أوجبها الله عقوبة بالغة وفيما يلي كلمة شرطة الصيانة...

شُرطَةُ الصِّيَانَة

كَثر حديثُ القادةِ الافذاذ والكاتبين المفكرين ، عن الجريمة والمجرِمين . وعن الوَسائلِ التِّي يُقضْى بِها عليهمُ . قبلَ أنْ يَتفاقَم أمرُهمْ ويَسْتَفْحِل عليهم .

وبما أَنَّ الجريمةَ لاَ يُمْحى وجودُهَا مِنَ المجتمع ، إلاَّ إذَا مُحِيَ وجودُها من الأنفس ولا يُمْحىٰ وجودُها من الأنفس إلا إذا دعم الإيمان والخوفُ من اللهِ في الانفس أولا . ثمَّ عمت سطوة السلطانِ ووازعهِ في المجتمعِ وسَبق في كلمةِ الجريمة بيان ذلك .

الجريمةُ :

هيَ تصميمُ عَمَليٌّ لهدم الحياةِ واستِمْرَار صلاَحِهَا وتَقْويضِ دعائم الشرعية مِنْ قبلِ أَنْ تقوِّضَ حياةَ الآخرين ولمحقَ الانسانيةَ والرحمةَ والحقَّ والعدْلَ ومودةَ الحياةِ الاجتماعية بَيْنَ الافرادِ والجماعَات ويكفي أن تقولَ الجريمةُ فوضى وإفْسَادٌ مُتَعَمدٌ لكلِّ شَيْءٍ .

شرطةُ الصيانة :

عَملُها أَنْ تصَونَ الأَمْنَ مِنْ جرائمِ المُجّرمين : وَهْيَ سوى شُرْطةِ إمْسَاكِ المجرمينَ للاقتصاصِ مِنهمْ بعدَ وقوع الجرائم .. فمثلَ عَمَلَ شُرْطةِ الصيانة ، كَعِلْمِ الوِقَاية الصِّحيّة مستنبطٌ لحمايةِ الأفرادِ والجماعاتِ من الوقُوعِ في الأمراض . وَمَثَلُ شُرطةِ ملاحقةِ المجرمين وامساكهم للاقتصاص منهم كَعِلْمِ الطِّب ذاته يُعالجُ المرضْ بعدَ وقوع الامراضِ

ملاحظة :

شرطةُ الصيانةِ لا تُنَافيُ حُريَّة الفردِ والجماعةِ ، بل هي التي تحافظُ عليها من العُدْوان وتدْعِمُها وتردُّ غَائلَة المجرمين عنها ، ولاَ يَتَّهمُ شرطةَ الصيانة أنها ضد حرية الفرد الشَّخصية

والجماعة إلاَّ المُنطَوون على اقتراف الجرائم وهل مِنَ الحرية الشخصيَّة أن يندسَّ المفسدُونَ بينَ الْمصْلِحين ويتأمروا على رِجال الدولةِ والأمةِ ويقضوا على حياتِهم ومصالحهم ويمزقوا كلمتَهمْ وتجعلوهم أعْداءَ يستبيحُ بعضُهم دِمَاءَ بعض ...

مصدر الجريمة :

من المؤكد أنَّ مصدرَ الجريمةِ نفسُ الفردِ الشريرِ أو أَنْفسِ الجماعة الشريرة لأنَّ صُنْعَ الفرد المجرم في هَدْم الأمْنِ وتخريب حياة الآخرين كصنعٍ الجماعةِ المجرمة .... إلا أنَّ الجماعَةَ المجرمةَ ضررُهَا أهولُ أحداثاً وأفدحُ نهايةً وأكبرُ طامة وَوَيْلاً .

الاجرام والعلم :

كان سلفُنا الصالحُ يُمَجّدُونَ العلمَ بما قال اللهُ تعالى ، وقالَ رسولُه الكريم ﷺ أيما تمجيدٍ ، وكذلك كل ما يتصلُ بهما كعلِم الفقه وأصوله وعلمِ التوحيد وعلوم اللغةِ العربية . وما هو قريب لِتحقق الهدَى والايمان في قلوب الأفراد والجماعات وما زالت حقيقة العلم تتسع وتتسع ، وبالحري في العصر الذهبي العباسي حتى أصبحْتِ المكاتب العلمية على شاطىء دجلة والفرات تعلو قبابُها كأَنْها الاعلام البيضاء التي ترفرف فوق شرفاتها حمائم السلام ... ومن أجل ذلك أَطلقوا عليها دار السّلام .

أما اليوم فإن اتساعَ العلومِ ووفرةِ اعدادها وألوانِها وكذلك الفنون فإنها تربو وتربو من ساعةٍ الى ساعة .

وتزداد اتساعاً واتساعاً حتى أصبَح التثقيفُ العلميُّ العالي والسموُّ الأدبي الرفيع لا ينفْع فيه إلاَّ التَّخصصُ ، وأصبحتِ الأمةُ التي لا يَتخَصَّصُ أفرادُها في شتى الفروعِ العاليةِ والفنون الجميلة والصناعات الحربية وسواها رعيلاً رعيلاً فقد حَكَمَتّ على نفسِها بالاعدام ، وتنادى بها الزوالُ والفناءُ هذا هو الطريق لذلك تجدُ الدولَ الكبرى والصُّغرى جادةً في استقصاءِ العلوم واحصائِها وجمْعِها ودرسِها والتوسعةِ فيها على سواء . بالاضافة الى تَخصُصِ التَخَصُّص .

وهذه دولتُنا السعودية جادة كلّ الجدِّ في فتح الجامعات الكبرى والمعاهد الثانوية في البوادي والقرى . وتأسس اندية الأدب ومجامع اللغَة .

والمدهش في أعمال عَصْرنا هذا أَنَّك تجد التثقيفَ دخلَ حتى في مَخابىءِ المجرمين لأنَّ العنصريين ما دَاموا يَـنْظرون الى الأمم كأعداء . وما داموا يَـدُسُّون ما يدسون في كلِّ مكانٍ المفسدين والمعطلين والمجرمين في الأعماق من وراء . ليذيعوا الّـفوْضَى والاضطرابِ والافسادِ باسم الاصلاح والهدَى والخير ، فإن الاجرام لا يَـنْتهي بل يربو ويربُوا لذلك تجدُهم في كل بلدٍ شَرْقي أو غربي ، واشعال نَـزَوَاتِـهِ وأهرَاقِ قدراتهم على مذبحِ الرذيلة ..

الجنسية واستغلالها لكل ذلكَ وهذا هو الذي يُشاهده الدارسون لأن إنفاذَ الجرائم في أعمالهم الخفية يقومُ على رَكنين أساسيين .

الاول :

مخاطبةُ الغرائزِ وتجنبِ مخاطبة الفَـكرِ والعلم . وأهم الغرائز التي يَـحْشِدونَ لَـهَـا سحر المُـغْـريات ويهدَمون بها الشبابَ والشابات لتحويلَهم الى مجرمين في حقٍّ أنفسِهم ودينهِم ومصالحِ أمتهم هُـمَا : غَريزتَا الجنس والتملك وتسليط مُـغْرياتِـهما عليهمْ لتسخيرهم الى مزاولة الجرائم الجنائية والسولكية غيرَ المشروعة بباعثِ هَاتيْن العزيزتين الراغبتين إذا أرْسِلتا على عواهنهما دون وازعٍ من سلطان أوْ دين .

الثاني :

الثاني إتخاذ النزواتِ والأعمالَ الجنسيةَ السريةَ الممنوعةَ لدى كلِّ الدول مَصايِـدَ وفخاخاً . لتسخير الشباب والشابات إلى إرتكاب الجرائم وابتكار الأفلام الخليعة المردية ومناظرها الحمراء البشعة الشاعلة المثيرة الهدامة للصحة والوعي والابتكار والخامدة لِشُعَلةِ التفـكير ، ووقْـدِ الزَّكاء والصارفة عن كلّ طموح عالٍ .

ومتى وصل شباب الأمة وشاباتها الى هذا الدرك الساقط فأنى تكون لأمتهم بهم معارج أمجاد ، ومنائر معارف وعدد دفاع عن الأمن والحرية والوحدة .

ولا ريب أن عملك وعملكي وعمل كل مواطن هو محاربة هذا الانحراف والبلاء والتخريب والهدم والالحاد والانفلات .

الكائنات وعلم الله الأزلي

ا د ري

كلَّ الكائنات مبنيةٌ في تكوينِهَا على عِلْمٍ وهذا العلمُ هو آيةُ وُجودِ الله العليم الخبير ولا يجحدُ أنَّ الكائنات مبنية على علم الله جلَّ وعزّ ، ويزعمُ أنها مبنيةٌ على الصدفة الا مَنْ بلغَ به حُبُ الجنونِ ، ولعنةُ العنصرية مبلغُ إبليس اللعين . لأنَّ علم إبليس بوجود الله لا يقلَّ عن علمِ الملائكةِ ولَكنَّ حُريَّةَ الارادةِ الخاصة التي أعطيها دونَ الملائكةِ لأنَّه من الجنّ هي التي جعلتْه قَادراً أن يَسْتمرَّ على الإيمانِ أو يكفر .. لأنَّ الملائكةَ الكرامَ فطروا على الايمان فقط . ولَيس في وسعهم الكفر أبداً .

ولاَ يَمْلَكونَ الارادةَ الحرةَ التي تجعلُهم ينحرفونَ عن طاعةِ الله أَبداً هذا وإنَّ الملائكة مُطيعونَ خاشعون : « قالوا سبحانك لا علمَ لنَا إلاَّ ما علمتَنا إنك أنتَ العليمُ الحكيم » ٢ — ٣١ وتسمع إبليس اللعين يقول لله جل وعز مبرراً عدمَ سجودهِ لآدم .

« قال أنا خيرٌ منه خلقتَني مِنْ نَارٍ وخلقتهُ منْ طين» ٧ — ١٢ كأنَّ أمر تَفضيلِ النارِ على الطينِ يعودُ إلى إرادتهِ هُوَ لا إلى إرَادَةِ اللهِ جَلَّ جلالُه .

فاذا رأيتَ انساناً يَرفضُ أن ينسبَ العلمَ المبنيَّ بموجبهِ تكوينُ الكائنات إلى مُكوِّنهَا اللهِ العليم الخبيرِ . فهو بلاَ ريبَ ينسبُه كفراً وجحوداً والحاداً عَمَداً بدونِ أي دليل عِلْميٍّ يقينيٍّ الى الصدفة أو إلى هَوَىَ النفس أو الى خُبثُها ولعنتِها أي يَنْسبه الى لا شيءَ ويجعلُ هذه النسبةَ الكافرةَ الرعناءَ المجرمةَ ... عَنْ عَيْنِ العِلْمِ وعَيْن الْحريةِ والإنْطلاق اذا رأيتَ انساناً هذا شأنه فلا تَعْجبْ فكمْ هم الذينَ يَجحدونَ وجودَ الشمسِ وهي سَاطعةٌ في كَبِدِ السماء تلفحُهم بأشعتِهَا والجنونُ فنونٌ .. ! !

ولهفةُ التَّظاهرِ بالْـعِلْمِ والحريةِ والتَّـجْديدِ والكـفرِ والإلْحادِ إذَا تَغلْغلتْ في النَّـفْسِ الواهنةِ الرعناء تفعلُ أكثرَ مِـنْ ذلكَ فهؤلاءِ السفسطائيونَ مِـنَ الإغريقِ القدماءِ ... لم يَـكتفوا بجحودِ الله .

مُكَوّن الكائنات بل أنكرُوا حقائِقَ الكائنات نفسها وزعموا أنها خيالاتِ حتى لا يأتـي العلماء المحققون فيتخذوا من وجودِهَا سبيلاً الى الايمانِ بالله خالِقها العظيم .

فهلّ رأيتَ كفراً أكفرَ مَن هذا .... وهل ظلما أظلمَ من هذا .

وهل رأيتَ شراً أشرَّ من هذا تقولُ أنت وأقول أنا .. لا لا : وتقولُ محال أن يصل خبثُ الانسانِ والحادُه ولعنتُه أَنْ يجحدَ حتى وجودِ الأكوان وهو منها ويعيش فيها ولا يكتفِي بجحود وجودِ اللهِ . والباعث على كل ذلك هو جحود وجود الله مكونها .

ولَكنَّ الواقعَ يوَكدُ أَنَّ ذلك كان في اليونان وقد انتقلَ مذهبُهم هذا الى العالم الإسلامي وتألقتْ عِصابةُ السفسطائين في بغداد وكان لهم رئيس مشهور يجتمع بالأئمة الاعلامِ ويزورُهم شأن دهاةِ أهل الكيدِ والكفرِ والنفاق .

هذا رئيسُ السُّفسْطائين في بغدادَ يزورُ الامامَ أبا حنيفةَ النُّعْمان رضوان الله عليه ويتحدث اليه ساعةً .

وفي اثناءِ ذلك أوعز الامام أبو حنيفة الى خادمة أن يخفيَ البغلةَ التي وفد عليها وشدَّها لدى الباب .

ولما انتهتِ الزيارةُ صحبَه الامامُ الى باب داره ليرى ما يصنعُ ..... ظلَّ رئيس السفسطائين يتلفَّـتُ يميناً وشمالاً باحثاً عن بغلته فالتفتَ إليه الامامُ = عن أي شيء تبحث .

السفسطائيُّ = عن البغلةِ فقد شدَدْتُها الى الباب .

الامام = وهل للبغلةِ حقيقة ماثلة حتى تُشدُّ الى الباب .

السفسطائي = أدركَ عظمةَ البرهان وسطوعَ دلالته فما وسعَه إلاَّ أن يعترفَ باليقينِ الصارخ الصادع في البرهان فقال : صدقتَ أبا حنيفة إنَّ للبغلةِ حقيقةً ذاتيةً فأتِ بها ومهما يُكـنَّ الانسانُ من جحودِ الواقع اليقيني فإنه يعودُ اليه متى تمثل له البرهان الصارخ ..

ولولاَ إنكشافُ عِلمِ الله الماثلِ في الكائنات المبنية بموجبه وبأصوله وقواعده لما اكتشفتْ كلُّ هذه العلوم الكونية وزهتُ الحضارة وتقدمت .

بل لوْلا انكشافُ علمِ الله المبثوتِ في الكائناتِ لَـمَا كنتَ شاهدتَ مرافع الحضارة بلغتْ هذا المدَى الواسع .

فكرْ في هذَا العِلمِ الآلهي الذي كُوّنْت أُذنُ الخفَّاشِ بموجبه لَـمّا طُبق مِن الوُجْهة العلمية الحضارية في إيجادِ أُذُنٍ حَسّاسةٍ للحضارةِ تُسمعُ البعيد الخفيَّ من الأصواتِ وتنبه عليه اكتشفوا الرادار...

وقل مثلَ ذلك عن ملايين المكتشفات ولو استْطاعَ العلمُ أن يَـكتشفُ أعمالَ الطاقة النباتية وقُدْرتِـهَا في امتصاص حرارة الشمسِ ، وكيفيةِ تخزِينِـهَا في خلاياها لا ستْطاع أن يكتشف على غرارها « الشُّموسِية » آله تصنعُ صنعَ الشجر يمتص حرارةَ الشمس ويخزنها للافادة من شأنَ الرَّادَار.

واستنباطُ علوم الحضارةِ وآلاتِها ووسائِلها من علم اللهِ المنبه بموجبه الأكوان هو لُججٌ وراء لُججٍ لا نهايةَ لـهَا ..

وصفوةُ القولِ إنَّ علّم الذرةِ مأخوذٌ من تكوين الذرةِ نفسِهَا . وعلم الفلك مأخوذ من تكوينِ الفلكِ نفسه وعلم الكهرباء مأخوذ من الكهرباءِ ذاتِـها ، والذي اكـتُشف من العلوم المكنوزة في الكائنات قليلٌ جداً « وما أوتيتمْ من العلمِ الا قليلاً » . والكثيرُ لا يزالُ مكنوزاً فهذهِ العلومَ لا تَدلُّ على الصدفةِ الى لا شيءٍ يُشبهُ الصدفةَ إنما تَدلُّ على الله العليم الخبير والايمانُ نِعْـمَـةٌ ، والكفرُ عذابٌ والنفاقُ فتنة وقلق « إن المنافقينَ فى الدَّرْكِ الأسْفلِ مِـنَ النّار» .

مَحاضَرة الدّعوَة الدّينيَّة وَأُسسها

كلُّ دعوةٍ دينيةٍ يُنادي بها المُنادون جَمَاهِيرَ الأُممَ وأفرادَهَا لإعْتناقِهَا لا بدّ أنْ تقوم على أُسُسٍ ثلاثة ...

١ ـــ الايمانُ باللهِ الخَالقِ العظيـم مُبْدعِ الْعوالِـم ، والمُـهَـيْمنِ عليها ، والمُتصَـرِّفِ فيها .

٢ ـــ الوحيُ المَـنْسوب إلى اللهِ الخالقِ العظيم .

٣ ـــ الرسلُ الّـذينَ تلقُوا الْوعْـيَ وبلّـغُوهُ للنَّاسِ وَدَعوهم إلى الإيمانِ بهِ والتزامهِ والحفاظ عليه ، والذوْدِ عنه .

هذهِ الأسس الثلاثةُ هي التي تقومُ عليها كلُّ دَعوةٍ دينيةٍ لدَى الأممِ . فإن كانَتِ الدعوةُ قائمةً على العلمِ الْيقينيِّ ، ومنَاهجِ الفـكرِ المثقف وبحوثِهِ المحرَرةِ . كانَتْ صحيحةً .

أمَّا إنْ كانتِ الدعوةُ الدينيةُ مُـخْتلِطةً ، أو مَـوْضوعةً ذاتَ ظُنونٍ وَأَوْهامٍ وأسَاطير وَرُؤى وأَحْـلاَم فإنَّها تكونُ فاسدةً ...

وانني هنا في كَلِمَـةِ هذهِ الليلةِ أَعرضُ حـقَـائقَ الدَّعْوةِ الدِّينيةِ الاسلاميةِ في أُسُسِهَا الثلاثة من حيثُ مكانُـهَـا في حقائقِ العلمِ اليقينيِّ ومناهجِ التَفكيرِ الصـحيحِ وأصولِ البحثِ المُـحَـرَّرِ أعرضها مُرَتبةً في أسسها الثلاثة .

« **الأول** » :

الايمانُ بالله الخالق العظيم

رأسُ الدعوةِ الدينيةِ هي الايمانُ باللهِ الخالِـق العظِـيم مُوَحِّدِ هذهِ العوالمِ والمُـهَـيْمِـنِ عليها والمتصرفِ فيهَا : ايجاداً وإعداماً وقدرةً وإرادةً وعِلْماً .

سواء ما ظهر منها وأمْـكَن رؤيتهُ بالمراقبة الحديثةِ ، أو بالعِلم اليَـقينيِّ أو خَفِـيَ في أَسْحَقِ أبعادِ الفضاءِ مما لم تُحِطْ بِـهِ المراقبُ ، ولا يَـعلمُ كنَـه حقيقتِهِ إلاَّ اللهُ مَـكونُـه العظيم .

وهؤلاءِ علماءُ الحضارةِ المحدثونَ يَـكتشفونَ كلَّ يَـوْمٍ مِنْ مجاهلِ عوالمِه الكَثيرَ الكثيرَ وما يزالونَ على رمالِ الشَّاطىءِ كما يُـعْـلنونَ .

وهُنا لاَ بُدَّ مِنَ النَّظرِ في عَقِيدةِ الإيمانِ باللهِ خَالِق الأَكْوانِ إنْ جاءتْ مُسْتَوى عَظَمَةِ خَلْقِ هذه الاكوانِ المترامية السَّحيقةِ بكلِّ عَجَائِبِها ومُدْهشَاتِهَا التي اكتُشِفَتْ والتي لَمْ تُكْشفْ ، فإنَّها تكونُ صَحِيحةً وإنْ جاءتْ سخيفةً هَزِيلةً كالذين يَجْعلونَ خَالِقَها حَيَواناً أَوْ نَبَاتاً أو رُوحاً أو ملاكاً أو جِنّياً أو انْساناً فإنَّها تكونُ مِنْ تَخْرِيفِ الأساطيرِ وأَوْهامِ الكُهَّانِ وترهَّاتِ المهْوُوسِين .

أجلْ إنْ جاءتْ عقائدُ الايمانِ في الْمُسْتَوى الرَّفِيعِ العِلمي اليقيني اللائق باللهِ الخالِق العظِيم ذَاتاً وصفاتاً وأفعالاً كانتْ عِلْميةً يقينيةً حقًّا . وَإنْ جاءتْ بِخلافِ ذلكَ فإنَّها تَكونُ أسطورية وَهْميةً باطلة .

وحينئذٍ يَدلُّ الوَحْيُ المنسوب إلى رَبِّ العالمين على حقيقتهِ لأن كَلامَ ربِّ العالمين الذّي أوجدَ العوالمَ سوَى كلام المُزَيفِينَ المُنْحرفين من ملاحدةٍ ومشركينَ ووثَنِيّينَ . وإنْ كانَ مصدرُ انحرافِ الملاحدةِ وتَزْيِفِهم مِنْ ظُنونِ العلمِ وفروضه رَغم زعم التَّجديد : وإنَ كانَ بخراف الوثنيين والمشركين مِنَ الخرَافَاتِ المندَسَّةِ في كتب الوحي وَمِنَ الْكُفْرِ الصراحِ الْمُدَوَّن فِي كُتُبِ الْملاحدةِ أو في كُتبِ الْمُشْركينَ الوثنيين التي سَطَّرَها الكُهَّانُ وحرَّفُوا ودوَّنُوا ما شاءَ لهُم الهوَى في كُتبِ الوَحْيِ المنزلةِ وكَذلك في كتبِ العلم والْفلسَفَةِ الصَّحيحةِ حَيْثُ بها الملاحدةُ مَا شَاءَ لَهُم الهوَى والكفرُ والانْفلاتُ الْخُلُقِي .

فإنْ رأيتَ دَاعيةً دِينيًّا يَدْعُو النَّاسَ الى عَقِيدتِهِ . وهو يَرْفُض بحْثَ نصوصِها المعتمدةِ بَحْثاً عِلْمياً خَالِصاَ . ويصرُّ أنْ يُزينَها بالإكبارِ وزخرفِ القوْلِ ، وَيُدَعِّمُها بالخَوَارقِ والرؤيَ والأحلام . فاعلمْ أنه أسْطوري غَبيٌّ وجاهلٌ فَدْمٌ أو مُتاجِرٌ خَبِيثٌ حِرْباء يريدُ الاسْتيلاءَ على أموالِ الناسِ وأعراضِهم باسمِ عقيدتهِ المزيفة .

لِذلِكَ يَجبُ على كلِّ إنْسانٍ يُدْعى الى أَيّةِ عقيدةٍ دينيةٍ أو سواها أَنْ يدْرُسهَا دِراسةً علميةً يقينيةً مِنْ قبلِ أن يَسْتهْوِي مجموعتَه النفسيةَ سلطانُها وَيدَينُ بها ..

ويستطيع كلّ انسانٍ أن يفهَم العلمَ مِنَ الْجهلِ والصدقَ مِنَ الكذبِ والحقيقةَ مِنَ الْوهم اذا هو بحثَ قبلَ كلّ شيءٍ في صحةِ رأسِ الإيمانِ والعقيدةِ والدين أيْ صِحَّةَ الإيمانِ بالله الخالِق العظيم .

أجلْ يَجبُ بَحْثُ صِحَّةِ عقيدةِ الايمانِ باللهِ الخالِق العظيمِ بَحْثاً علمياً يقينياً حُرًّا بِوَعْيٍ وَحذَرٍ وانتباه ..

وإنْ لم يفعلِ البشرُ ذلك وقعُوا في مهالِكَ الوثنيةِ والاشراكِ والأساطيرِ وترهاتِ الخوارقِ ومفتريات الوَضْعِ الدينيِّ واسْتغلالِ السذاجة والبسَاطة. أو يقعوا في مهَالِك الالحاد والملحدين وبلاياهم وشذوذَهم وكبائرُ مفاسدهم وغلال أخلاقهم ومؤامراتهم وخياناتهم ضد الايمان العلمي الصحيح الذي جاء به خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ .

ومفاسد الإلحاد والملحدين خدَّاعةٌ غرَّارَةٌ يُداخِلُها استباحةَ الشهوَاتِ وتحليل الحرام وتحريم الحلال والحمدُ لله وجد في عصرنا هؤلاءِ شُبَّان واعونَ جامعيونَ يأبُوْنَ أن يُصْغوا لأية دعوة دينية يُنادِي بِهَا مُنَادُون مَشْبوهونَ في شَتَّى بلادِ العالِم مِنْ قَبْلِ مَعْرفةِ حقيقةِ الايمانِ باللهِ الخالق العظيمِ المعرفةَ العلميةَ اليقينيَةَ الْمُسْتَقاةِ مِنْ يَنْبوعَيْهَا الأساسِيَيْنِ .

١ — يَنبُوع العلم اليقيني لاَ الظني .

٢ — وينبوع الوحي القطعي الواصلْ الينا بالتَّواتِرِ الجَمَاعِي القرآن والسُّنة النبوية القطعية ..

لأن استْقاء الإيمان بالله الخالق العظيم من غيرِ هذَيْن اليَنْبوعيْن يُوقِعُ في مَهاوِي الظنون والأوهامِ والفروض المزَوّرَة على العِلمِ اليقينيّ وعلى حقيقةِ الوحِيِ اليقيني بقسميةِ الكتاب والسنةَ .

وأكبرُ المهاوِي السحيقةِ المهلكة ، وأشدِهَا بلاء واكثرها فَساداً وأخْبثُها مبادىء هي مَهَاوي الإلحاد والوثنيةِ والاشْراك ...

ومهما يَكنْ فإذَا رَحلْتَ إلى أي بلدٍ والتقيْتَ بهؤلاءِ الدُّعاةِ المشبوهينَ فجَادِلْهم بالتي هِيَ أحْسن أيْ بالعِلمِ اليقيني والخُلُقِ الكريمَ وقُلْ لَهُم إنَّ الكلامَ في الْجوانبِ قَبْلَ الْكلامِ في الرأسِ سَذَاجةٌ وغفلةٌ ...!! فإنْ صَدَرَ مِنْ دَاعٍ جَاهِلٍ فهو رُعُونَةٌ وإنْ صَدَر مِنْ دَاعٍ عَالِمٍ فخُبْثٌ وكيدٌ وتمويهٌ .

وإني هُنا في هذهِ المحاضرةِ أدعو الى عقيدةِ الايمانِ باللهِ الخالقِ العظيمِ بِيَقينِ الْوَحْيِ الإلَهي وبيقين العلم الثَّابتْ ...

والنِّداءُ الى الايمان بالله جَلّ جلالُه إنْ لَمْ يَكنْ عِلْمِيًّا يقِينيًّا وَاقِعِيًّا ولَم يكنْ

أَخلاَقِيًّا مخلصاً مُضَحِّياً عالياً وصبراً وسهراً واحْتمالاً فإنَّه لَنْ يُوقِظَ في الشُّبانِ المُثقفينَ المواهبَ الهامدةَ إلى اعْتنَاقِه وطَرْحِ الإلْحاد ...

وليس في الْوجُودِ قَاطِبة أشرفَ ولاَ أعلى ولا أنبلَ ولا أنفعَ مِن الدَّعْوةِ الى الله جل وعز. أَجل إنَّ الدعوةَ الى اللهِ يجبُ أن تكونَ مُنبعثةً مِنْ أعماقِ النفسِ ومهيمنةً على السُّلوكِ وموجهةً الى الإيمان العلمي اليقيني الصحيح بكلِّ الرَّغباتِ والتَّضْحِياتِ واللذَّاتِ المرضِيَّـةِ المقربةِ الى اللهِ : ولا تتحققُ الدعوةُ الى الله ولا تُشْرِقُ في أعلى مناراتها الا إذَا توفَّر فيها أمور ثلاثة .

الأول

أَنْ يكُونَ مَطْلبُ الْجزَاءِ الأَوْفى مِنَ اللهِ وَحْدَهُ ، وإذَا لم يَكنْ مَطْلبُ الجزاءِ من اللهِ وَحْدَهُ جَرَّ الى العطب وَأصْبحتِ الدَّعوةُ مرتبطةً به واذا لم تكنْ كذلك فَسدَ أمرُهَا وأصبحتِ تجَارةً خاسرةً بعيدةً عن التوفيق والسداد . والحقَ باقٍ والبشرُ زائِلون مِنْ الدنيا ومحاسبون فليحذر الملحدون قبلَ زوالِهم وحسابِهمْ .

ورأيت أبعد الدعاةِ عن الإخلاص للدعوةِ والفرار مِنْ تَحملِ المشاق مِنْ أجلها الذين يتقَاضوْن أَمْوال الأوْقاف الوفيرة ولديهم الأموالُ الوفيرة ولا يؤدون حقَّ مَا يتقاضَوْن عليه رَغبةَ في مَا عندَ الله وايثاراً فرضاتِـهِ بالتضحيةِ والمواظبة والسهر والكدح وكم في ذلك من مَجْدٍ وخلود .

الثاني

أن يكونَ الدَّاعي ذاتُه عميقَ الايمانِ الخالقِ ويرىَ في دَعوةِ أخيهِ الانسان نجاةً له من السقوطِ في خُبْثِ الالحادِ أو ظلماتِ الوثنية والاشراك .

أجل يُحِسُّ من أعْماق قلبه بلذةِ التضحياتِ في سبيل الدعوةِ ويكَرّس كلَّ جهودِهِ لانْجاحها لأن الدعوةَ الى الله هي أشرفُ عمل يمارسُه إنسانٌ إنّهُ عملُ رُسُلِ اللهِ العظامِ صلواتُ الله وسلامهُ عليهم ومتَى أحسَّ الداعي بهذِه الروحِ الانسانية العاليةِ استحلى مرارةَ الصَّدِ والرَّدِ والمجادلةِ والمُجَافاة والحرمان واسْتعْذبَ الخشونةَ التي يلقاها الداعي عادةً مِنَ الخلقِ . وبذلك يكونُ الداعي موفقاً في دعوتِهِ ويكون ناجحاً قادراً على كَشفِ حَقائق الايمانِ رَاضياً مُحْتَسِباً مقدماً ما عندَ الله مِنْ أجرٍ على كل أجرٍ سواه .

الثالث

أن يَتزَوّدَ بالعُددِ اللازمةِ للانتصار ، وأن يكونَ عفيفاً مُسْتقيماً مؤمناً عَمَليًّا بمَا يقولُ لأن الناسَ يراقبون الذين نصبوا دعاةً للايمان الحضاري العالي باسم الله مراقبة دقيقة .

واذا تبين لَـهمْ أنَّهم في وَادٍ والدعوة التي وَجْـهُوا للقيام بها في وَادٍ مقتوهم وانصرفوا عنهم ساخطين عليهم وعلى الدعوة بِسَبَبهمْ لِذلك يَجبُ على كل داعٍ أن يَـكونَ في حذر من الذين يراقبونَ سُلوكه ومهما يكنْ فَقِوامُ الدعوة كما يَـكون بالعِلم المنفوقِ والحكمَةِ المؤثّرة يَكون بالأخلاقِ اللَّينة والاحسانِ والصداقةِ والنصيحة الصادقة والارشادِ العِلَميِّ القَيم المؤيد بالبراهين القطعية الصارخة .

« **الثاني** » :

أن يكونَ في بيانِ الوحي المنسوب الى رب العالمين ما يليقُ بجلالِ الله وعلمهِ الشامل بمَا كانَ ويكوَنُ وفيه السمُـو والحكمَة وفيه كلُّ الـمُثلِ العُليَا التي اذَا تلاَها حيالَ الجماهيرِ أحَسُّوا حقيقةً أنهم يَسْمعون كلامَ ربِّ العالمين وشَتَّـان بيَن كلامِ الكُهان المدسوس على كلام رب الكلام . ألف ألف شتان .

أجل شَتَّـانَ بينَ مَصدُرِ النور وبُـؤرةِ الظَّلام وبينَ حقيقةِ الحقِّ وَوَهمُ الباطلِ وبينَ الصدقِ اليقيني والكذب المدخول ...

وكلامُ اللهِ كلَّه رحمةٌ بالخلق وَدَعَـوْتُـهُ لهمْ إلى المحبةِ والتعاطفِ والتَّوادّ .

وكله حَنانٌ وَبِـرٌّ وهدىً وجمعٌ لِلشَّـمْلِ وأَخْـلاقٌ وَعَـدْلٌ واحسَانٌ وانسانيةٌ وتسامحٌ . أما كلامُ الكهانِ فإنه قسوةٌ وفجورٌ وانحرافٌ وَظُـلْم وهُوىً وعنصريةُ وإفسادٌ ودعوةٌ لتمزيق الكلمة ونسبةِ الفساد الى أطهرِ خَـلْقِ الله الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم يَـكفي إنَّ كلاَم اللهِ هو خَـيْـرُ منزلٌ علَى كلِّ الرُّسلِ لكلِّ الخلق سواء ما أنزل على أوائلِ الرسل أو على أواخِرهم . اسْمعوا قولَ الله جل وعز في هذا الأمر .

« إنا أوْحينا إليك كما أوْحينَا الى نُوحٍ والنبيين مِنَ بعدِه وأوحينا الى ابراهيمَ واسْماعيلَ واسحاقَ ويعقوبَ والأَسْباطِ وعيسَى وأيوبَ ويونسَ وهَارونَ وسليمان وآتيْـنَا دَاودَ زَبوراً ، وَرُسُلاً قَـدْ قَصَصْناهُـمْ عليكَ مِنْ قبل ورسلاً لَـمْ نَـقْصصهمْ عليكَ وكلّم الله مُوسى تكليماً ، رُسُلاً

مُبَشرِينَ وَمُنْذرينَ لِئَلاَّ يكونَ للناسِ على اللهِ حجةٌ بعد الرسلِ وكان اللهُ عَزيزاً حكيماً»
٤ — ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ .

« الثالث » : رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم

لا ريبَ أن هؤلاءِ الرسل اختارهم اللهُ مِنْ بينِ خَلْقِهِ لأَدَاء رسالتِه والقيامِ بالدعوةِ الى الايمانِ به ، وهذا أشرفُ عَمَلٍ يقومُ به الانسانُ تجاهَ ربِّ العالمين وخالِق الخلق أجْمعَين .

أجلْ لا ريبَ أنَّ هؤلاء الرسل اختارهم اللهُ وهلْ يختارُ اللهُ المولى الكريم الا صَفْوة خَلقهِ وأصلحهم واسْاهم ملةً وإيماناً وحكمةً وحقاً .. أَمَا قولَ اللهُ سبحانه وتعالى : (اللهُ أعلمُ حيث يجعلُ رسالَته) .

وصفاتُ هؤلاءِ الرسلِ صفاتٌ إنسانيةٌ عاليةٌ وبالاجمال هم أبرارٌ أطهارٌ صَادقون أُمناءُ ومعصومونَ عن المآثِم صغارِها وكبارِهَا ومن الكفر الصراح نسبة الفواحشِ الى رُسُلِ الله الكرام كَما هو مُدوَّنٌ في كتب منسوبة الى اللهِ تجدُها في العهدِ القديم مدونة ، حاشَا أَنْ يَكونَ رسلُ الله بتلك المَثابَةِ الكَريهةِ ... المدونةِ في تلك الكتب .. حسبهم الله .

أجلْ انه من الظُّلم الفاحشِ والخُبُثِ اللعين نِسْبةُ الفواحشِ الى رُسُلِ الله . كيف يكونُ رُسلُ اللهِ مَصْدرَ الفسادِ ، وهم مَصْدرُ الهداية والاسْتقامةِ والضراعةِ الى رب العالمين . واذَا كان اللهُ عز وجل يأمرُ نبيه الكريم وخاتم رسله محمد ﷺ أن يقتدي بِهُدىَ أنبيائِه ورسلهِ فما بالُنَا نحن ..؟!! والآن اختمُ هذه المحاضَرةِ بما فَضَّل اللهُ رُسُلَه الكرامَ وبمَا مَجَّدهم به في وحيهِ المنزلِ . قال اللهُ تعالى «وتلكَ حُجتُنَا آتيناهَا ابراهيمَ على قَوْمِهِ نرفعُ درجاتٍ مَنْ نشاءُ إنَّ ربَّكَ حكيمٌ عليم ، ووهبْنَا له إسْحاقَ ويعقوبَ كلا هَدَيْنا ونوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ومِن ذريتهِ داوُود وسليمَانَ وأيوبَ ويوسفَ وموسى وهارون وكذلك نَجْزي المحسنينَ ، وزكريَّا وَعِيسى وإلْيَاس كلٌّ مِنْ الصَّالحينَ ، واسْاعِيلَ والْيَسَعَ ويونسَ ، ولوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنا علىَ العَالمينَ ، ومِن آبائِهمْ وذُرِيَّاتِهمْ واخوانهم واجْتبيْنَاهمْ وهدَيْناهُمْ الى صِراطٍ مستقيم ذلك هُدَى الله يَهْدي به من يشاءُ مِنْ عبادِه ولو أشْركُوا لَحبَطَ عنهمْ ما كانُوا يَعْملونَ اولئك الذِّينَ اتيناهم الكتابَ والحُكمَ والنبوةَ فإنْ يَكفرُ بها هؤلاءِ فقدْ وَكَّلْنا بهَا قوماً لَيْسُوا بِهَا بكافرينَ أولئك

الَّذِينَ هَدَىَ اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أسئلكمْ عليه أجراً إنْ هُوَ إلاَّ ذكرَى لِلعَالمين»
٦٠ — ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٩ و ٩٠

وَفي النهاية مَنْ كانَ له سؤالٌ فليُعلنه . والله لا يضيعُ أجْر مَنْ أحسن عملاً .

وأحب أن يكف الذين يتكلّمون عن وحي الله القرآن المجيد بغير علم . كلاماً لا يصدر الا مِنْ جَاهِلٍ تكلم ضد العلم والحق والانسانية .. وهذا ينافي الحضارة والانسانية والتجدد والعلم . ولتذكروا أبداً قول الله عز وجل «ولا تقِفُ ما لَيْسَ لك به عِلمٌ انّ السمعَ والبصرَ والفؤاد كل أولئك كانَ عنه مسؤولا » ١٧ — ٣٦ .

والفؤاد يطلق على القلب والعقل .

معجزات القرآن المدخرة للمستقبل

إنَّ أيسرَ دِراسةٍ لآياتِ القرآن المجيدِ وأقلَّ إطّلاعٍ على دلائلِ آياتهِ تَلْمِسُك معجزاتِ الآياتِ المدخرةِ لمستقبلِ الأجْيالِ القادمةِ الى يوم القيامة ..

والسببَ أن القرآنَ المجيدَ هو خاتم الكُتُب السَّماوية وأنه مُنْزلٌ لِهدايةِ البشر كافَّة الى حَقيقةِ الايمان باللهِ الخالِق العظيم والسّموِّ بهِ الى أرفع محاريب الوحي المنزل القرآن المجيدَ .

وكان من المحال أن لا يَجعَل اللهُ فيه دلائلَ صارخةً بخوارِق المعجزاتِ في صميم آيتهِ لأجلِ إيمان الأجيالِ المقبلة المُتتابعة في هذهِ الحياة الدنيا حتى النهاية ..

والسبَّبُ أن القرآنَ المجيدَ أُنزلَ معجزةً صارخةً دَاعِمةً صدقَّ رسالةِ سَيدِّنا محمدٍ ﷺ يتحدي البراهين على تَتابعِ الأجْيالِ والناسُ كلُّهم لَيْسُوا عرباً بلغاءَ حتى يَكونَ في اقتدارِهمْ دراسةَ القرآنِ المجيد . الدراسةَ العلميةَ الكاشفةِ لِخَفَايَا معجزاتهِ المدَّخرة لِلأجيالِ المقبلةِ لكي يَكونَ لهمْ بَراهين علمية يقينيةُ مُثْبِتَةَ صِدْقِ رسالةِ سيدنا محمد ﷺ إثباتاً قطعياً حاسِماً .

والبشرُ ولو لم يَكونوا عَرباً فإنَّ ترجمة معجزاتِ القرآن العلمية المدخرة للمستقبل تجعلُهمْ بمنزل العرب المطلعين على مدهشاته المعجزة المتحدية وإنَّ في ذلكَ حجة للغاية .

أجل تكفي العقولَ الحرةَ العالمةَ المفكرةَ الأمينةَ البراهين العِلْميَّة المترجمة بأمانةٍ وصدق وقلتُ وأنا اتحدث ، الطلاب — إن كنتمْ تريدونَ خِدْمةَ القرآن المجيدِ حقاً .. فاسْتظْهِرُوهُ وتعمقوا في فَهْم تأويلِ اياته والإحاطةِ بما تشتملُ عليه مِنْ معجزاتِ بَيّناتٍ ثمَّ اتقنوا أيةَ لغةٍ من اللغاتِ وتَرْجمُوا مَا عَلِمْتموهُ مِنْ دَلائلِ معجزات القرآن المجيد إليها بأسْلوبٍ أدبي علمي أخاذ بسحرِ البيان الحلال .

إنْ فَعلتُمْ ذلك نِلْتمْ رِضْوانَ اللهِ تعالى ومجدَ الخلودِ . وهنا قَالَ أحدُ التلامذةِ هَلاَّ ضربتَ لنا مثلاً شَاهداً لِمُعْجزاتِ القرآن المدخرة للمستقبل .

قلتُ هذا مَا أريدُ الحديثَ عنه لكمْ ، ومَا أكثرَ مُعْجزَاتِ القرآن المدخرة للأجيال المقبلة .

الا تذكرون أنه قد مر بكم في درسِ سَلَفَ في تأويلِ سورة المرسلاتِ آيةُ «ألمْ نَجعلِ الأرضَ كِفاتاً أحياءً وأمواتاً» .

وسلفَ أن سأل أحدكم كَيف تَكونُ الأرض كافتةً للحيِّ وهو يَغْدُو ويروحُ ويطيرُ ولَكنْ

الكفتُ والضمُّ والجذبُ ظاهرٌ في الميتِ حيثُ يَتَحَقَّقُ الكفت في القبر : وسلفَ أن أثبتُ أنَّ هذا هو موطنُ الإعجاز المدخر لعَصرنَا ، ألا تَرى أنَّ التعجبَ الذي كانَ وارِداً قبلَ اكتشافِ الجاذبية بقولنا كيفَ تكونُ الأرضُ كافتةً للأحياء وهم يروحون ويغدون ويحلقون في الهواء : الآن بطل هذا التعجبُ بمعْرفةِ عِلم الجاذبية وأسرارها .

وحينئذ تَكونُ الآيةُ مشتملةٌ على مُعجزةٍ مُدَّخرةٍ لعصرنا وللعصورِ التي تَلي عَصْرنَا . والقرآن المجيد حافلٌ بهذا اللونِ من معجزات الغد . ولا حاجة الى الاقحام والاقحام جهل وزلزلة في العقيدة حتى ولوكان بحسن نية .

وتعريف الاقحام هو أن نحشرَ في نص معنىً أجنبياً بعيداً عن المعنى الأصيل . يُقحمُ في هواتفِ الإعجاز ليكونَ آيةَ اعجازٍ وَتحدٍّ للقرآنِ للأجْيَال وهو لَونٌ مِنْ الافتراءِ على اللهِ جل وعز . هذا اذا كانتِ النية خيرةً واذا كانَتْ شريرةً يقحم لكي يكون مدخلا . للطعن على آيات القرآن . لأن الدارس الأجنبي إذا أطلع بعد احسان اللغة العربية ولم يجد سوى الاقحام والاقحامُ في أعلى إرادتهِ إفلاسٌ وآياتُ اللهِ . والحمدُ للهِ نحن في غنى عن مِثلِ ذلك وهنا أعلن إنَّ الاقحامَ إجرام في كلا أمْر به سوءِ النيةِ وحُسنها لأنه افتراء في افتراء .. والله جل وعز لعن المفترين .

لا لا إن آياتِ القرآن المجيدِ تنص أن القرآن مدخر فيه معجزات وفيرة للمستقبل منها عرف ومنها لم يعرف تأمل قولَه تعالى « فقد كَذَّبوا بالحقِّ لما جاءَهم فسوفَ تأتيهم أنباء ما كانُوا به يستهزؤون » ٦ — ٥ .

الا تجد أن اللهَ يعلن أَن انباءً من الحقِ ستأتي وتكونُ حجةً علميةً رَاغمةً لألآف المستهزئين الذين سارعُوا وَكذبُّوا بالحقِّ المنزلِ من اللهِ في الكتاب من قبل الدراسة والبّين ..

وكان رسولُ اللهِ تكادُ نفسه تذهب حسراتٍ مِنْ أجلِ تكذيبها بينات القرآن المجيد ، وهي الحق الصراد الصارد ...

واراد الله أن يُطمئنَ قلب رسوله الكريم بآيات العلم والغيْب المدخرين للمستقبل وأن يفهم أن معجزات القرآن التي يكذبونها سوف تأتيهم لأن لكل نباءٍ مستقراً ينتهي إليه أجل تأمل قوله تعالى « وكذب به قومكَ وهو الحقّ قُلْ لستُ عليكم بوكيلٍ لِكلِّ نبإٍ مُسْتقرٌ فسوفَ تعلمون » ٦ — ٦٧ .

طَاقة الشمس وجزيرة العرب

كنت وأنا طالب في الجامعة الأزهرية أَسْمع علماءَه المُحَدِّثين ، يذكرون قولَ رسول الله ﷺ . (لا تقُوم الساعة حتى تعودَ جزيرةُ العرب مروجاً وأنهاراً) .

وكان العجبُ العُجاب يأخذني ، لا من أن جزيرة العرب كانت مروجاً وأنهاراً ، ومدناً وقرىً وأَرْيافاً خِصبةً خضراء في الأزمان الغابرة . لأن ذلك صارخ في ثلاثةِ شواهد .

١ — في وَحْي الله ، وكفى بوحي الله يقين برهَان على قدم خِصب جزيرة العرب ، وعمرانها الْمزْدَهِر الممتد الى قرىَ الشام المباركة في الحقب الخالية فسورة سبأ فيها الكفاية ، عُـدْ إليها وتدبرُها ، وأطلْ وقوفك لديها وبالأحرى عند قوله تعالى في الآية الكريمة (وجعلْنا بيْنَهم ، وبينَ القرى التي باركنا فيها ، قرىً ظاهرةً ، وقدْرنَا فيها السيرَ سيرُوا فيها ليالي وأياما آمنين) ١٨ — ٣٤ فالقرى التي باركها الله هي قرىَ الشام والقرى الظاهرة ، هي قرى جزيرة المتقاربة والسير المقدر بالأمْيال والفراسخ أياماً وليالي هو آية سعةِ عمران جزيرة العرب وازدهَار حضارتها ، ولفظة آمنين تدل على وُجود الدولةِ القوية القادرة على فرص الأمْن على انفساخ ممتلكاتها ...

والحديثُ الشريفُ نفسُه كَما يدلُّ على خصبها الآتي يدلُّ على خصبها الماضي القديم .... وفي القرآن المجيد نصوص جمة حول ماضي جزيرة العرب العمراني الخصيب ، وقد وجدَ علماءُ الآثار اعجازَ مدلولاتِها في أطلال الآثار الشاخصة ، وحفرياتها الدفينة المكتشفة ، والتي لَما تكتشفْ ولا شَيء أدل على قِدَمِ خِصبِ الجزيرة العربية الأخضر الفينانِ الرَّيانِ من النفطِ نفسِه المدخور في أعماقها .

أما كان بالأمس البعيد في علم الواقع الجيولوجي ، حدائق غناء ، وغابات شجراء ، ومروجا مزدهرة ومراعي خصبة طافحة ببوادنِ المواشي ، وشتى أنواع الحيوان . التي طواها الأمس البعيد في أعماقها ، لتعود اليوم أنضرَ مما كانت وأسطع وأبهج ، « ذلك تقديرُ العزيز العليم » ...

٢ — وصارخ في ما ألف المؤلفون ، وكتب الأثريون ، ونَقبَّ المنقبونَ . حول ما كانتْ عليه جزيرةُ العرب في غابر الازمان السحيقة ذات نضرة في الوديان ، وبسطةٍ في العمران وغَـزَّةٍ في الملك ، وزينةٍ في الحضارة ، وبهجة في العيشِ ، وسُموٍ في الخَلق وغزَارةٍ في العلم ، وتفوقٍ في الأدب . ولعلك تحسب العلماء الذين عُنوا بوصفِ عِمران المدن التائهة في مجاهل الجزيرة

العربية ، وفي أوديتها القَصِيةِ ، ولجج رمالَ ربْعِهَا الخالي . والعلماء الذين فصلوا ما كانت جزيرةُ العرب من ترني في الزينة وأسراف البذخ ، ومن غرائب مبدعات الفن في نحت صروحها في صميم جبالها ، وفي إطلالها الشاخصة ، قد مسها سحر الأساطير ، وأفانين عبقرياتها ، وبدع زخارفها ..

أجل تكاد تحسب ذلك لو لم يكن كتابُـهَا همْ ذواتَ روَّادِها المكتشفين والمنقبين . وهم على ناصية الاكتشافِ ، ولمَّا يتوغلوا ... والاكتشافُ المطرد يَكشف واقعَ ذلك من يومٍ الى يوم . وها هي الدولة السعودية العربية العريقة — ما رعاها الله — قد انتدبت أعمق علماء الأرض — وأقدرهم على اكتشاف حقائق التاريخ وخبايا الأثار ونبش دفائن الكنوز . وسط كل ذلك للإنسانية المهذبة العالمة في موسوعة حديثة بعيدة عن هوش العنصرية اللعينة ، واحقادها السوداء وخبث مواءمراتها وتربصاتها .

وهذه الموسوعة ستكون الدفعة الأولى من ينبوع طافح يتفجر بحقائق العلم تفجيراً . ويكون على أثرها دفقات موسوعات إثر دفعات موسوعات ، كلها كنوز علم مرصودة للأجيال .. وها نحن أولاء في طليعة عهد دائع كله وقيد جد واقتدار لإعادة جزيرة العرب الى ما كانت عليه ولا عجب في ذلك إنما العجب أن لا يعود ذلك لأنه من لباء الوحي اليقيني وإنما الوحي اليقيني لن تتخلف أبداً .

وهكذا كنت — وأنا في معركة طلب العلم — أفكر في الطريقة التي يمكن أن تعود بها الجزيرة العربية الى مروج وأنهار تفكيراً مقترنا بحتمية الإيمان بالعودة .

وان كنت أعلم ما أعلم من جفافها ومن قلة مائها وندرة آبارها الغزيرة وعيونها الجارية . لأني من ابنائها ...

وما أزال أذكر أنا وفدنا مرة الى جدة من المدينة المنورة وقد جهدنا في الطريق وخفنا وظمئنا .. فلما شاهدت (الكنداسة) لأول مرة والماء ينصب والسقاة يحملون رفاتهم (١) على عيدانهم متتابعين في زحام وجلبة خفق قلبي بالطمأنينة وتصورت نفسي حيال شلال عرم .. ورويت حتى نضح الماء من اظفاري بعد جفاف الطريق ونضوب مائه .

هذه الذكريات الظامئة هي التي جعلتني أفكر في كيفية العودة وأقول موقنا (لا مستحيل على الله جل جلاله قد يفجر من جبال جزيرتنا الينابيع ويجري من خلالها الانهار أما كنا نقول الى عهد قريب ..

---

(١) جمع رفة من رف الطائر بسط جناحيه ومثله حامل صفحتي الماء على عودة الوزيلة مراة تحصر حرارة الشمس وتعكسها وتوجهها وزائل

أي الحيوانات التي سيخلقها الله ، لتحمل اثقالنا الى بلد لم نكن لنبلغه الا بشق الانفس بدلا من الابل والخيل والبغال والحمير . حين نتلو قول الله عز وجل (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) ١٦ — ٨ .

ولكن لما هدى الله العقل البشري الى صنع وسائل النقل الحديثة من قاطرات وسيارات وطائرات وسواها ، فهمنا مدلول الآية الكريمة وانكشاف سر اعجازها المدخر ... وفي هذا العصر استدار الفلك وأصبحت جزيرة العرب على قاب قوسين من تحقيق نبأ رسول الله ﷺ لأن فحول العلماء المخترعين في كل بلد ، أخذوا يدرسون باهتمام بالغ الوسائل العلمية التي بها يفيدون من طاقة الشمس الحرارية في التنمية الحضارية المتطورة عين افادتهم من الكهرباء جمعا وتخزينا وتصنيعا ..

ويتم ذلك اذا وصلوا الى اكتشاف (الوزائل) الحديثة التي يمكن أن تجمع أكبر كمية من طاقة الشمس الحرارية المتفرقة جمعاً حاصراً لها وخازناً وقادراً على توجيهها لناحسة بعينها ولغاية بعينها وحجزها لمدة بعينها . وعندئذ يحول الماء الى طاقة بخارية وطاقة البخار هائلة جداً . أما تشاهدها تمخر بأطواد البواخر في لجج البحار ، وتسابق البرق وهي تسوق أكبر القاطرات وتدمر بأصابعها أضخم المكنات في قوة الأعصار ودورانه ... والإفادة الكبرى من طاقة الشمس تكون في مواطن قوتها الكبرى كجزيرة العرب وبالحرى تجد لعلوها . وكل البلاد الواقعة في خط الاستواء وتقام على شواطىء البحر الاحمر عمائر (المشمسات)[١]

ومهما يكن فالطاقة البخارية لا يمكن أن يستهان بها في الصعود الحضارى المتطور الصاعد يكفي أنها يمكن تحويلها الى كهرباء بواسطة المولدات الديناكية التي تدار بواسطة البخار أبان تحليقه الصناعية .

والحمد لله فقد ظهرت بوادر الإفادة الجادة من حرارة الشمس المتطايرة في العوالم بقوة هائلة كبرى قبل أن تنتهي طاقة النفط في يوم ويهلك العالم أو يتصدع .

أجل ظهرت لدى بعض الدول المتحضرة بصورة رائعة قوية في هذه العمائر الضخمة التي تقام لذلك . حتى في البلاد الخصبة الوفيرة المياه للإفادة التجارية ولتخزينها وعرضها في الأسواق كما تعرض بطاريات الكهرباء .

وها نحن أولاء نشاهد العلماء الشمسيين المتفوقين النوابغ يتكاثرون وأقبل عليهم الطلاب من

(١) المشمسة هي عمارة مصنعة بالوزائل التي تعكس حرارة الشمس للإفادة منها في تحويل ماء البحر الى بخار .. اذا حصر في بركة مصنعة خاصة كذلك .

كل البلاد للدراسة والتخصص وتحصيل معارفها الحديثة التي تربوا يوماً فيوماً ولكي يطبقوها في أوطانهم اذ اعادوا إليها وينهضوا بها .

وكنت قرأت أن جزيرة العرب هي من لب المواطن لتخزين الطاقة الشمسية وعاصمتنا الرياض وهي أعلى مكان صالح لإقامة عمائر التناول من طاقة الشمس جميعاً وتخزيناً وتصنيعاً .. وكأني أشاهد قادة نهضتنا في متعة بالغة وهم يشاهدون ما تحقق على أيديهم مما فكروا فيه أمس فأتموا تشيد عمائر المشمسات على ضفاف البحيرات الصناعية وعلى شواطىء البحر الأحمر وقد حشدوا فيها فحول العلماء الشمسيين المخترعين فاجروا مياهها المقطرة العذبة انهاراً غزيرة الى كل فيافي جزيرتنا العربية القاحلة فاستحالت مروجاً خضراء وحدائق غناء وربوات شجراء .

وحينئذ يبصر الناس جميعاً عياناً ما أخبر به ابن الجزيرة البار نبينا محمد — ﷺ — بعد ما كانوا يسمعونه بياناً ...

ومهما يكن فالدول كافة لو لم تجند كل عزائم قادتها المفكرين وكل عبقريات المخترعين لتحقيق الإفادة السريعة من طاقة الشمس الحرارية المبعثرة أفادة مماثلة لطاقتي البخار والكهرباء فان انفاذ طاقة النفط من الأرض يفض على وجودها الحضاري ويسكنه الزمهرير وتجليد الحرارة . وهذه دولتنا السعودية الرشيدة ، وعلى رأسها الملك المفدي المحبوب خالد بن عبد العزيز قد افتتح مؤسسة الملك فيصل الخيرية ، فكانَ فاتحةَ أعمالها دعم مؤسسة الدرعية للإفادةِ من طاقةِ الشمس الحرارية وإرسالِ نوابغ طلاب العلوم الحديثة للتخصص في علوم الطاقة الشمسية .

ومهما يَكنْ فإني أعتقد أنَّ البهجةَ التي أحسستُها أمس ، وأنا أشاهدُ الماءَ الذي تخيلتُه دفّاقا من كَنداسة جُدة القديمة على ضآلته لا يُعد شيئاً بالنسبةِ لما كانَ في فاتِحة هذِه النهضةِ وما يَكونُ يوم يتمُّ تشيد العمائر الشمسية ويومه آتٍ قريب .

وأحسب المواطنين العالمين ، في ذلك اليوم العظيم لأبدّ أن يَنْهضُوا لتجميدِ تضحيات ابطالِ هذه النهضةِ وتَكريم أنجمها .

وَلاَ يرتابُ أحدٌ في أنَّ أولَ أوائل أبطالها الْمحاصرين ونجمُ أنجمها الذي بتضحياته تحققت النهضةُ الحديثةُ قلب جزيرة العرب البطل الذي بُقر بطنه في احد معاركه لجمع الكلمةِ وتوحيدِ الصفوف فشدَّها بحزام وظل يكافحُ حتى أحرز النصرَ...

ذلك هو صَقرُ الجزيرة القن الملك عبد العزيز آل سعود فيا له من صقر أظلَّ الجزيرةَ بجناحيه من إيمانٍ ومودةٍ يقظةٍ ، ووحدة وُقوةٍ وتفاهمِ صِدْقٍ وذكاءِ عِلْمٍ وسؤددَ إسلامٍ ألاّ إنه البطلُ الذي تمجدُه الأجيالُ الحديثةُ الذي تستمتعُ بنعمةِ الوِحدة والعلم والأدبِ والأمنِ والايمانِ ومن أجلِ ذلك ذكراه ستظل على أفواهِها ترنمةَ فجرِ وكلمةَ شكرِ وحمداً لله الذي تفضلَ النعمةِ بعبادِهِ على يديه رحمه الله رحمه الله .

تحدّيات معجزات القرآن الكريم

١ — كم أتمنى أن تكشف حقائق العلم الذي تم بموجبه تكوين الكائنات المادية والطاقية العاقلة وسِواهَا .

٢ — كم أتمنى أن يطلع البشر كل البشر على وقائع تاريخ الامم وافرادها كما حصلت بالذات منذ بداية أحوال الانسان الفطري الى نهاية الانسان الحضاري الحديث . المحلق بمكوكه بين كواكب السماء .

٣ — كم أتمنى أن تتجلى كيفية بداية تكوين الكائنات وكيفية نهاياتها وما صحب ذلك وما يكون وراء ذلك .

٤ — كم أتمنى أن تنكشف عوالم الطاقات كافة العاقلة وغير العاقلة ، والملهمة وغير الملهمة وسننها الظاهرة وسننها الخفية .

٥ — كم أتمنى أن يعلم البشر جميعاً حقائق الوحي الإلهي كما بلغه الأمين جبريل الى رسل الله كافة دون تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقصان .

٦ — كم أتمنى أن يختَرِعَ المُـخْـتَرِعونَ آلاتٍ تفصلُ لُججَ الأصواتِ المتشابَكةِ المتداخلةِ في أَبْعادِ الفضاءِ وتفرز كلَّ صَوْتٍ وتعزوه الى صَاحِبه دونَ اختلاطٍ وتداخلٍ وغمغمةٍ وجَـمْجمةٍ . وحينئذ نَسْمعُ أصوات الشعراء والخطباء والكاتبين نصوص الكتب المقدسة تسمعها دون زيادة أو نقصان .

وحينئذ نلمس أضافات الدساسين ومفتريات المؤلهين ودس الأساطير والوثنيات والشرك في كلمات الله ، لمس الحواس الخمس .

٧ — وكم أتمنى أن يتطورَ صنعُ المكوك الفضائِي حتى تبلغَ سرعتُه سرعةَ الضوءِ أي ستة وثمانين ، ومائة ألف مِيل في الثانية الواحدة .

وأن يكبرَ حجمُه حتى يضارعَ المنطادَ ليطوفَ حول أنجم المجراتِ بأكبر عددٍ مِن الرواد .

هذه أمنياتي بكل أشواقي ولهفاتي لعلماء الأجيال المقبلة الأمينة على حقائق العلم اليقيني واذا لذلكم أن تسألوني لماذَا كانتْ هاتيَكم الامنياتُ هي كلُ أشواقي ولهفاتي كان جوابي برهانهُ صارخٌ مِنْ عماقِ ضَميرِ الكونِ ومتفجرٌ مِنْ ينابيع وحْيِ الله المعجزِ المتحدي وصدى لشرف العلم

في مجال مجموعتي النفسية . لأنَّ بذورَ أغراسِ العلمِ اليقيني منثورةٌ في خصوبةِ وَحْيِ الله القرآن المجيد فيقينُه يقينُها واذَا التقيا تفتحتْ ورودُ المعرفةِ بنضارتها وأطيافِها وثمراتِها الناضجةِ وأضوائِـها الباهرة . والالتقاء يكون بِعَمل العلماءِ الأمناءِ على الجهاد في كشف حقائق المعرفة .

لذلك كانت أمنياتي هذه هي ذات أمنيات العلماء في كل عصر ومصر. ناهيك بعلماء الحضارة الحديثة ، فهم يلتهبون أشواقاً ودراسات وتأملات من أجل كشف الأمنيات التي بدأت بها كلمتي هذه .

ألا إنَّ كشفَ حقائق المعرفة اليقينية في حضارتها الحديثة الراقية ، كَشفٌ حتميٌّ لِتَحدِّيات معجزاتِ القرآن المجيد .

كما إنها أمنيات علمائنا المؤمنين بخاتم الكتب السماوية القرآن المجيد ، أن يكشف الله لعلماء الحضارة الحديثة مغاليق علوم الكائنات المنورة فيها .

والسبب أن علماءها المؤمنين متأكدون أن العلماء الآخرين لما يكشف لهم بعد تحديات معجزات القرآن العلمية . اذا كشف لهم ذلك حتماً يؤمنون لأن العالم الأمين المتحرر اذا عرف الحقيقة أعلنها وآمن بها وجاهد من أجلها وضحى . والواقع أنَّ معارفَ تحديات معجزات القرآن المجيد ما تزال بكراً بكراً لم تفتح كلُّ أغلاقِها . والعلماءُ ما يزالون مستغرقينَ خشوعاً حيالَ شواطىءِ بحارِهَا العميقة ذوات اللجج ..

وأحسبك يأخذك الطرب والأسى

١ ـــ الطرب حيال تحديات أعجاز القرآن المجيد الذي يزداد قوة وعزة وانتصاراً وجدة . كلما ازداد العلم قوة وعزة وانتصاراً وجدة فالعلم هو النور الذي يريك الكوكب الذري وهاجا في بحر الظلمات . أي يريك القرآن ساطعاً على عرش الأعجاز فوق أَعْلى منارات الحقيقة على الإطلاق .

٢ ـــ والأسى حيال العلماء الآخرين الذين يسارعون فيعرضون عن الإيمان بخاتم الكتب السماوية شأن الاغبياء المقلدين الامعات المهاويس . وذلك قبل الدراسة والتبين .

ومهما يكن فانصرافهم عن الايمان مع تحديات معجزات القرآن الساطعة الصارخة أن هو الا عصبية لعنصرياتهم وغواية لإنقاذ مكايدهم ، وكفر برسالة أرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم. وحرب لله رب العالمين وخاتم رسله محمد ﷺ . ومحارب الله حتما مهزوم شر انهزام أما آيات الله فستظل في كل عصر ومصر معلنة غلابة منصورة . وها هي عاقبة المكذبين مشاهدة في مهالكهم ورمم جثثهم .

«فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنَتْهَا أنفسُهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين» ٢٧ — ١٤ .

وهنا أعرض الأسباب الحقيقية التي صرفت فريقاً من علماء البشر عن الإقبال على دراسة معجزات خاتم كتب الوحي المتحدي . وهيَ أسباب عدة وإليك مجملها .

السبب الأول

انهم درسوا كتبهم الدينية المقدسة فوجدوا حشوها الاساطير والترهات وخرافات الوثنية والإشراك فحسبوا أن كتب الاديان المقدسة من هذا القبيل فاعرضوا عنها جملة. وهذا الاعراض جناية ومسؤوليته العلمية كبيرة جداً . لأنه إعراض عن وحي الله العلمي اليقيني فالإعراض عنه قبل الدرس مسؤلية خطيرة ، وجريمة منكرة .

السبب الثاني

الالحاد : والْعَالمُ الملحد الذي لا يؤمن بوجود الله رب العالمين فكيف نريدُ مِنْه أن يؤمن بأن خاتم الكتب السماوية هو كلام رب العالمين . لا بد من تقديم برهان وجود الله أولاً .

ولله في هذه العوالم كتابان دالان على حقائق وجوده جل جلاله كتاب الكائنات وهي صارخة دالة عليه وكتاب الوحي المعجز وهو صارخ دال على وجوده وزيادة على ذلك دال على صدق رسالة خاتم رسل الله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

والالحاد ظلام حالك مسدل على مجموعة نفس الملحد فلا يجعله يبصر حقائق العلم اليقيني المشتمل على أسرار تكوين العوالم فيؤمن بأن الله هو مكونها بعلمه وقدرته وارادته .

وكذلك لا يجعله يبصر حقائق العلم اليقيني المشتمل على إعجازِ القرآن المتحدي . ومتى عَميَ العقلُ الانساني عن مشاهدة أضواء هاتين الحقيقتين فلا يرجى منه إيمان يقيني علمي بوحي الله القرآن المجيد .

السبب الثالث

اقتصار البحث العلمي على ظواهر الاشياء ومتى وقف العقل العلمي البحاث على دراسة ظواهر الأشياء فكيف يمكن أن يهتدي الى كشف خفايا المعجزاتِ المكنوزة في آيات القرآن المجيد . أو المكنوزة في حقائق أفراد الكائنات الا ترى أن العلماء لو لم يتابعوا دراسة حقائق

انفلات الذرة لما اهتدوا الى خفاياها ولو لم يهتدوا الى خفاياها لما علمنا أنها تشتمل على اجزاء وان كل جزء هو أصغر من الذرة .. بل لما ظهر أعجاز القرآن القطعي ، وظهر أن الذرة في موازين مثاقيل العلم .. لها ما هو أصغر منها كما جاء في وحي الله « مثقال ذرة أو أصغر منها » كما تحقق بطلان قول فلاسفةِ اليونان القدماء أن الذرة هي أصغر ما في الوجود المادي وأنها الجزء الذي لا يتجزأ .

إذن فالسبب في جحود أن القرآن المجيد هو كلام رب العالمين وأنه غير مشتمل على دلائل علمية يقينية تكشف لعقل الانسان أنه كلام رب العالمين . هو انصراف العلماء العباقرة من الاجانب عن متابعة دراسة معجزات بصدق وإخلاص والعلماء الذين ينصرفون عن كشف المعجزات المتحديات في آيات القرآن المجيد قلما يؤمنون . أما الاستماع الى تلاوة آيات القرآن بخشوع وانكسار رجاء البركة والقربى فانه غير متابعة الدراسة الكشافة الامينة ومتى انصرف الفكر العلمي البحاث عن متابعة الدراسة الكشافة الامينة فلا جحود الجاحدين ان القرآن ليس هو من كلام رب العالمين اذن فالانصراف عن كتاب رب العالمين هو أثر من الاقتصارِ على دراسةِ ظواهرِه . واني لك مثلاً أن دراسة الظاهر الماثل أمامك محال أن تكشفَ الحقائق الخفية .

هب أنك جلست حيال أكبر رئيس في الأرض وأخذت تتحدث إليه وأنت تفكر فيه وتنظر اليه . فانه محال أن يخطر في بالك أنه كان علقةٌ بينَ ملاينِ العلقات من مني يمنى . وأنه إتصل ببويضة والدته ثم مرت به الادوار التي تمر على إنسان في الرحم . ثم ولد وحفظ كما يحفظ كل وليد وإنه قد مرت به الادوار الحياتية التي تمر على وليد منذ دخوله لأول مرة مدرسة حديقة الاطفال وقد تطورت به الحياة حتى أصبح زعيماً عظيماً .

أجل أنت لا تفكر في كل ذلك لكي تتخذ لنفسك عبرة إيمان وفكر وعلم بل لا يدور في خلدك بعض ذلك .

والسبب أنك تصرف تفكيرك وأنت حياله وناظر إليه في الوسائل التي يمكنك أن تفيد منه لنفسك إن كنت انانياً . أو لا منك وابناء أمتك ان كنت اجتماعياً . وللانسانية كافة من أجل سلامها وهداها وتوحيد كلمتها وكف أذى المجرمين الممزقين عنها .. اذا كنت انساناً عالماً سليماً مؤمناً ..

هذا الوضع الذي مثلته لك هو حال أكثر العلماء وهم ينظرون الى ظواهر عوالم الوجود هم يكتفون بأوضاعها القريبة والبعيدة والصغيرة والكبيرة وما صغر وصغر وما كبر وكبر . دون التفكر في أسرارهم حقائقها وكيف وجدت ودون التفكر في أسرار حقائق موجدها وصفاته . وما يجب له وما يجوز عليه وما يستحيل وهم من جراء استغراقهم في ظواهر الكائنات ودراستها والاهتمام بها

في عمى عن اسرار وجود الله خالقها العظيم وهذا العمى هو الذي يصرفهم عن التعرف اليه في حقائق كائنة خاتم الوحي الآلهي كما يصرفهم عن التعرفِ اليه في حقائق أكوانه التي كونها بعلمه وقدرته وارادته .

السبب الرابع

خضوع المجموعة النفسية للغريزة أو العاطفة لأنهم شبهوا مجموعة نفس الانسان بالمملكة فلا بدّ لها من حاكم مطاع تكون له القيادة والأمر والنهى والأخذ والعطاء أي تكون له السلطة التنفيذية على كل افراد المجموعة النفسية وأكثر البشر مهيمن على أفرادِ مجموعتهم النفسية الغريزة أو العاطفة وهؤلاء إن يَكونوا من سلائلِ أديان وثنيةٍ أو مشركةٍ فلا رجاءَ فيهم أن يؤمنوا بخاتمِ الكتب السماوية . ولو انكشفت لهم في إثناء دراساتِهم براهينُ العلم اليقيني الناطقة أنه كلام رب العالمين .

وأما العلماء الذين تسود مجموعاتهم النفسية حكومة الفكر والعلم فانهم يؤمنون اذا انكشفت لهم معجزات آيات القرآن المجيد ، وقد يتطوعون للدعاية له لدى الأوساط العلمية احتسابا لوجه الله رب العالمين .

ومتى كان العلماء خاضعين لحكومة غرائزهم وعواطفهم فانهم محال أن يؤمنوا بالقرآن المجيد لأنهم يكونون اسراء موثوقين نفسياً لها .

ولا حيلة لهم في تأييد الحق . ولا لهفة ولا وثيقة ولو عذبوا عذاباً اليماً في نار جهنم ومع ذلك اذا فرض أنهم عادوا الى حالهم وأخرجوا من نار جهنم لعادوا الى كفرهم وجحودهم واعراضهم عن دراسة القرآن المجيد . وصدق الله العظيم في وصف هؤلاء العزيزيين المصريين على الكفر والالحاد والشرك والوثنية « ولو ردوا لعادوا إالى ما نهوا عنه » .

ونهاية الامر فنحن لا نخاف العقل ولكن نخاف العاطفة المنحرفة والغريزةَ الهائجة القلقة ولاَ نخاف العلم ولكن نخافُ الجهل . ولا نخافُ التجديد بل نخاف الجمود وكم كم من لبشر النفوس الساذجة الضيقة التي تَخالُ نَفْسها مفكرة حرةً اذا ألْحَدتْ .

القيـــــدُ افسحُ من عقولِ عِصابـــــة زَعَمَتْ فكـــاك العقـــلِ في الالحاد

عقيدة كل امرئ شريكة حياته

الا ترى كل امرىء مثقف حر متى شب شبابه ونضج عقله أخذ يفكر في الموضوعات التي تشغل البال وتوطد النعمة وتسمو بالحياة سموها العالي الكريم ويتأملها بوعي الفكر وحرية النقد وإصالة الرأي وصدق الحس ليميز بين محاسنها ومساوئها ولكي يتحرى كل ذلك العقيدة الاثيرة التي يرضى بها أن تكون شريكة حياته ، وباعث الهامه ومناط أمنياته وأعماله .

أجل هذه هي اتجاهات كل شاب مفكر حر يدري كيف يختار عقيدته التي هي شريكة حياته الابدية يختارها بنور العلم وبصيرة الفهم وحرية النقد ، وتحطيم التقاليد المتخلفة ..!!

وجملة هؤلاء الشبان المثقفون ثقافة جامعية ويملكون الملكات العلمية الحرة القادرة أن تختار الأكمل والأصلح والأخلد والأنفع والاسمى من العقائد المنتشرة في الدنيا .. أجل يختارونها بنور العلم وبصيرة الحكمة وصحة الرأي وطول الاناة والتعمق في البحث النافع الناضج الحر .

بل قل أنهم سوف لا يختارو الا العقيدة الصحيحة المرتكزة على أصول البراهين العلمية اليقينية الصريحة التي يعتزون بها أن تكون شريكة الحياة الابدية .

وتوفيق الشاب الجامعي المثقف ثقافة حرة عالية الى كشف عقيدته الايمانية التي تصلح أن تكون شريكة حياته يسكن إليها وتسكن اليه ، وتأخذ في أعماق جوانحه منصة الحكم . ليس سهلاً أبداً لأن مثل هذا الاختيار العالي المجيد لا يكون الا برعاية الله وتوفيقه والقدرة على قيادة المجموعة النفسية بالعقل والعلم أي لا يكون الا بعد جهاد طويل وامتحان دقيق .

ولو لم يكن الامر كذلك لما كان الالحاد والانحراف له سوق بين الشبان في اوروبا وامريكا وسواهما . والقرآن المجيد سيد كل الحضارات العلمية اليقينية موجود ويتلى بينهم ، ولا يفكرون أن يدرسوا معجزاته العلمية لكي يؤمنوا الا القليل من الفلاسفة والمفكرين .

ولا شيء في اقدار العلم وامجاده ولا اشرف ولا أعلى من الجهاد الموجه لمعرفة خالق الوجود الحق المعرفة العلمية اليقينية الهادية الى صحة الايمان بالله الخالق جل وعز . والسبب أنه جهاد الهداية جهاد النور جهاد الخير جهاد السعادة الابدية . بل قل أنه جهاد العلم والفكر والحق والبحث .

وهذا كما هو مؤكد في العلم الكوني العام مؤكد في صحيح وحي الله اليقيني فكر جيداً في الآية الكريمة .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين » ٢٩ — ٦٩

وهذا الجهاد هو عين الاحسان الذي ينيل الايمان الصحيح ومعية الله . وناهيك من خطر العقائد المنتشرة في الدنيا ، لأن الدنيا تشتمل على ألف عقيدة وعقيدة مزيفة . وان كل عقيدة يعرضها أهلها بأفتن زينات العلم الزائفة وأروع مطالع الفكر اللامع وأشرف مفاتن الاباحة .

من أجل ذلك كان اختيار العقيدة العلمية اليقينية الصحيحة لا بد له من النظر البعيد والتأمل السديد والدرس الطويل ، لأن اختراق مفاتن الغشاوات لأجل طرح الزيف والخديعة والالتباس ليس هو لعقة عسل بل جرعة من الصاب والحنظل . واذا كان المهتم كثيراً ويجهد طويلاً لدى اختيار شريكة حياته خشية المزالق والمتاعب والاهوال في المستقبل . وقد يستعين بأهله وأصحابه لاختيار الانسب والاجدى والاصلح والاحق ، خشية أن يسقط على جيفة مغلقة بأفواف ومزدانة بعقود اللؤلؤ والمرجان . وكم يواري تألق الجمال الفتان فتكات الوحش الكاسر .

فيـــــا رب وجـــــه كصافي النمير تشابـــــه حـــــاملـــــه والنمر

ورسول الله حذرنا من ظاهر تهاويل الجمال في المرأة الحسناء ذات الأصل الرديء السيء بقوله إياكم وخضراءِ الدِّمنَ المرأةِ الحسناءِ في المنْبتِ السوء .

فاذا كان هذا التحذير جاء في اختيار شريكة الحياة من النساء التي يمكن مفارقتها بالطلاق دون أي ضرر وتبعة اذا تأكدت ضررها فما بالك بالعقيدة التي هي شريكة حياة الانسان الأبدية التي لا تفارقه تبعاتها ، حتى بعد انتقاله الى رحاب العالم الثاني ، وكم من اهمال ومصائب تنزل بالمرء اذا كانت عقيدته اشراك أو وثنية تجعله بعيد غير خالقه من روح ونار ونور وبشر وحجر . أو تجعله يكفر بوجود خالقه بالمرة أي يلحد .

واذا كان الامر كذلك فكم هي الأهوال والافداح التي تنزل بالمرء وتمزقه وتجعل كل حياته تبعات مخيفة مِنْ انحرافِ عقيدته .

واذا رأيت ملايين البشر يزهون أنهم اتخذوا شريكات حياتهم من عقائد مآتاها من كائنات هذه الأرض أو مما حولها من عوالم النجوم والاقمار والشموس . فان زهوهم نذير شؤم عليهم لأن خالق الوجود الحق هو الله رب العالمين اذن فالعقيدة الصحيحة محال أن تكون متعددة أجل لن تكون متعددة فان ذلك محال ومحال . ان هي الا عقيدة واحدة أنزلها الله في خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد كما انزلها على الرسل جميعاً .

ويعتز الشاب الذي يدين بالعقيدة الصحيحة لأن براهينها علمية يقينية قائمة فيها . أنظر قوله تعالى .

«ومن يدع مع الله آلها آخر لا برهان له به .

«ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم» . ١٠١ آل عمران

«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» محمد ٦٩ .

أيها الشاب المثقف احذر ان تهيمن عليك مِنْ طريقِ العاطفة أو طريق الغريزة عقيدةٌ ظنيةٌ منحرفةٌ تُودِي بك في دنياك وآخرتك واحذرْ أن تفتنَ بالشبانِ القطعانِ الذين ينساقون وراءَ العقائدِ الظَنيةِ المنحرفةِ احذرْ وتفكرْ في قوله تعالى .

«وما يتبعُ اكثرُهم إلاَّ ظَنّا ، إنَّ الظنَّ لا يُغْني مِنْ الحقِّ شيئاً» ١٠ — ٣٦ .

والحق لا يوصل اليه بالظنون والاوهام والاساطير بل بالعلم والبرهان وتأمل في قوله تعالى .

«يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً فينا» ٤ — ١٧٤ .

أجل أجل يا أيها الناس افيدوا من هذا البرهان المنزل عليكم من ربكم قبل فوات الأوان وقبل أفلات الفرصة . افيدوا منه لانه البرهان المشيد على قواعد العلم اليقنيي وعلى نور الحقيقة الأبدية .

البرهان الذي يقدم للإنسانية المثقفة الرائدة عقيدة الايمان اليقني العلمي التي هي شريكة الحياة الأبدية الماجدة التي تقدم لمعتنقيها نور العلم وجلال الحق وسمو الانسانية وثقة التفاهم .

وماذا يريد الانسان من خير وسعادة ووعي وفهم أكثر من ذلك .

الإسلام هو الأصل في فطرة الخلق

«أفغير دينِ اللهِ يبغون ، وله أسلمَ مَنْ في السموات والأرض طَوْعاً وكَرْهاً وإليه ترجعون» ٣ — ٨٣ .

حذار حذار أن نتصور أن أي كائن من كائنات المادة أو من كائنات الطاقة غير مسلم سواء أكان مدركاً لذاته وأعماله وذوات من حوله وأعمالهم أم غير مدرك لشيء من ذلك .

والحق أن كل كائن قبل خلقه ، وبعد خلقه هو مسلم لخالقه بالقضاء والقدر ، والخلق والايجاد والتصرف المطلق . مسلم مسلمٌ لكلِّ كائن في هذا الوجود .

فكر فكر في تكوين الانسان الالكتروني اليس هو مسلم لصانعه الذي أبدعه كما ارتاى . فكيف لا يكون الإسلام هو فطرة تكوين الكائنات كافة . ما دام الله هو الذي كونهم كما أراد مكرهين ولا حيلة لهم ، ومحال أن تكون لهم حيلة أو شبهها .

أجل كون الله الكائنات مسلمة وفق ارادته أي مكرهة . في نسق تكوينها وأوضاعه وسننه «إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» ٨٢ «فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون» ٣٦ — ٨٣ .

ولا ريب أن المخلوق الذي آتاه اللهُ حاسةَ الإدراك والمعرفة لذاته ولذوات الآخرين إذا تَخيَّل أنه غيرُ مُسْلم يكونُ في عقله دخلٌ ، وفي علمه نَقْصٌ . وفي عقيدَتهِ وهم وتقليد وزندقة .

وان كان يملك عقلاً وعلماً وعقيدة هو بلا ريب سقط عقل وعلم وعقيدة هو أمعة وإن أخذ وأعطي ومات وانْ راح وغَدا ..

وَلِمَ لاَ يكونُ كذلك ما دامَ عقْلُه وعلمُهُ وَعقِيدتَه لاَ يَقِدْنَهُ التمييزَ بَيْنَ حقائقِ الأَشْياء اسمعْ اسمَعْ هذا مَجْنونٌ آخر يُعَاندُ وينادي بنفسه ابليس وغرورِ كبريائهِ وخبائثِ لَعَناتهِ «أنا غيرُ مُسْلم أنا غيرُ مُسْلِم» ..

إنها فتنةُ إلْحادٍ ، وشُعْلةُ ثَوْرَةٍ وَمسَّةُ شيطانٍ ولو كان ذا سمع لَسَمِعَ أعضاءَهُ وجوارحَهُ تَسْخرُ منه ومِنْ صَغَار تَفكيرِه وشرودِه ومغالطتهِ وسمع ضمير الكونِ يهيبُ به سَاخِطاً أنتَ مسلمٌ أنتَ مسلمْ شئتَ أم أبيتَ ..

وأنظر ثمةَ تجدْ مجنوناً آخر ، قد اختلطت عليه فَوارقُ المعرفةِ فَحَسِبَ اسلامَ الكائناتِ

التكويني الفطري لخالِقهَا هو ذاتُ الاسلامِ الاعتقادي الموحى في الكتبِ السَّماوية التي أوحاها الله الى رسله صلوات الله وسلامه عليهم . فأخذ يدلّل أنه غيرُ مسلم بقوله . «أنا حُرُّ التصرفِ في إرادتِي ان شئت كنت مسلماً ، وان شئت كنت غير مسلم . فكيف أكون مسلماً على الرغم مني» .

ويحك هذه الاكوان كافة تسخر منك وتعرض عنك صارخة . ويلك ألف ويل . فكر هل وجدت بارادتك هل عينت زمن بدايتك في هذه الدنيا وهل علمت كيفية نهايتك منها وعلى أية حال هي اقدارك .

اذن فكيف لا تكون مسلماً لمن فرض عليك كل هاتيك الاقدار التكوينية فرضاً لا خيار لك في شيء منها . نعم أنت مخير في الاسلام الاعتقادي اذ فطرك الله حر الارادة تستطيع أن تسلم وأن لا تسلم .

أجل أنت مخير ما دمت تستطيع أن تفعل كل ما تصبو اليه وتهواه اياً كان ما تصبو اليه وتهواه وتستطيع أن تختار العقيدة التي تطمئن اليها فؤادك ولو كانت أسطورة خرافة أو جحود الحاد أو انحراف عن كل إيمان .

أنظر أنظر هؤلاء افراد أنواع الحيوانات الذين يشاركوننا في الجنس لا حرية مدركة لهم في تصرفاتهم وأنت ذاتك الا ترى أن أكثر ما أنت فيه من تكوين ليس لك فيه من خيار .

والسبب ان الوعي العلمي يكون مآتاه من العقل والحيوانات تسير بوعي الغرائز وهو الغرائز الهامي أودعه الله في صميمها وان كانت لا علم لها به .

أما الانسان فانه مفطور في صميم تكوينه على اشياء لا خيار له فيها . ولكن يمكن أن يحيط بها علما . فهو لم يعين يوم وفوده الى الدنيا والمكان والزمان ، ولا نسق تكوينه . ولكنه يمكن أن يعلمه . ذلك لأنه يحس أنه مجبر في ذلك كأي حي من الأحياء .

إذن فالانسان مختار من أعماله الارادية التي لا بد أن يحاسب عليها أجل يحاسبه الله على اختياره لغير الاسلام العقائدي . ولكن لا يحاسبه على إسلامه التكويني لأنه لم يدخل في دائرة إختياره الارادي أبداً .

فيا انساني العزيز حذار حذار أن تختار نفساً غير الإسلام لمن فطرك وخلقك وفي أي صورة ما شاء ركبك وحرام عليك بما منحك الله هذه الحرية الارادية الجزئية إمتحاناً لك أن تلحد أو تعبد سوى الله مما هو بعض خلقه .

انا لا ادري كيف تلحد أو كيف تعبد غير الخالق وتزعمُ أنَّك غيرُ مسلمٍ وأنت بينَ إسلامين ليس لك في تَـركِ أحدِهَا عذرٌ .

١ ــ الاول الاسلام العام الشامل لكل كائن من الأكوان وللأكوان الحرية في مخالفة هذا الإسلام لا يخالفه وهو فوق ارادته الحرة العالمة .

نعم يستطيع أن يجافي الإسلام العقائدي الذي جاء به خاتم الوحي الإلهي القرآن المجيد يجافيه بغير برهان وعلم وحق ومحافات خاتم الوحي الإلهي القرآن المجيد بغير برهان وعلم وحق جريمة كبرى وتبعتها عنيفة وعقوبتها غضب الله والخلود في العذاب لأن من ترك الإيمان بما جاء به خاتم رسل الله من وحي فهو لا بد أن يكون بكل تأكيد مُلْحِداً أو وثنياً أو مشركاً .

وفي ذلك البلاء كل البلاء وأتل أيها الانسان المفكر العالم هذه الآية الكريمة تلمس عظمة الرسالة التي حملها إليك خاتم الرسل السماوية سيدنا محمد ﷺ .

« قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . ٧ ــ ١٥٨ .

هل عرف البشر عقيدة الإيمان الصحيحة

في غُرةِ ذِي الحِجة عام ١٤٠١ هـ رحلتُ الى عاصمةِ ماليزيا «كوالا لمبور» ونزلتُ في فندق ملايا في الطابق الخامس في غرفة مطلة على الشارع الشرقي .. وشاهدت في هذا الشارعِ معبداً وثنياً ذَا بُرْجٍ عالٍ جداً كله ملبَّس بشُخوصٍ من البشر ومن بعض الحيوانات المختلفة وهي متلاصقة متزاحمة بالاكتاف والأيدي ..

وبعدَ قليلٍ سمعتُ دقَّاتِ ناقوسٍ متتابعةٍ فعَرَفْتَ أنها دعوة الى المعبد لممارسة العبادة فنزلْتُ وقصدْتُ المعبد للنظرِ والدرسِ والمعرفةِ وشاهدْتُ جماعةً وقوفاً أمامَ البابِ الخارجي ، ينظـرونَ الى داخلِ المعبدِ بعضهم مسلمونَ ماليزيُّون وبعضهم بوذِيُّون صينيون فوقفتُ حَيْثُ وقفوا وكانت واجهةَ المعبدِ التي ترى من الباب الخارجي مكشوفةً كلها لا جَدارَ لَها ولا حَواجزَ ، وكان المعبدُ مشيداً في ساحةٍ غيرِ واسعةٍ وشاهَـدْتُ قريباً منَ البابِ في الساحةِ التي تليه ناراً يشْعلونَها بالمازوتِ وكانت النارُ على رأسِ قاعدةٍ تزيدُ قدْرَ ذراعٍ على المتر .

وكان الْواقِدونَ للعبادةِ واداءِ الصلاة كلّ واحدٍ منهم يُحيِّيها بصبٍّ بعضِ قَطراتٍ من المازوتِ من إبريق موضوع بجانبها لتظل مشتعلة .

أمَّا داخِلُ المعبد فهو غيرُ وَاسعٍ وكان في وسَطِهِ دكةٌ مُستَطيلةٌ شيئاً مَا عليهَا بقرةُ مَنْحوتةٌ من الرخامِ مخططة ببعضِ الأَلوانِ ، وعيناها مفتوحتانِ كبيرتان وبجانبِـهَا بعضُ الأصنام .

وكانت أَرْضُ المعبدِ من الرخامِ وترى العابدينَ جالسينَ على الأرضِ دونَ فرشٍ بجوانبِ الجدر ، وكان الوسطْ خالياً من الجالسينَ وكانوا جميعاً ينظرونَ الى القاعدةِ القائمة عليها البقرةُ والأصنام ولكن كانتِ القاعدةُ مُغَشَّـاةٌ بستارٍ من المخملِ الأزرقِ إذا ازيحَ ظهرتِ البقرةُ والاصنامُ .

وكان جلُّ الوافدين للعبـاده والصلاةِ من البنغاليين وسواهم من الهنود . وكانتِ تحيةُ كلِّ واحدٍ منهم أن يمدَّ كلتا يدَّيهِ مُجْتمعَتَيْنِ تجاهَ البقرةِ والأصنام مع انحناءِ الطاعةِ والخشوع .

ودخلتُ المعبدَ ولم يحل أحدٌ دونَ مَنْ يرغبُ في الدخولِ كأنَّ المشرفينَ على المعبدِ يَرْوْنَ ذلك لوناً من الوانِ الدعاية والانْجذاب .

والعجيبُ أنك تشاهدُ على كلِّ ساريةٍ تمثالَ فتاةٍ حَسْناء لها أيدٍ أربعةٌ يدانِ مرتفعتانِ الى السَّماءِ ويدانِ منخفضتانِ الى الأرضِ ، وبعضُ صور لآلهة متخذةٍ من البشر ولم أدرِ الى أيِّ شيءٍ ترمزُ .

وكان في صدر جدار المعبد حجرتان لا يدخلُهما إلاَّ مَنْ كان من أهل الدين حسبما تصورتُ لأني ما سألتُ أحداً عن ذلك . وكنتُ أشاهدُ بعضَهم يُقبلُ الأرضَ قَبل الدخولِ وبعضهم يدخلُ دون تقبيل . وقليلٌ جداً الذين رأيتهم يدخلونَ أحسبُهم المشرفين على المعبدِ والوعاظِ والكهانِ ومَـنْ كانَ على شاكلتِهم من المقربين والمقربات .

وما أعجب القدرِ في تصريفهِ فقد رأيتُ بجواري عالماً باكستانياً يشاهدُ مَا أُشاهدُ ويتابعُ في معرفةِ مَا أُتابعُ ، ويعلمُ مِنْ حَقائقِ الأدْيان الوضعيةِ في الشرق الأَقْصى ما أجهلُ ، وكان يُحسنُ اللغةَ العربية بعضَ الشيءِ وكانتْ لهجتُه على التواءاتِها قبساً من لهجةِ مصرَ الفصيحةِ وقال إنَّه قضَى في الأزهرِ أعواماً وبعدَ مجاملةِ المعرفةِ قال وأيمُ اللهِ إنه ليحزُنني جهلُ هذه التألـيهاتِ والعبادات الوثنيةِ لهذه الجمادات المنحوتةِ في عَصْرٍ صَعِدَ فيه العلمُ على سطحِ القمر وحطَّم جهلَ جُمودِ التقليدِ والغَباءِ والإصرارِ على نعراتِ الهُـرَاءِ والسخريةِ .

قلْ لا تَحزنْ يا أَخِي حتى لو شاهدتَ بينهم علماءَ جامِعِّيينَ .. فعينُ الغريزة عمياء وهي لا ترى الأشياءَ إلاَّ باحَاسِيسِها ، واحاسِيسُها جعلَ بركانٍ عَاصفٍ لا يَـخْـمدُ أُوارُه إلاَّ بالموتِ ... ومِثْلُ الغريزةِ العاطفةُ في حَـمَاسَاتِها وتوجيهاتِها العاطفةُ المركزةُ التي يُـحكِـمُ إدْخَالها في قَماقِم الأنفس الشَّابة الغافلة وأربابُ هذه الغرائزِ والعواطفِ المركزة يَـفْـعَلونَ أَسْخفَ من ذلكَ وأهولَ وَهُـمْ يخالونَ ما يَـفْعلونَه الأصلحَ والأقربَ الى رِضَا خالِقهم وخالِق الأكوانِ .

أمَّا عقولُهم فتكونُ مُستقله مُـعَـطَلَةٌ أو موثقةٌ مسخرة هذه حقائقُهم في حقائقِ العلم .

قال : للهِ أنتَ فآياتُ وحي اللهِ صريحةٌ في النصِ على كلِّ ذلك تأملُ قوله تعالى» .

« فإنَّها لاَ تعمَى الأبصارُ ولكن تعميَ القلوبُ التّي في الصُّدور» ٢٢ — ٤٦ وقوله تعالى « ومَثَـلُ الذينَ كفرُوا كَمثلِ الذي يَـنْعِقُ بما لا يسمع الا دعاءً ونداءً صَـمٌّ بكُـم عُـمْـيٌ فهمْ لا يعقلون» ٢ — ١٧١ .

وقوله تعالى «إنَّ شَرَّ الدَّوابِ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ والبُكمُ الذين لاَ يَعْقلون» ٨ — ٢٢ قلتُ : أجل وإنَّ ذلكَ مِنْ إعْجازِ القرآن المكتشف حديثاً في عِلْم النفسِ . وكنَّا نتحدثُ في الساحةِ على انفرادٍ واذا بجوقةٍ من عُبادِهم منهم رجالٌ ونساءٌ يَدْخلونَ المعبدَ فتَابَعْناهمْ بالنظرِ والفكرِ .

واقتربنا من واجهةِ المعبد لننظر ماذَا يفعلون ، فرأيناهمْ يزيحون السِّتار عن الدَكةِ التي تتوسطُ داخلَ المعبدِ ووقفوا تجاهَها وادُّوا لها مراسيمَ العبادةِ مِنْ مَدِّ اليدين بَعْدَ ضمَّهما وَمِنْ انْحناءٍ أشبه بالركوع ويبالغُ البعضَ فيخرُّ ساجداً تحتَ أقدامها ثم أَخذت الجوقةُ تُوقِّعُ أناشيدَ دينيةً لم نفهمْ فحواهَا ورأينا منهم امْرأتينِ مُتشَابِهتَيْنِ أخذتا تَرْقُصان رقصاتٍ عجيبةً مغريةً فخفتُ وحاولتُ الخروجُ وبالحري لما أخذ المصلون يُصفقونَ بنشْوةٍ وَشَرهِ مُلْتهَمٍ مُلْتَهِبٍ ولكنَّ صاحبي أمسك بيدي وهو يقولُ : إصْبر قليلاً لكي تستطيعَ أن تكتبَ عن كلِّ ذلك ولكَ الأَجر الكبير من الله جل وعز .. وإخَالُكَ ترىَ ... الآن قريشاً وَهْي في جَاهِليَّتِهَا تُصلِّي حولَ البيتِ يوم كانَ مَكتظاً بالأَصْنام المتراحمةِ والنِّسَوةُ يطفنَ به ولا أدري كيف كنَّ يطفْنَ ... والصفيرُ والتصفيقُ يَصطَخِبَانِ أيما اصطخابٍ .

قلتُ صدقتَ وما أشبهَ الليلةَ بالبارحةِ وتلوتُ قولَه تعالى «وما كانَ صلاتُهم عندَ البيتِ إلاَّ مُكاءً وتَصدِيَةً فذُوقُوا العذابَ بما كنتم تكفرونَ» ٨٠ — ٣٥ .

قال وَمِنْ أجلِ ذلكَ تَجدُني اكرُه الصلاةَ أمامَ شَجرةٍ أَو صخرةٍ أو أبنيةٍ أو جدَارٍ وأُحِسَّ أَنني أشركُ فِي الرُّؤيا عَملاً ومَظهراً . وأنَا منذُ نعلمْتُ أَجدُني أتضايقُ حينَ أصليِّ تجاهَ أيِ مَخْلوقٍ ، لأني أعلمُ أني أُصلِّي لله رَبِّ العالمينَ وخالقِ الخلق أجمعين ... فرؤيةُ المخلوقاتِ تُضَايقني إخَالُها شِركاً في الرؤيةِ وكم كمْ تمنيتُ لو يُتاح لي أن أُصليَ في نفسِ ذاتِ ربي فلا أُحِسُّ بسواهِ تِجاهِي حتى أكون في يقينِ الطمأنينةِ أني لا أُشركُ به أحداً .. سواءٌ في النَّظرِ أو الفَكرِ أو التخيل وأنا متوجهٌ اليه في صَلاتِي .. هُنَا ضَحِكْتُ وقلتْ إنَّ أُمنيَتكَ هذه هي عينُ الشركِ بل عينُ الكفر لأنَّ ذاتَ اللهِ ليس كمثِلهَا شيءٌ من مخلوقاته الماديةِ والطَّاقيةِ حتى تكونَ فيها أو تلمسها كهَذِهِ الأصنام وتفكّر طويلاً في قوله تعالي «لَيْسَ كمثِله شيءٌ وهو السميعُ البصير» أَلاَ تلْمسُ أنه مِنَ المحللِ أن يحيطَ بكنه ذاتِ اللهِ علمُ عَالمٍ مَهما اتسع . «يَعْلمُ ما بينَ أيديهم ومَا خَلفهم ولاَ يُحيطونَ بهِ عِلْماً» ٢ — ١١٠ .

وكلٌّ ما خطرَ ببالِكَ فاللهُ بخلافِ ذلكَ وهلْ يخطرُ ببالِنا أو يتراءَى في خيالِـنَا ، أو يَتمثَّلُ في تصوراتِنَا أو يدورُ في أفكارِنَا سِوَى الحوادثِ المخلوقةِ وأَحْداثِهَا وأشباهِهَا وأوْهامِهِـمَا .

ومِنْ أجلِ ذلكَ فحقيقةُ ذاتِ اللهِ لا تَـحُلُّ في شيءٍ ولا يَـحَلُّ فيها شيءٌ ولا تتراءَى في المُـخَيِّلاَتِ ولا تتمثَّلُ في التماثيل ولا تَـكشفها الافكارُ ولا يعلمُ حقيقةَ ذاتِ الله وكنهها الا اللهُ وما ورَدَ منَ النصوص في هذا الأمر يُترك الأمرُ اليه فهو أعلم بمرادهِ والمؤمنُ العاقلُ العالمُ يتلو مُخْلصاً « قلْ هو الله أحد الله الصمَّدُ لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كُفُوا أحد » . وما أحسن قول القائل :

كُـــلُّ مــــا تَرتقِـي إليــــه بـوَهْـمٍ   مِـنْ جـلاَلٍ وقــــدرةٍ وشَقَـــــاءِ
فــالـــــذي أبـــدع البريـــة أعلى   منـــه سبحـــانَ مُبـــدْعِ الأَشْيـــاءِ

قال : مرتجفاً أعوذُ باللهِ مِنْ كلّ أنواع الشركِ والكفرِ وكلُّ قصدِّي أني أُحِبَّ أن أحَـرِّرَ تَوجهي في صلاتِـي الى اللهِ مكونِ الأكوانِ وَحْدَهُ لا الى الأكوانِ هذا قصدي يشهدُ الله .

قلتُ هذا ممكن ويسيرٌ فأنت إذا وقفتَ تُصلي وأَمامَـكَ أيُّ كائنٍ وهذَا لاَ بُـدّ مِنهُ لأنك كائِنٌ بَـيْـنَ كائناتٍ وتَـحْيا فيها سواء مَا تَراهُ منها ، وما لمْ تُرهَ ، وما لم تَرهُ منها هو الأكثرُ فيجبُ عليك أن تتوجَّـه الى اللهِ وحده ، وتعتقدُ أنه أمامَك ولا شيءَ سواهُ أمامكَ وانه محيطٌ بكَ دونَ أن تَـكونَ فيه أو يَـكونَ فيكَ وهذا الاعتقادُ هو عينُ سلامةِ العبادةِ من أيِّ لَـوْنٍ من ألوانِ الشِّـرْكِ سواءٌ في الرؤيا أو في النيةِ أو في العلنِ أو في الْعَقيدةِ .

ومِنْ أجْلِ ذلك قالَ رسولُ الله ﷺ في روايةِ البُـخَاري ومسلم إنَّ اللهَ عز وجل قِبَلَ وجْهِ أحدِكم اذا صلى فلا يبصقْ بينَ يديْه « وفي ذلك تحقق طَهارةِ الظاهر والباطن في الصَّلاةِ والمصلِي إذا سَلَخ الأكوانِ مِنْ فِكْرِهِ ، واعْتقدَ أَنَّ الله أمامَه وأنه يتوّجَّـهُ اليه وحْده نيةً وعقيدةً وأنه غيرُ متوجِّـهٍ في صلاتِه الى شيءٍ سواه سلمتْ صلاته من كُـفُرِ الشرك والوثنيةِ .

هب أنك كنتَ على سَـطْحِ القمرِ أو المريخ أو في أي مكانٍ من هذه العوالم فإلىٰ مَـنْ تتوجَّه في صلاتِكَ أليسَ الى اللهِ وحدَهُ وتفكرَّ في سُجودِ رسولِ الله ﷺ وهو في أبعادِ العوالم ليلة المعراج أليسَ الى اللهِ وحْـدَه ولمن وجه دعاءَهُ أليسَ إلى اللهِ وحْدهُ .

قالَ بنشوةِ فَـرَحِ العلمِ ، وزهْوِ يقينِ الإيمانِ أجْل أجلْ .. وأردف داعياً جزاكَ اللهُ عَنِ الاسلامِ وأهْلِه اكرمَ الجزاءِ فإنَّ كلَّ ما قلتهُ وهو عينُ يقينِ العِلْم والإيمانِ وهو عينُ تَـحْرِيرِ العبادةِ من كلِّ شِرْكٍ ووثنيةٍ .

وهنا تلاَ قولَ اللهِ تعالى خَاشِعاً . «ألا إِنَّهم في مريةٍ مِنْ لِقَاءِ رِبِّهمْ أَلا إِنَّه بكلِّ شيءٍ محيط» وهو يُشير الى قاعدةِ الأصنامِ والبقرةِ وإليهم وهمْ حولَها خُشَّعاً ..

قلتُ أَلاَ تَدري أنَّ الذِّي ذكرني بكلِّ ذلك هو النِّداء إلى الصلاةِ في الإِسْلام = اللهُ أكبرُ . وكذلك لدىَ دُخولِكَ في الصلاةِ = اللهُ أكبر = أَمَا تُحِسُّ وأنتَ تُنادِي اللهُ أكبر أَنَّ كلَّ ما فِي الاكوانِ صغيرٌ وصغيرٌ جداًّ بالنسبةِ للهِ خالقهِ وموجدة والمهيمنِ عليه والمتصرفِ فيه سبحانَه : وتعالى اللهُ علواً كبيراً ولله المثلُ الأعلى .

قال بحماسةٍ حديثُكَ هذا ونحْنُ نُشَاهِدُ توجه هؤلاءِ المصلين الى مَخْلوقاتِ أمثالِهم يذكرُني بجلالِ الحِكْمةِ وروعتِهَا الصَّارخةِ في دُعَاءِ التَّوجهِ الذي يُعقِبُ تكبيرةَ الاحرامِ في الصلاة يذكرني بِسُمُوِّه وما يشتمل عليه من نُورِ الحَقِّ والعلمِ والهدىَ يَا لله ما أعظمَهُ مِنْ توجهٍ «وجهتُ وجهيَ للذي فَطَرَ السماواتِ والأرض حنيفاً مُسْلماً وما أنَا من المشركين إنَّ صلاتي وَنُسُكِي ومحْيايَ ومَماتِي للهِ ربِّ العالمين لا شَريكَ له وبذلك أمرتُ وأنا مِنَ المسلمين» .

قلتُ كلُّ أعمالِ الصَّلاَةِ في الإِسْلامِ تصرعُ الشِّرْكَ والوثنيةَ وتطرحُهُمَا تحتَ الأَقدَام هذَا مَا جاءَنا به رسولُ الله من عند الله جل وعز فهو ﷺ مُعَلِّمُ البشريةَ يقينَ العقيدة الصحيحة ونورَ الايمان الحقِّ واخلاصِ الصَّلاةِ المثاليَّةِ وسَلاَمتِها مِنْ ظلماتِ الشِّركِ والوثنية وأنتَ أَلاَ تُفرِّقُ بينَ مَنْ يتخذ آلِهةً مِنْ بعضِ أفرادِ الأكوانِ ويتوجهُ إليها في صَلاتهِ وبينَ مَنْ لا يتوجَهُ في صلاتِه إلاَّ الى الله ربّ العالمين وخالقِ الخَلْقِ أجمعين .؟..

الا ترى أنك حينَ تُصَلِّي الى الكعبةِ المشرفةِ وتطوفُ حوْلَهَا وتُصلِّي في مَقامِ إبراهيم وتَسْعَى بين الصَّفا والمروةِ وتقفُ في عرفاتٍ وتذكرُ لدى المشعرِ الحرام تُحِسُّ وأنتَ تمارسُ كلَّ هذه العباداتِ أنَّك متوجهٌ إلى الله رَبِّ العالمين ولاَ يخطرُ ببالِك عبادة البناءِ والصخورِ والأحْجار والبشرِ وسواهم التي يمارسُها أكثرُ مَنْ فِي الأرض ...

والسبَّب أنك تعلم انَّك تَحْيا في هذهِ العوالِم فما لك مِنْ مناصٍ مِنَ الْخروج عنْهَا شأنَ كلِّ المخلوقين والبشرُ منهم ...

قال صدقتَ محالٌ أَنْ يطيرَ أحدُنَا في الفضاءِ ويُصَلِّي لكيلا يرَى أمامَهُ الكائناتِ وهلْ الفضاءُ نفسُه سوى مجموعةٍ مِن الكائناتِ المخلوقةِ أمثالِنَا يَكفِي يكفي أَنْ نُحرِّرَ التوجهَ في العبادةِ الى اللهِ رَبِّ العالمين .

قلتُ أجلُ يَكفِي يَكفِي وتلوتُ عليه قولَ الله جل وعز في حُسْن التَوجّه إليه إذَا أردْنَا الصَّلاةَ في أيٍّ مكانٍ مِنَ الأكوانِ : «ولله المشرقُ والمغربُ ، فأينما تولُّوا فَثَمَّ وجه الله إنَّ الله واسعٌ عليم» ٢ — ١١٥ ألاَ تعلمُ أنَّ العوالمَ كافة لاَ تَعْدِلُ الذرةَ أمام السَّعةِ الالهية الكبرى . سَعَة لا يحيط بكنهها سِواه .. سبحانك سبحانك . لا نحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك : «وَمَا قَدروا الله حَقَّ قَدرِهِ والأرضُ جَمِيعاً قبضتُهُ يومَ القيامةِ والسماواتُ مطوياتٌ بيمينهِ سبحانَهُ وتعالى عَمَّا يشركونَ» ٣٩ — ٦٧ .

وفي النهايةِ أقدم هذه الآيَة المعجزةَ للانسانيةِ الحُرةِ العالمةِ لتفهمُ حقيقةَ الصِفات التي تليقُ بجلالِ الله خالقِ هذه الكائناتِ سبْحانَه سبحانَهُ ...

«يا أيُّها الناس ضُربَ مَثَل فاستمعوا لَهُ إنَّ الذين تَدْعونَ مِنْ دونِ اللهِ لَنْ يخلقُوا ذُبَاباً ولو اجتمعُوا لَهُ وإن يسلُبهُمْ الذبابُ شيئاً لاَ يَستنقِذُوه مِنْهُ ضَعُفَ الطالبُ والمطلوب ما قَدروا الله حقَّ قدرِه إنَّ اللهَ لقويٌّ عزيز» ٢٢ — ٧٣ و ٧٤ .

الدّعوَة إلى حفظ التّرَاث

خُطُوطُ حياةِ الإنْسانِ المتوارثةِ في أَيٍّ مُجْتمعٍ والمنطبعةُ في نفسياتِ أفرادهِ وجَماعَاتهِ والمؤثرة فيهما هِي التراث .

وهذهِ الطَّاقةُ المُلهِمةُ خَصَائِصَ تَوجْيهَاتِهَا بكلِّ مِثَالِيَّاتِـهَا الاجْتماعيةِ الإنْسانيةِ وبكلِّ تطوِّرَاتِها الحضارية التي تمرُّ بها مِنْ مُجتمعٍ إلى مُجْتمعٍ هي التراث .

إذنْ فالتُّراثُ عُـهْدَةُ مِيثَاقٍ اجْتماعيٍّ فِي كلِّ أُمةٍ بالذاتِ ، وَيُحَقِّقُ أعيانَ أَعْمَالِهِ الْمُركزةِ فِي مَجَالِ اللاَّوَعي المُلْهِمِ وَبمَنْطِقِ الْحَاسَّيةِ الصَّارخةِ المخصصة لأعمال الأخذ وَلأَعْمَال العطاء .

والتراثُ صَنَاعُ اليدين للحفاظِ على شخصيةِ الأمةِ وهو بِمَثابةِ مدرسةٍ كلُّ دروسِهَا كنوز تُغْنِي أماني الأفراد والجماعات بوقايةٍ مِنَ الانحطاطِ وَبِسُمُوٍّ من الانسجامِ وَبممكناتٍ مِنَ الْمودّةِ والتفادي .

ومن أجل ذلك كانَ التراثُ هو إكسيرُ الحياةِ الدائمةِ ، وملاك شخصيَّتها في سِرِّ نَواهَا وسرِّ خُلودها في عالم الروح وفي عالم المادة ..

ومكثتُ في لبنانَ حقبةً مديدةً وكانَتْ مودّتِي لأَرْبابِ الأقلام النّبلاءِ كبيرةٌ جدًّا ، أَتَّصلُ بهم ويتصلون بي مِنْ مُسْلمين وسواهم وَفِي مِهْرجان بَيانٍ عبقري سمعتُ أَنَّ سعيدَ عَـقْـلٍ يعتزمْ أن يدعوَ الشبيبةَ إلى حِفظ التراثِ أو هو باشر في الدعوةِ بتقديمِ جوائز حافِزة وهزني زُهُوَّ النبأ وقلتُ « إن حفظَ التراثِ سيادةٌ للشرف وبناءٍ للفكر الوقائي السليم الحر ... » .

إذ به يتمُ دعمُ وَحْدةِ الأمةِ وتهذيبُ مَشاعِرَها ، وتصفيتِهَا مِنْ لَعْنةِ العنصريّةِ وَخَبائِثِهَا وأحْقَادِها وأدْوائِها ومؤامراتها الهدَّامة .

وهْوَ يَصْقُلُ عقليَّتَها ويحَقِّقُ سُموَّها الاجْتماعي الانساني العالي . ولا شيءَ أجدى للسلام والتقدم الحضاري والتعاون العلمي والأدبي من حِفظ التراث .

وهلْ أضَاعَ العربُ وَحْدتَهمْ وَشُتتَ شَمْلُهم حتى أَصْبَحُوا على كثرةِ دُوَلهمْ وأَمْوالهمُ وعتَادِهم طُعْماً في سُنَّارة الصَّهاينةَ إلاَّ لأنّهم اسْتَهانُوا بتُراثِهم ، وأولئك اعْتَزُّوا بِـهِ ... ولكنْ

حِينَ أَفهمني أصدقائي أي حليم دمَّوس ومارون عَبود وفَارس سعد وسواهم أنَّ قصدَ سعيد عقل مِنْ حفظ التراث هو إيصال اللغة العربية وابدالها باللغة العامية وإن كان لبنان وحده يحو جملة مِنَ اللُّغات العاميّة . على صغرِ حَجْمِه وَقِلَّةِ عَدَدِ نُفوسِ أهْلِهِ ...

وَصَعِقْتُ حِينَ لَمَسْتُ ما أخْبروني به صَحِيحاً . وعلمتُ أنَّ وراءَ الأكمة ما وراءَها وبالحري حينَ اسمْعني حليم دموس رَدَّ عمِّهِ وديع عقل عليه بقصيدة جميلة لا أزال أذكر منها قوله :

وكلُّ من عَقَّ بالفصحى فهو الدَّعي ولو شدَّ انتساباً الى أقيال قحطان

وكَمْ يُؤْسِفَنِي إطلاقُ لفظةِ تُراثٍ في أُمةٍ كبيرةٍ كالأمة العربية على بَعْض عادَاتٍ لإقْليمٍ مِنْ أَقالِيمِهَا والعاداتُ تختلفُ مِنْ منزل إلى مَنْزِلٍ فما بالك بأقليمٍ الى إقليم ..

والعاداتُ الخاصةُ سِوَى التُّراث الخالد الجامع المُوحِّد لمشاعرِ الأُمةِ وأَحاسِيسِهَا وبالحري إذَا كانَ التُّراثُ إنْسانِياً مِثَاليّاً جَامِعاً يعملُ لإسْعادِ البشريةِ كافَّة والهداية البشرية كافة كَتراثِ أُمتنا العربية الماجدة .

حَسبه أنه تراث يُجاهِدُ لِيَسْلخَ أُممِ الأرض العنصرية الفتَّالَة مِنْ جلودِ الأراقم ليسلكها في جلود حكماء البَشرِ وَيُزيِّنها بمَعاطف الانسانيةِ العالية التِّي تُحْيي مَوات تَبادل المودَّةِ في نُفُوسِ أجْيالِ الأُمم تُحْيِيهَا وتُطَهِّرُهَا مِنْ لعناتِ الالحادِ والشرك والوثنية .

وتحولُ ما بينها وبَيْنَ الْهُويِّ في مَهاوي التَّخلفِ . أجل هو تراث فَخارٍ يَجْمَعُ أشلاءَ الأُممَ الممزقةِ المُنْحطةِ ويصعدُ بها إلى مَنائِر المعرفة العاليةِ الجامعة .

وشتَّان ألفَ ألفَ بينَ مُجْتمعٍ مُوَحَّدٍ صَاعدٍ قَويٍّ لمجتمعِ الولايات المتحدة ... وبينَ مُجْتَمَعٍ مفكك وَاهٍ متنافر كالمجتمع العربي ..

وهل تَوَّحد المجتمعُ العربي قديماً وحقَّق للإنسانيةِ أمجاداً كريمة برَّةً ما كانت لِتُحقَّق وَتَظْفَرَ بها لولا رُوحُ وحي اللهِ المنزلِ علَى خَاتِمُ رُسُلِ اللهَ سَيِّدنَا محمدٍ صلوات الله وسلامهُ عليه ...

أجل ولولا مُثلِ هذَا الوحي المنزل مِنْ ربِّ العالمينَ لَمَا اسْتطاعت الإنسانية أن تُضَحِّي كُلُّ هَاتِيكَ التَّضْحِيَات في سبيلِ الصُّعودِ على سطح القمر .

إذَنْ فنحنُ نَمْلِكُ تراثاً عالياً رَاقِياً هو حياةُ هو قوةُ هو أمجادٌ لِكلِّ أُمةٍ تَسْتَمْسِك بِهِ ولاَ رَيْبَ أن الدعوةَ الى الاسْتمساك بهذا التُّراثِ وحمايَتِهِ والذوْدِ عنه والنهوضِ لأجل إعزازه هو الخيرُ

كُلّه والسعادةُ كلُّها يكفي أنه يحوي هديَ اللهِ لسعادةِ البشر . قال اللهُ تعالى في كتابه العزيز « قَدْ جاءكمْ بصائرُ مِنْ ربكم فمَنْ أبصر فَلِنفْسِه ومَنْ عَمِيَ فعليْهَا ومَا أنا عليكمْ بِحَفيظٍ ، وكذلك نُصَرِّفُ الآيَاتِ وليقولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبيِّنَه لقوْمٍ يَعْلمون » ٦ — ١٠٤ و ١٠٥ .

وشبان العرب إنسانيون كرام ، وأبطال رُحماء يحافظون على إرثهم لأنه رحمة انسانية وحميه وإغاثة ومروءة ..

وما أحسن أَن أختم كلمتي هذه بحكمة الشاعر النابغة حسن عبدالله القرشي :

مِنْبع المجد دافقٌ في ثرانا قالَهُ في غيره مِنْ نَفَادِ

كيف ننسى إرْث المروءات يَهْدي للحمى من وفاضه خَيرَ زاد

هاشم محمد سعيد دفتر دار

مظاهر الإعجاز

بسم الله الرحمن الرحيم

يس (١) والقرآن الحكيم (٢) إنك لمن المرسلين (٣) على صراط مستقيم (٤) تنزيل العزيز الرحيم .

جاء رجل مثقف مسيحي الى تاجر عربي كبير من صفوة المؤمنين الصادقين وسأله هل يعقل أن الله الذي خلق هذه العوالم غير المحصورة في علم الإنسان هو الذي يقول :

«أنا الله خالق هذه العوالم الهائلة ، أقسم بالقرآن الحكيم إنك يا محمد من رسلي . وإنك على طريق مستقيم ، هو طريقي الذي أوحيته إليك . لهداية الناس الى الإيمان الصحيح .

واذا قلت لي إن هذا القسم معقول ومسلم لدى المؤمنين فأنا أؤيد قولك هذا لأن المؤمنين مقتنعون بحكم إيمانهم ولكن غير المؤمنين هم الذين يأخذهم العجب من هذا القسم ويرونه مخاطرة مدهشة محيرة .

وهم يقولون اذا لم يكن القرآن الحكيم مشتملاً على براهين علمية حَاسمة تدلُّهم أنه كلام رب العالمين اليقيني . فالمخاطرة تكون أكيدة ، والحيرة تكون واقعية والقضية هي أولاً أن تثبت لي أن القرآن هو كلام الله اليقيني وثانياً يكون القسم حجة قطعية على صدق رسالة محمد ﷺ .

لذلك جئت إليك بكل إيماني بيقين العلم لكيْ تشرحَ لي هذا القسم من الوجهةِ العلمية الخالصة التي يذعن لها كل عالم مفكر صادق ، وإنْ يكن ملحداً الآن الحاداً طارئاً والإيمانُ هو الأصل .. فلا بُدَّ من العودة إليه .

عرض عليَّ التاجرُ المسؤول السؤالَ وطلب اليَّ الإجابة ، عليه بكل شواهد ، العلمية القائمة . فرحبت بالفكرة لأن القصد الأساسي هو كشف واقع اليقين العلمي .

القسم

هذا القسم أي قسم جل وعز بالقرآن الحكيم على إثبات رسالة محمد ﷺ . هو شيء عادي ولا شيء فيه .

ولا أخذ ولا عطاء لأن المسلمين جميعاً يؤمنون أنه قسم حق من الله بالقرآن على إثبات رسالة خاتم الرسل سيدنا محمد صلوات الله وسلامة عليه . ولكن غير المسلمين من العلماء يرونه

غريباً كل الغرابة لأنهم يستكبرون أن يحلف الله قائلاً أنا خالق هذه العوالم احلف بالقرآن الحكيم أن محمداً هو من المرسلين والقسم تأكيد عظيم وأن تأكيد التأكيد للمرة الثانية واللام في قوله أنك لمن لمرسلين تأكيد للمرة الثالثة .

وأقول .. آمن الذين آمنوا بوجود الله لأن العوالم الموجودة مشتملة على براهين علمية يقينية صارخة دالة دلالة هادية الى أن لهذا العالم خالقاً مدبراً مهيمناً عليه ومنصرفاً فيه هو أوجده ونسقه ووضع له سننه ونواميسه وقدره تقديراً علمياً يقينيا بها ما لموازين العلم من ثبوت وتأكيد يقيني وبراهين صارخة .

وما كفر بوجود الله خالق هذه العوالم إلا الذين وقفوا عند ظواهر المادة غير منتصرين من الطاقات الروحية التي وضعها الله فيه مسيرة له بقدرته وعلمه وإرادته وسلطانه .

لذلك الإيمان بوجود الله الخالق العظيم في الأوساط العلمية المحررة من تقاليد الملل والنحل ومن هوس مرضى العقول هي حقيقة الوجود الأزلية والصارخة والإنسان العالم المفكر اذا نظر الى حقائق العوالم وأنعم نظره في أمكنتها وأفلاكها ووظائفها دهش ودهش ولا يسعه إلا أن يتلو بإيمان خاشع .

« دلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل » (١٠٢) .

« لا تدركه الأبصار — وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » (١٠٢) .

« قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها . وما أنا عليكم بحفيظ » (١٠٤) .

« وكذلك نصرف الآيات ، وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون » (١٠٥) .

هذا شأن الأقسام الدالة على وجود الله عز وجل القائمة في عوالم الوجود . مثل قوله ..

«لا أقسم بمواقع النجوم (٧٥) وأنه لقسم لو تعلمون عظيم (٧٦) أنه لقرآن كريم (٧٧) في كتاب مكنون (٧٨) لا يمسه إلا المطهرون (٧٩) تنزيل من رب العالمين» .

فمواقع النجوم المعروفة لعلماء الفلك قديماً والتي وجدت معرفتها والتي لا تزال في طوايا غيوب أبعاد الفضاء هي دالة على عظمة الله الذي أنشأها ووضع لها قوانينها وسننها وقدر لها مواقعها ومن هذا القبيل اقسم بالشمس والليل والضحى .

وهناك أقسام يقصد منها أشياء أُخر كالأقسام التي يقصد منها إثبات يوم القيامة أو قدر القلم في تحقيق المعرفة .

أما هنا في سورة يس فإن القسم بالقرآن لا ثبات رسالة سيدنا محمد صلوات الله وسلامة

عليه . فكان القسم هنا يقول الله فيه أنا الله خالق العوالم أحلف بالقرآن الكريم أن محمداً هو رسولي . وهذا القسم يدل أن الله جل جلاله وضع في آيات القرآن البراهين العلمية القطعية الداله على صدق رسالة سيدنا محمد صلوات الله وسلامة عليه .

والتاجر المؤمن الذي يرصد قسماً من ماله لخدمة الإسلام هو السيد عمر الفحل وهو الذي طلب الي أن أتحدث في هذا الموضوع الجليل وما تحدثت به هو مهد المقل ولما كان الحديث في أمر عظيم كهذا ينعرض على جماعة من العلماء غير مؤمنين بالقرآن المجيد أنه كلام الله . كان الواجب استعراض الدلائل العلمية اليقينية في مؤلف خاص .

ولما كان السؤال هو عين القسم الذي جاء في سورة يس ، أخذت أدرس هذه السورة المباركة إلى جانب سواها أكثر من عامين فاجتمعت لدي طائفة من البحوث ضممتها في مؤلف خاص أسميته معجزات قلب القرآن لما هو مشهور على الألسنة أن يس قلب القرآن. والمقصود هو إلفات النظر الى سورة يس بالذات وطبع المؤلف في بيروت في مطابع دار العلم للملايين على نفقة الرجل الصالح في عام ١٣٩٦ هـ .

وليس سهلاً أن استعراض ما جاء في المؤلف من الدلائل العلمية في كلمة هذا أمر يحتاج الى دراسة المؤلف بالذات .

واني أسأل الله أن يلهم العلماء الذين لهم إطلاع واسع على العلم اليقيني الذي إكتشفته الحضارة الحديثة والعلم اليقيني المدخر في معجزات القرآن المجيد فيكون باعثاً للعلماء غير المسلمين الذين يريدون أن يعلمون يقيناً ما جاء في آيات وحي الله المعجز المتحدي ...

وأي تحد أعظم وأكبر من هذا التحدي الصارخ . «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ، إن كنتم صادقين (٢٣) فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » ٢ — ٢٤ .

وكثيرة هي آيات التحدي الصارخ في القرآن المجيد وإني أكتفي بعرض معجزة واحدة مما جاء في مؤلفي معجزات قلب القرآن التي يقصد بها إثبات حقائق الأخرة من الوجهة العلمية اليقينية .

« وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (٧٩) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون (٨٠) » ٣٦ .

ذلك لأن الشجر الأخضر يمتص الحرارة من الشمس بطريقة الهة تكوينية إمتصاصاً عجيباً لو إستطاع العلماء أن يفيدوا من هذه الطريقة كما أفادوا في صنع الرادار من إذن الوطواط لكان ذلك إنقاذاً للبشرية من فقد البترول لأن طاقة الشمس هائلة جداً ودائمة ومنتشرة في كل مكان

ولولا أن الشجر الأخضر يمتص حرارة الشمس لما كان في الأرض الوقود من الفحم الحجري أو الغاز أو البترول الذي مصدره الشجر الأخضر بل أن الشجر الأخضر أيضاً يمتص الكربون ويحوله الى أوكسجين والأكسجين هو مادة إشتعال النار . لذلك كانت هذه الآية القرآنية من معجزات العلم في عصرنا الحديث وكم من سخافة في قول الذين قالوا لوكان التعبير بالشجر اليابس لكان أولى لأن الحطب والفحم في زعمهم هو مصدر النار ونسوا أن الشجر الأخضر يشتمل على المعجزة العلمية الهائلة فلو جاء النص بالشجر اليابس لما كان ثمة أعجاز علمي في الآية . ومهما يكن فآيات القرآن المجيد ذاخرة بالمعجزات العلمية ولعل عالمنا المادي ينطوي وتنطوي الحياة معه ومعجزات آيات الله تظل أبدية أبدية رغم الملحدين والفاجرين والكافرين .

إعجاز القرآن ونهاية الحضارة

نصوصُ القرآنِ المجيدِ تَـذْخر بكُنوزٍ مِنْ مُـدْهشاتِ مَعارِفهَا واطِّرادِ مُـعْـجَزاتِـهَا العلميةِ التي أَعدَّهَا اللهُ للأَجْيَـالِ المقبلةِ عَلَى تَـطَـوُّرِ الشعوبِ وَحَضارَاتهم لكونَ براهينَ علميةٍ يقينيةٍ مُتَـحَـدِّيةٍ وَمُـقَـومةٍ لصحةِ إيمانِهِمْ على كلِّ حَال ...

وَإِنْ تكاثَـفَـتْ مِنْ حَـوْلِهِمْ ظُلُماتِ التَّقاليد البُدائِيَّةِ ، وتفاقَـمَـتْ أحقادُهُم العنصريةُ ، وانحطتْ أخلاقيَّاتُـهُـم الحضاريةُ ، وَتَخلَّفتْ مَجْموعَاتُهم النفسيةُ كُـلَّ التخلف . كَمَا شَـرَّقتْ بهم وغَـرَّبتْ بهم فِي خَبائِثِ الالحادِ والوثنيةِ والشركِ طفولةُ مَعارِفهمْ عَنِ الأكوان وَمَـكَـوِّنها العظيمِ جلَّ جلالهُ .

وكانَ المدّعْم كلَّ ذلكَ في أنفسهمْ غرورُ كِبْرِيَائِهِمْ ، وعنادُ إصْرارِهم الْـعَـنْتري ، واشْتِعالُ نَـزَواتِهم الثَّائِـرةِ ، وتأويلاتهم الزائفة لنصوص الوحي المعجزة المتحدية .

وَلا يُـزيحُ ظلماتِ هَاتيك العواصِف المدمرةِ ويُـهَـدِئُ بلابلها ، ويدَمِّر حَواجزَهَا من أعماق كل الأنفس ذات الإِسْتعدادِ عَلَىَ إثار الحق إذَا ظهر إلاَّ وجودُ ثلاثةُ أصنافٍ مِنَ البشر . الأول : وجودُ العلماءِ الأُمَناءِ الأَحْرار الذين يُـهَـيْمنُ عليهمُ العقلُ الإِرادي المُـقَـوِمُ لاعْوجاج الغرائز النَّهِمَة والعواطف الثَّائرة .. أَي العقل المحطم للعنصرياتِ الملحدة ، ومُـؤَامراتِها الهدَّامة وخبائث الشرك والوثنية ، وأغلال تقاليدهم .

الثاني : وجود الفنانين المنتصرين لِحقائِق التقدم العِلْمي الحضاريَ ولِحَـقَائِقِ الوحْيِ اليقيني ، ولكشف معجزاته المُـتَحدِّية .... أيَ جددَ الفَنانين القادرين على تمزيقِ حجبِ الأوهامِ والظنون المسدلةِ بِعَـمْدِ الإِصْرارِ على المِلَلِ الإنسانيةِ العليا المنزلة لإِسْعادِ البشرية كافة بالإِيمانِ العلمي اليقيني ..

الثالث : وجودُ الإنسانِ الإنسانِ واختفاءُ إنسانِ الغابِ الخَطِرِ الموبوءِ بِدَاءِ مَواريثِ الغاب المزمِنَةِ المفترسَةِ .

ولا افلاتَ مِنْ إنسانِ الْغاب وتَرَصُّدِه ووثوبِهِ على العُزَّلِ الأَبْرياء بالسحقِ والمحقِ إلاَّ بسِرٍّ صِدقِ الإيمانِ بالله الخالق العظيم القوي العزيز ...

إذْ محالٌ أن يكون الإنسان إنسانَ سَلامٍ وأمْنٍ ووفاءٍ وصدْقٍ وهدىً ولو طَافَ بمكُّوكِهِ الفَضَائي ألفَ ألفُ عَالمٍ ، واكتشفَ مِنْ غيُوبِ عُلُومِهِ ألفَ ألفَ علمٍ وعلى الرغمِ مِنْ يَقينِ عِلْمِهِ أَنَّ ما أُكْتُشِفَ مِنْ علومِ الأكوانِ حتى الساعة لا يزيدُ عن قَبْسَةِ الإبرةِ من لُجُجِ المحيطاتِ يَظلُّ مرتاباً بحقيقةِ وجودِ الخالق العظيمِ المهيمن على الأكوان المتصرف فيها بإرادته وقدرتهِ وعلمه .

ومهما يكنْ فإنَّ الانسانَ الغريزي الْـمُلوّث بخَبائثِ العُنصُريةِ الملحدةِ الطامعةِ المترصدةِ ، لَـنْ يكونَ إنسانَ إيمانٍ وسلامٍ وهدايةٍ أبداً أبداً ...

نَاهِيكَ بأخْـطَاره الجَهنميَّةِ عليه وعلى الآخرينِ فإنَّها تكثرُ وتتحتَّـمُ .. أجلْ تكثرُ وتتحتمُ ... مَا دَامتْ الحضارةُ الحديثةُ مقفرةً مِنْ وجودِ العلماءِ الأحْرارِ الأُمناءِ الَّذينَ ينتصرونَ لِحَقائقِ العلمِ اليَقِيني في الأَشْياءِ ... ومقفرةً مِنْ وُجُودِ الإنْسانِ : الإنسانِ الذِّي كلُّ هَمِّهِ بِنَاءُ حَقَائِقِ الإيمانِ في مَعالِـم الحضارة وهَدْمِ خَسَاسَةِ الإنْعزالية المُلْـحدَةِ المتآمرةِ على حَقَائِق الإيمانِ وَأَهْلِهِ .

أجل إذا أُجْدبتِ الحضارةُ من هؤلاءِ ومنْ أولئك فحينئذٍ يَعْسرُ إقْتلاعُ السَّتَائر الحالكةِ الكاتمةِ أنفاسَ حقائقِ الأشياءِ بظُلُماتِـهَا ومظالمها وحينئذ تَسُوُءعواقبُ البشرِ مِنْ جرَّائِـهَا وتَـمْحقُـهَا الكوارثُ وأرىَ الأَسْوأ منها فِي حَيَاةِ البشر هُوَعدمُ إكتراثِهم المتعَمَّدِ لقوله تعالى .

« حتَّى إذا أخذت الأرضُ زُخْرفَها وَأزينَتْ وظَـنَّ أَهلُها أنَّهم قادرون عليها أتاهَا أمرُنَا ليلاً أو نهاراً ، فجعلْنَاهَا حَصِـيداً كأَنْ لم تَـغْنَ بالأمسَ كذلك نُفَـصِّـلُ الآيات لقومٍ يتفكرون » ١٠ — ٢٤ .

وقد تَـحَقَّق أعجازُ القرآنِ المجيدِ . فَـهَا هِيَ الأرضُ في حَضَارتِها الحديثةِ ،

أخذتْ زَخارفَها من كلِّ لَوْنٍ وتزَّينتْ بمفاتِنِهَا الجذَّابةِ المُغْرِيةِ وَطَغَى الغرورُ في أنفْسٍ قَادَتِها طغيانَهُ المنذر بالشرِّ المُسْيّطِرِ .

أجَلْ تَفاقمُوا طُغْياناً حتى أصبحوا يُحِسُّونَ أَنَّهم قادرونَ على تَدْميرِهَا ، بمَا لَديهمْ مِنْ عُدَدٍ ظاهرةٍ وخفيةٍ ، أَسْرعَ مِنْ خَفْقةِ البرق ..

إذن فأمر اللهِ يوشكُ أن يأتي . وَهْوَ لاَ بُدَّ أَنْ يأتِيَ ولكنَّ إتْيانَه بأمرِ مَنْ له الأمرُ . على كلِّ حال . ولله الأمرُ مِنْ قبلُ وَمِنْ بعدُ .

وباطلٌ زعمَ كتابِهم أنَّ إتيانَهُ يُدَمِّرُ كلَّ معَالم الْحياةِ وهذَا لَنْ يكونَ ، وَلَوْ فَاقتْ عُدَدُهُمُ الصَّاعِقَةُ ، على مَا عِيَ عَليه أَعْدادَ أَنْجمِ السَّماء .

هَبْ أنها ستكون الملحمةَ الكبرىَ التي جاءتْ إنذارَاتُها وسماتُها على لسانِ صاحب الرسالة فإنَّها لَنْ تبيدَ كل الأحياء أي لَنْ تكونَ هي الساعة التي تبيدُ كلَّ شيء . بل سيَبْقى واحدٌ مِنْ الأحياء مِنْ كُلِّ مئة . ومعنى هذا أنه سيبقى مليونُ مِنَ الأحياءِ مِنَ الْمِئةِ الهالكة .

وفي هذا العدد الباقي كَفايةٌ عَمَارِ الأرض مرةً ثانيةً ومهما يكن فليس كل القرىَ تَهْلِكُ في الملحمة الكبرى التي تسبقُ يومَ القيامةِ بلْ تَظَلُّ قرىً تُعَذَّبُ . بالمجاعات وفُقْدانَ وسائل الحضارةِ ووحيُ اللهِ أصدقُ مِنْ كلِّ قوْلٍ في هذا الأمر تأمَّلهُ في الآية الآتيةِ .

«وَإنْ مِنْ قريةٍ إلاَّ نحنُ مُهْلَكُوهَا قبلَ يَوْمِ القيامةِ أوْ مُعذِّبُوهَا عذَاباً شديداً كَانَ ذلِكَ في الكتابِ مَسْطوراً» ١٧ — ٥٨ .

والخلاصةُ أن الملحمةَ الكبرىَ أو الحرب العالمية الآتيةِ لا تُبيدُ كلَّ مَعالم الحياةِ مِنَ الكرةِ الأرضية بل تبيدُ ما تُبيدُ . ويَبقىٰ القليل الذي يُعذب بالعلَلِ والمجاعاتِ والخشونةِ والضيم من فقدان الحضارة .

وهذه حقائقُ مِنْ أعجازِ الوَحيْ الآلهي أدليْتُ بها لاَ لأَنَّ الناسَ سيتعظون بها او يُبالون لأن الهالكين بالطُّوفان لم يُبالُوا به وهو يَجْتاحُهم بالمهالك .

هذا شأنُ الانسانِ الطاغي المتمرِّد لاَ يُبالي بالمهالك وهو ينزلُ به لأن قَسْوَةَ الْقلب

تجعله لاَ يُبالي بالبأساءِ مَـهْما اشتدتْ وعصفت عواصفُها بَـلْ تراهَا تزدادُ قسوة وتَـذْهَـلُ حتَّى عَـنْ آياتِ الله المنزلة للتذكر .

« فَلمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا به فَتَحْنَا عليهم أبوابَ كلِّ شَـيْءٍ حتَّى إذَا فَرحُوا بما أوتُـوا أخَـذْنَاهُـمْ بغتةً فإذَاهمْ مُـبْلِسونَ (٤٤) فَـقُطِعَ دَابرُ القومِ الَّذِينَ ظَـلَـمُوا والحمدُ للهِ ربِّ العالمين » ٦ — ٤٥ .

لن تنجح نهضة بدون إلتزام

هذا منطق كل نهضة ناجحةٍ ... وهذا منطق النهضة الإسلامية الحديثة التي قام بها صقر الجزيرة العربية الملك عبد العزيز آل سعود وجمع بها شمل أهلها الممزق ووحدهم وأزاح عنهم بلايا الانحطاط والتخلف .

هذا منطق الالتزام العمليّ الحاسم ولولا التزام منطقها العملي الحاسم لما نَجَحت هذا النجاحَ الكبير المشرق . والكلماتُ وحدها لا تقدمُ ولا تأخرْ في تخفيف النجاح .

لأن الكلمات وحدَها بمثابةِ الجُثَثِ الميتة . والأفعال بمثابة الأرواح التي تنفخ فيها الحياةَ والحَركة والارادة الحرة .

وبلادنا اليوم تَتَمتَّع بأعمالِ النهضة الحديثةِ ذاتِ الأمجادِ لأنها تسبقُ أفعالُها الأقوالَ في كل المجالات .

ألا ترى أنه مضى على العرب في كلٍّ أوطانهم ما يكادُ يبلغُ القرن وهم يتنادَوْنَ لوحدةِ كلمتهم ويهتفونَ بأمجادها ويتغنْونَ في النوادي ويَنظمونَ لها الأناشيد ..

ومع ذلك لا تزال الوحدة أسراباً من حمائم السلام تلوح في غيوبِ الأقدار من بعيد ، وكلما لاحت أخفتها نزعاتُ العنصريّة اللعينَةُ والنزاعُ الأقليميُّ الفاجرُ ...

وما أكثر ما يتحدثون عن مزايا الإجتماع وأمجاد وحدة الكلمة ومنافعها وأمنها ورغد عيشها ويتحدثون عنها بلهب البراكين ولكن بدون أدنى عزيمة وتصميم وتضحية وفداء ... لأي أمر جامع .

ولولا الدخلاء المدسوسون في أوطان العروبة لما بلغت مهازل العنصرية الممزقة الى هذا الحدِّ من الصغارِ البشع الهدام ألا تشاهدهم يوحدون الكلمة بألسنتهم المتحمسة نفاقاً ، ويمزقونها بأفعالهم وايديهم غير مكترثين .

وأقول . بكل صراحة وبكل حق وبكل صدق اذا لم تقم أعلام الوحدة الجامعة بشوكة بياض السيف ظلت أسراب حمائم بيضاء ترف في سراب مَـحْلٍ وتغيب وتغيب .

نحن لا نرضى أن نكون وحدة أمة جامعة لها وزنها الكبير في التاريخ تحتكم في مصيرها العنصرية الانعزالية الباغية وتحولها الى أطيافٍ يَتَـغَنىّ بها الشعراءُ عزاءً وسلواناً من فجائعِ التمزيقِ ومآسيهِ وزلازله .

وتحولها الى هُتافاتٍ وخُطَبٍ ومحاضراتٍ في الأنديةِ والمجَامعِ ومؤلفاتِ تحتشدُ في المكاتبِ يفيد منها العدو الهادم . أكثر مما يفيد منها الولي الباني . .

واذا أضبحت وحدة كلمة الدول العربية أقوالاً تتبع أقوالا عرمرما ولا تصميم لها في إنقاذ المواثيق الجامعة ، فإنها تكون كمثل الذين يخططون أمانيهم الحسان وأحلام أمجاد مستقبلهم على رمال الصحراء لا يلبث من ساعات البقاء سوى هبة ريح تعصف بها عصفاً .

يا سادة أن وحدة النهضة العربية الإسلامية التي بني بنيانها ودعم دعامها وسمكها سمكاً في قلب جزيرة الضاد الملك عبد العزيز آل سعود ... لم يُقِّمْها بالكلام أبداً . بل أقامها على الأفعال والكلام فيها قليل جداً ومحدود جداً .

وما جدوى كلام الوحدة الذي يفقد روح الوحدة . ولن تكون حياة بغير روح أجل أقام الملك عبد العزيز الوحدة في قلب بلاده جزيرة الضاد المقدسة بلوازم الدستور الإلهي المقدس فلله هي من وحدة كانت عجباً من الامر قامت على هدى الله ورسوله والسلف الصالح .

وأفهمهم أن الوحدة اذا خلت من لوازم وحي الله فإن مصيرها الى هباء ولا غناء في تمجيد الوحدة بالكلام ولوكان الكلام الصرف يحيى أمة ويمنحها الحرية ويوحد كلمتها لاحيى الصين حين كانت مستعمرة إنجليزية وكانت ميتة بالكيف من الأفيون وكانت ممزقة وما كان أكثر ما تكلمت بكل ذلك ...

يا أيها العرب الكلام في كل أوطانهم أو وحدتكم لن تتحقق ولن تتم إلا بالتزام الأعمال التي سلكها صقر الجزيرة العربية الملك عبد العزيز بالإسلام لا بالفلسفات ولا بكلمات الإجتماع ولو جاءت ملء الخافقين وفي عدد نجوم السماء .

أجل لن تتم للأمة العربية في سائر أوطانها وحدة عملية مشاهدة ماجدة . الا بالتزام قوله تعالى .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » . ٣ — ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ .

هاشم دفتر دار

دعوة فهم الإسلام

هي دعوة وزير النفط والثروة المعدنية أحمد زكي يماني في محاضراته التي ألقاها في جنيف في رجب عام ١٤٠١ هـ .

وكانت المحاضرة ناجمة عن ممارسة فكر بحاث متقد ، وخبرة طويلة مستوعبة لدقائق الأمور وخفاياها .

أجل لقد تبيّن للوزير المفكر المستوعب في شتى جولاته ومحاوَرَاته واختلاطه بكبار الساسة والعلماء الأجانب والكتاب أن أوروبا تجهل حقائق كتاب الله ومثله العليا جهل وتقليد وتربية وتثقيف .

وان هذا الجهلَ مزروع بالحقد على حقائق خاتم الوحي الإلهي في أعماق مجموعاتهم النفسية بالمفتريات التي نبعثها في غفلات الطفولة . وأبان انطباع التربية والتثقيف المنحرفون العنصريون بالايحاء المركز قبل يقظة الفكر النفاذ الوقاد وقبل توفر يقين العلم الحر الأبي الأمين الأبي المنصف .

أجل أن هذا الحقد الظالم المركز بالإيحاء في مجموعاته النفسية والدعم لدسائس العنصريين ومؤمراتهم في شتى أروقة المعرفة والإعلام هو الذي جعل معظم الأوربيين على مدى الأجيال يكرهو خاتم الوحي الإلهي المشتمل على سعادتهم وعزتهم ووحدتهم وتفاهمهم في صميم آياته المعجزة المتحدية ، لأنَّ وحي الله ما آمنتْ به أمةٌ وتقيدت به عملياً إلاَّ وسعدت لأن آيات الله المعجزات المتحديات لم ينزلها الله لأمة دون أمة ولا سعادة شعب دون شعب بل أنزلها هدى للناس أجمعين . وهذا منصوص عليه يقيناً .

« قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت . فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » ٧ — ١٥٨ .

أجل إن الله أرسل رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين . « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ٢١ — ١٠٧ .

والسبب أن الله يدعو كلَّ البشر الى رحمته وفي رحمة اللهِ كلُّ السعادةِ وكلُّ السلامِ وكلُّ التفاهم وكل الخير وكل الحق .

والعجيبُ أن معظم الأوربيين يجهلون حقائقَ خاتم الوحي الآلهي الراحمةِ الشَّافيةِ لكلِّ أَمراضهم النفسية . وما مثلَهم في ذلك إلاّ كمثلِ المرضى الذين يَرْشقون الصيدليةَ التي تحتشد فيها الأدوية الشافيةُ لأمراضهم يَرْشقُونَها بالحجارةِ رعونةً وغباوةً وجهلاً .

إذن فأوروبا تفهم الإسلام فهما معكوساً وهذا الفهم المعكوس الذي حدى وزير النفط والثروة المعدنية أن بحث على الفهم الجديد الصحيح للإسلام إذ يقول .

لا بد من فهم جديد بين أوروبا والإسلام وآسف أن غالبية الاوروبيين ينظرون الى الإسلام أنه يشتمل على العنف ضدهم وأن العنف طبيعة الإسلام ويتسم به .

اذن فهذه النظرة المعكوسة لحقائق الإسلام هي نظرة عنصرية مدسوسة في أصول التربية والتثقيف لديهم ولا بد من ازالتها وافهامهم الحقيقة الحلوة الصافية المنزلة من رب العالمين .

والحقيقة المنزلة من رب العالمين ماثلة في قوله تعالى : «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة . وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام . أن الله كان عليكم رقيباً .

اذن فالانسانية رَحِمٌ ومعنى الرَّحم القربى ، والقربي تقدم التَّفاهمَ والمعاونةَ والرحمةَ والإيثارَ وفي ذلك يقولَ رسولُ الله ﷺ «الخلقُ كلهمْ عيالُ الله فأحبهم إليه أنفعهُم لعياله» .

ومفهوم المخالفة أبغضهم إليه أضرهم لعياله وأي ضرر أكبر من إثارة الأحقاد والفتن والحروب بينهم كما يفعل المجرمون العنصريون .

اذن فواجبُ مفكري العالم الإسلامي وقادتهِ الاهتمام بتفهم حَقائقِ الاسلام لأَهْل أوروبا بكل الحُجَج العلمية والبراهين اليقينية ليعلمُوا أنهم كانوا في جهلٍ أعْمى مخيفٍ بالنسبة لمثلِ وحي الله العليا التي أوحاها لسعادةِ البشر جميعاً .

هذا ما دعَى إليه وزيرَنا المسلم المفكر إذن فواجبنا إفهامُ الأوربيين حقائقَ الإسلام . ومن أجلِ ذلك طلبَ وزيرُنا أنّ تعلنَ مثلُ الإسلام العليا في أوروبا بوسائِل العلم الحديث وبراهينه اليقينية .

وكلٌّ تقصيرٍ في هذا الأمر يجرُّ الى الكوارث بين الشرق والغربِ . ويكون عاملاً في إبقاء الرِّيَبِ في أنفسِ الأوربيين وسوء الظن بالإسلام والمسلمين .

وكم من بلاءٍ وكم من أذىً وكم من دِماء وعدوانٍ مِنْ جرَّاء ذاك إذن فالتبليغُ هُوَ واجبُنا .. وهو قاعدةُ الإسلام الأولى أما قال الله تعالى :

«يَا أيها الرسولُ بلغْ ما أنزل إليك من ربك وإنْ لم تفعلْ فما بلغتَ رِسالته» ٥ — ٦٧ .

والتبليغ كما هو وظيفة رسول الله العليا ذات الامجاد والقربات الى رب العالمين فهو وظيفة أتباعه بعده الى يوم القيامة . «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة ، أنا ومن أتبعني» ١٢ — ١٠٢ .

وها هي الشيوعية الملحدة أخذت تنتشر في العالم ولو أننا نشرنا ديننا بمعجزاته وتحدياته لآمن كل أهل الكتاب ولم ينتشر بينهم الإلحاد .

وأنظر في هذه الآية المعجزة التي تعين هذه الحقيقة وتكشف أسرارها لأن الله كما وصانا على التقوى والتزام حقائق الإيمان بالله الخالق العظيم ومحاربة الإلحاد والملحدين وصى أهل الكتاب .

وإنَّا قبل أن تنتهيَ من ذكرى هذه المحاضرة القيمة التي تدعونا أن نَهْتمَّ بدعوة أهل الكتاب الى حقائق الإيمان وحثهم على التقوى أنْ نتلوَ هذه الآية وأن نتأملها جيداً وهي .

« ولقدْ وصَّينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أنِ أتقوا الله وإنْ تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً » ٤ — ١٣١ .

هاشم دفتر دار

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة

المؤلفات التي
تـمّ طبعها

١ — اصلاح الاسلام الاقتصادي
٢ — نوابغ العلم
٣ — معجزات قلب القرآن
٤ — رواية الى غرناطة
٥ — رواية السلم والحرب
٦ — ذكريات طيبة
٧ — تم طبع ١١ مؤلفاً مع الدكتور محمد علي الزّعبي
٨ — وعرب سيرة محمد نابليون السماء لجان بروى
٩ — وتحت الطبع مؤلف بلابل تغرد

تم طبع هذا المؤلف
غرة جمادى الثانية عام ١٤٠٣ هـ الموافق ١٥ آذار عام ١٩٨٣ م

بيـــــان

وقع بعض الأخطاء في بعض صفحات الكتاب بسبب الفتن الاهلية التي وقعت في بيروت . وهذه أهمهـــا . الرجاء اصلاحها وهي لاتخــفى .

صفحة	سطر	خطـــأ	صـــواب
٢٧	١	قميئه	قمئه
٢٩	٣	واذا كان	كان
٢٩	١٩	ياللقسو	ياللقسوه
٣١	١	وأخفقا	واخفاقا
٣٢	١٩	ايدها	ايـد
٦٧	١٥	شقوق	بشقوق
٧١	٢٣	وشعارهم	وشعارهم اذ ذاك
٧٧	١٧	الناس	الناس انا
١٠١	٨	حق من	حق في
١٠٢	١٣	فيأتل	فيأ كله
١٠١	١٤	وانى فقدت	قاومت
١٠٣	١٥	الذى	الذين
١٠٦	١١	وعلى فقمة	واعلى وهي قمة
١٠٦	١٧	منهزين	منتهزين
١٠٦	٢٤	المنافقين	المنافقون
١٠٧	٣	ضجها	ضجتها
١٠٧	٤	وذا	واذا
١٠٨	١٠	كاعجاز	اعجاز
١٢٠	٦	فقامت	ففاقت
١٢٣	١٣	الصعوبات	العقوبات
١٢٧	٧	حب الجنون	خبث الالحاد
١٢٩	٧	حرارة الشمس	حرارة وضوء
١٢٩	٨	للافاده	للافاده منها
١٢٩	١٠	المنبه	المبنيه
١٣١	٧	وصفاتا	وصفات
١٣١	١١	وتزيفهم	وتزييفهم
١٣١	١٢	بخراف	انحراف
١٣١	١٣	التي سطرها	اجل سطروا
١٣٧	١٥	التحدث	التحدث للطلاب
١٣٨	٢٠	تكذيبها	تكذيبهم
١٣٩	٩	جزيره	الجزيره
١٤٠	١٤	لبــاء	انباء
١٤٢	٢٢	المحاصرين	المعاصرين
١٤٤	الاخير	عماق	اعماق
١٤٥	١٠	المنوره	المنثوره
١٤٦	١	قنما	فلمـا
١٤٨	٢١	لبشر النفوس	نفوس البشر
١٥٠	١٨	بعيد	تعبد
١٥٧	٢٣	المحلل	المحال
١٥٨	٧	شقاء	سناء : رفعه
١٦٣	٧	قاله	مـاله
١٣٦	٧	اولئك	اولئك كان
١٤٨	١٨	المصريين	المصرين

